مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٦هـ

سلسلة الدروس (١٥)

إرشاد العباد

شرح

تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد

للشيخة

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

الوادعية


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (١):

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) هذا الكتاب «تطهير الاعتقاد» من كتب العقيدة النفيسة، وقد كان والدي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا أرشد الطالب إلى كتب العقيدة يذكر من أولها:

-«تطهير الاعتقاد» للصنعاني.

-و«اعتقاد السلف» لأبي عثمان الصابوني، وإن شاء الله هذا الكتاب -كتاب الصابوني- في الحسبان في الفترات القادمة، لكن أطلب من أخواتي حفظهن الله وبناتي بارك الله في الجميع الحرص على الإتقان والحفظ والفهم، فمعاذ الله أن نكون انتهينا من كتاب ثم الكتاب الذي يليه والذي يليه، وما زالت المعلومات ضعيفة ومهزوزة، فاستعيني بالله ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. استعيني بالله بارك الله فيك، وأنا والله ولقد حرصت أن يكون الدرس ابتدائيًّا، سلسلة عقيدة من الابتدائي، ولم أجعل من أول المراحل مثلًا: «فتح المجيد»؛ لأنه ليس من المرحلة الابتدائية، فوفقكن الله احرصن على الاستفادة، وأن تكنَّ طالبات علم بمعنى الكلمة، لا يكون عبارة عن

ثقافة أو علوم سطحية، تكونين في مجلس وتأخذين نتفة من العلوم من هنا وهنا، لا، لا بُدَّ أن يكون عندك تأصيل وعلم واستفادة، وأخلصي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

على كل حال كتب العقيدة التي تُدرس وكان والدي يُرشد إليها:

- «تطهير الاعتقاد» للصنعاني، وهو هذا الكتاب الذي سنتدارسه إن شاء الله.
- «اعتقاد السلف» لأبي عثمان الصابوني.
- «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب –وهو غير «ثلاثة الأصول»–، هو الذي عليه الشرح المسمى «فتح المجيد».
- و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد».
- «السنة» لعبدالله بن أحمد.

وبالنسبة لكتاب «ثلاثة الأصول» يُعتبر من أوائل كتب التوحيد والعقيدة للمبتدئين، لكن ما بعده ممكن «تطهير الاعتقاد»، أو «اعتقاد السلف» –ما هو بذاك الكبير عبارة عن مجلد–، كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي وحده على الانفراد هذا للمبتدئين من غير شرحه «فتح المجيد»، ثم بعد ذلك الترقي إلى الأعلى فالأعلى شيئًا فشيئًا.

بالنسبة لـ«السنة» لعبدالله بن أحمد هذا للطبقة التي قد استفادت، وخاصة أن الكتاب بالأسانيد.

وهذا الكتاب «تطهير الاعتقاد» فيه تشابه كثير بينه وبين «كشف الشبهات» للشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي، وهما عالمان كبيران متعاصران.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد».

الطهارة على قسمين:

معنوية: وهي طهارة الباطن من العقائد الشركية، ومن الخرافات البدعية، وتطهير الباطن من سائر الأمراض: الحسد، الكبر، النفاق، الجشع في الدنيا، الرياء إلى غير ذلك.

وطهارة حسية: وهي الطهارة من النجاسة الحسية.

فـ«تطهير الاعتقاد» أي: تطهير العقيدة من الشركيات؛ لأن الشرك نجاسة معنوية، قال سُبحَانَهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

أي: نجس في الاعتقاد، وليست نجاسة حسية؛ لأن أبدان المشركين طاهرة، وقد تقدم هذا في دروس «بلوغ المرام».

«أدران الإلحاد» أدرَان: جمع درَن بفتح الراء، وهو الوسخ.

الإلحاد لغة: الميل، ومنه لحد القبر، وهي الحفرة التي تكون في جانب الشق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢٢].

والعقيدة لغة: الشد والربط. قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (٤/٨٦): (عَقَدَ) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةِ وُثُوقٍ.

واصطلاحًا: اعتقاد الذهن الجازم في أمرٍ ما، فإن وافق الحق فهو حق وإن وافق الباطل فهو باطل.

فالعقيدة قد تكون صحيحة، وقد تكون باطلة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)

العقيدة الصحيحة: كاعتقاد أنَّ الله واحدٌ لا شريك له، و أن هذا الدين حقٌّ من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

والعقيدة الباطلة: كعقيدة الخوارج والمعتزلة، وعقيدة النصارى القائلين: الله ثالث ثلاثة، وأن المسيح عيسى ابن الله، واعتقادِ اليهود أنَّ عزيرًا ابنُ الله.

(٢) الباء في (بِسْمِ اللَّهِ) للاستعانة، وهذا يفيد أن القائل: (بِسْمِ اللَّهِ) يقول: أستعين بالله. والاستعانة بالله: يفيد البراءة من الحول والقوة، والاعتراف بالضعف والعجز والتقصير، وما أشد حاجتنا إلى الاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

حتى إنَّ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين»(١/١٠٠) يقول: أَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِ الله.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. اهـ.

وما أبرك قول: (بِسْمِ اللَّهِ)، فينبغي الاهتمام بقول: (بِسْمِ اللَّهِ).

وما ورد فيه الدليل نُكْمِلُ فيه البسملة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، مثل: عند قراءة أول السورة، وكذلك في أول الرسائل نقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وما لم يرد فيه البسملة كاملة فنقتصر على (بِسْمِ اللَّهِ)، نحرص على الامتثال ولا نتجاوز ذلك، فعند الخروج من المنزل، عند الأكل والشرب (بِسْمِ اللَّهِ) ولا نأتي بها كاملة، عند إطفاء النور كذلك (بِسْمِ اللَّهِ)، إذا عثِرَ أحدُنا كذلك، والبركة في السنة وإن قَلَّ العمل.

(بِسْمِ اللَّهِ) يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح البيقونية»(١٩): المعنى أبتدِئ بكل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ. اهـ.

فليس المراد بعض أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد بدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة؛ اقتداءً بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، واقتداءً بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، فقد كان في مراسلاته يقول: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

والجار والمجرور في (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) متعلقان بفعل محذوف متأخِّرٍ، فعند الكتابة يكون هناك تقدير: بِسْمِ اللَّهِ أكتب، الفعل متأخر، عند القراءة بِسْمِ اللَّهِ أقرأ، بِسْمِ اللَّهِ أسافر، وهكذا.

ويقدَّر الفعل بحسب المقام المناسب كما علمت.

ولفظ الجلالة (الله)، بمعنى: المألوه، وهو المعبود، المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ومن خصائص لفظ الجلالة أنه لا يأتي نعت، وإنما يكون منعوتًا.

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) نعتان للفظ الجلالة، واختلفوا في التفرقة بين (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

ومن الأقوال المشهورة: ما جاء عن محمد بن عبيد الله العرْزَمي أنه قال: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين.

ومنهم من يقول: (الرَّحْمَنِ) رحمن الدنيا والآخرة، و(الرحيم) بجميع الخلق.

والذي ذهب إليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفرق بين هذين الاسمين:

وَهُوَ المُسْتَعَانُ.(٣)

الحَمدُ للهِ(٤) الَّذِي لَا يَقبَلُ تَوحِيدَ رُبُوبِيَّتِهِ مِنَ العِبَادِ(٥) حَتَّى يُفرِدُوهُ بِتَوحِيدِ العِبَادَةِ كُلَّ الإِفرَادِ(٦)، فَلَا يَتَّخِذُونَ لَهُ نِدًّا(٧)، وَلَا يَدْعُونَ مَعَهُ أَحَدًا(٨)، وَلَا يَتَّكِلُونَ إِلَّا عَلَيهِ(٩)،

أن (الرَّحْمَنِ) يدل على إثبات صفة قائمة بالله عَزَّوَجَلَّ، يعني مثل: العليم، البصير، السميع، القدير.

و(الرَّحِيمِ) فيه إثبات صفة فعلية، فيرحم الله عَزَّوَجَلَّ من شاء ومتى شاء، كما قال تَعَالَى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)﴾[العنكبوت: ٢١].

فاسم (الرَّحْمَنِ): يتضمن إثبات صفة ذاتية، و(الرَّحِيمِ) يتضمن إثبات صفة فعلية.

[منقول من دروسنا السابقة].

(٣) (وهو) أي: الله، الضمير يعود إلى الله سُبحَانَهُ. (المُستَعَانُ) أي: الذي يستعان به ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾[الفاتحة]، والاستعانة بالله ينبغي لكل مسلم ومسلمة الاهتمام بها وعدم الغفلة عنها، فلا يدرك خير إلا بعون الله سُبحَانَهُ.

إِذَا لَم يَكُنْ عَونٌ مِنَ اللهِ لِلفَتَى ❁ فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيهِ اجتِهَادُهُ

ومن أعانه الله سُبحَانَهُ كان موفقًا في أقواله وأفعاله وتصرفاته، نسأل الله سُبحَانَهُ أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

(٤)معنى الحمد: الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة والإجلال والتعظيم.

فلو وصف إنسانًا بما ليس فيه هذا مدح وليس بحمد، أو وصف شخصًا من غير محبة هذا أيضًا ليس بحمد، إنما يقال له: مدح.

فقد تأتي أحيانًا أوصاف من قِبَل بعض الأشخاص عن تزلُّف-يتقرب-لمن يصفه بأنه كريم وأنه مثلًا شجاع وأنه كذا وهو يبغضه، هذا لا يسمى حمدًا.

«الحمد لله» هذه العبارة في أول خطبة الحاجة أفضل من تعبير بعضهم: «أحمد الله»؛ لأن الحمد لله هي التي جاءت في القرآن، ولأنها جملة اسمية، أما «أحمد الله» فهو فعل مضارع، والجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار، أما الجملة الفعلية فإنها تفيد التجدد والحدوث.

وبعضهم يقول: «حمدًا لله»، وهذا أيضًا قصور في اللفظ، فإن «أل» في «الحمد لله» للاستغراق، أي: كل المحامد لله.

(٥) عرفنا سابقًا من الدروس المتقدمة أقسام التوحيد:

توحيد الربوبية: إفراد الله بالملك والخلق والتدبير، أو توحيد الله في أفعاله.

توحيد الألوهية وهو: إفراد الله بالعبادة.

وتوحيد الأسماء والصفات وهو: ألَّا نسمِّيَ الله ولا نصفه إلا بما جاء عن الله وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) القرآن الكريم جاء في آيات كثيرة بتقرير هذه العقيدة، والإنكار على من يقر بتوحيد الربوبية وينفي توحيد الألوهية، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)﴾ [لقمان:٢٥]. وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾ [الزخرف:٨٧]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

(٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون]. أي: كيف تُصرفون، فأنتم تعتقدون توحيد الربوبية وتؤمنون به ولا تؤمنون بتوحيد الألوهية، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحاجُّهم، فيلزم كل من أقر بتوحيد الربوبية أن يفرد الله عَزَّ وَجَلَّ بتوحيد الألوهية.

وهذه قاعدة تقدمت: كل من أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، أما من أقر بتوحيد الألوهية فإنه مقر بتوحيد الربوبية، فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية. وهذه من القواعد التي يبثها أهل العلم في الكلام على التوحيد.

(٧) الند: الشبيه والنظير، قال سُبحَانَهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وأعظم ذنب أن يتخذ لله ندًا، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» رواه البخاري (٦٠٠١)، ومسلم (٨٦). أي: كيف تجعل لله ندًا والله الذي خلقك وأعدك ورزقك وأمدك؟!

(٨) وهذه أمثلة، ذكر توحيد الألوهية ثم أتى ببعض الأمثلة في توحيد الألوهية.

﴿وَلَا يَدْعُونَ مَعَهُ أَحَدًا﴾ أي: فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ [الجن:١٨]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)﴾ [الجن:٢٠]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾ [يونس:١٠٦]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وهذا سيأتي إن شاء الله.

والحمد لله الذي وفقنا لهذه العقيدة الصحيحة، فلا ندعو إلا الله سُبحَانَهُ، ولا نعبد إلا الله سُبحَانَهُ، ولا نصلي ونصوم إلا لله، ونسأل الله أن يعيذنا من نزغات الشيطان وشركه؛ لأن الشرك كثيرًا ما يكون في الإرادات والنيات، حتى إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في «الجواب الكافي» (١٣٥): وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٨٥]. وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ. اهـ.

وما يأتي الشيطان إلا من هذا الباب لمن عجز عنه، يأتي بالوسوسة في التصنع للمخلوقين ومحبة السمعة والشهرة.

وَلَا يَفْزَعُونَ فِي كُلِّ حَالٍ إِلَّا إِلَيهِ(١٠)، وَلَا يَدعُونَهُ بِغَيرِ أَسمَائِهِ الحُسنَى(١١)، وَلَا يَتَوَصَّلُونَ إِلَيهِ بِالشُّفَعَاءِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥](١٢).

---

(٩) أي: لا يعتمدون إلا على الله، وهذا هو التوكل، التوكل لغة: إِظْهارُ العَجْزِ والاعْتِمادُ عَلَى غَيْرِكَ. «لسان العرب» (٧٣٦/١١).

والتوكل اصطلاحًا: قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع العلوم والحكم» (٤٩٧/٢): هو صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا، وَكِلَةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ.

وبنحوه قال السعدي في «تفسيره» (٩٤٤)، ونصُّهُ: قوة اعتماد القلب على الله في جلب المصالح، ودفع المضار الدينية والدنيوية، مع الثقة به في حصول ذلك.

(١٠) في السراء والضراء الملجأ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان مشركو قريش يفزعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ في حال الشدائد في حال الضراء، أما في حال السراء فلا يفردونه سُبحَانَهُ بالعبادة، قال سُبحَانَهُ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]. أما الموحد فإنه يفزع إلى الله على كل حال، لا ملجأ من الله إلا إليه، يفر من الله إلى الله سُبحَانَهُ.

(١١) قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. في أربعة مواضع من القرآن الكريم يصف الله سُبحَانَهُ أسماءه بالحسنى: في الأعراف، والإسراء، وطه، والحشر.

وأسماء الله سُبحَانَهُ كلها حسنى، ومن حُسن أسماء الله كما ذكر الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة [طه]:

أنها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد.

ومن حسنها: أنها ليست أعلاما محضة وإنما هي أسماء وأوصاف.

ومن حسنها: أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها.

ومن حسنها: أنه أمر العباد أن يدعوه بها؛ لأنها وسيلة مقربة إليه، يحبها ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]. اهـ.

ودعاء الله سُبحَانَهُ يكون بأسمائه لا بصفاته ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، فمن الخطأ أن يدعى صفة من صفات الله، مثلًا يقول: يا رحمة الله انزلي، يا قوة الله، يا لطف الله، يا وجه الله. يدعى الله بأسمائه.

الطالبة تسأل: هل يعد من الشرك دعاء صفة من صفات الله؟

الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، فما يدعى إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُدعى بأسمائه، ويكون ما عدا هذا داخلًا في الشرك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاستغاثه في الرد علي البكري»(١١٤): وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعنِّي، أو: يا علم الله، أو: يا قدرة الله، أو: يا عزة الله، أو: يا عظمة الله ونحو ذلك؟!

وينظر «مجموع الفتاوى» (٢٨/٤٠٣) للشيخ ابن باز، و«مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢/١٦٥).

الطالبة: لا يقول: يا لطف الله. يقول: يا الله الطف؟

إي هذا، التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته مشروع، الممنوع أن يدعو الصفة، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

الطالبة تسأل: أمي تقول: يا صبر أيوب؟

في هذه العبارة شيءٌ، تنادي وتقول: يا صبر أيوب، كأنها تتوسل إلى الله بصبر نبي الله أيوب، فيكون من التوسل بعمل الغير، وهذا بدعة ليس بمشروع.

أو أنها تريد أن الله يرزقها الصبر كصبر نبي الله أيوب ويثبتها، أي: ارزقني صبرًا كصبر أيوب، فاللفظ مجمل.

(١٢) وهذا بخلاف المشركين فإنهم يتخذون شفعاء ووسائط بينهم وبين الله، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ

وَأَشهَدُ(١٣) أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (١٤) رَبًّا وَمَعبُودًا (١٥)، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ (١٦)، الَّذِي أَمَرَهُ أَن يَقُولَ: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨] (١٧).

اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨]

وقال سُبحَانَهُ عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. فاتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه في الدعاء في جلب المنافع هذا شرك أكبر.

وهناك وسائط بين الله وبين خلقه وهم الرسل، وسائط بين الخلق وربهم في تبليغ الرسالة. فعلمنا أن الوساطة بين الله وبين خلقه قسمان. وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ما يفيد هذا المعنى.

(١٣) الشهادة: الإخبار بالشيء مع اعتقاد صحته وثبوته.

(١٤) قوله: (وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) توكيد، فـ (وَحدَهُ) حال مؤول مؤكِّد للإثبات، وهو (إلا الله)، وجملة (لَا شَرِيكَ لَهُ) في محل نصب حال مؤكِّدة للنفي، وهو (لا إله).

(١٥) (رَبًّا) توحيد الربوبية (وَمَعبُودًا) توحيد الألوهية.

(١٦) جمع الوصفين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أنه عبدٌ لله، وأنه رسوله.

(عَبدُهُ) فيه رد على الذين يرفعون النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فوق منزلته، ويغلون فيه، ويخرجونه عن كونه عبدًا لله، ومع ذلك يفرِّطون في اتباعه. وما أحسن ما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «ثلاثة الأصول»: شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ تقتضي: طَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقَهُ فِيمَا أَخبَرَ، وَاجتِنَابُ مَا عَنهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَلَّا يَعبَدَ اللهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

(وَرَسُولُهُ) فيه رد على من ينكر أن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ مرسل من عند الله.

والوصف بالعبودية من أشرف الأوصاف؛ لهذا وصف الله سُبحَانَهُ نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في أعلى المقامات: ففي مقام الإسراء قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، وفي مقام الإيحاء قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]، وفي مقام الدعوة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وفي مقام التحدي قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وإن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ذكر هذا شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه «العبودية».

والشاعر يقول:

وَمِمَّا زَادَنِي شَــرَفًا وَتِيــهًا ۞ وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِك يَا عِبَادِي ۞ وَأَنْ صَيَّرْت أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

(وَتِيهًا) يعني: فخرًا.

(بِأَخْمَصِي) أين أخمص القدم؟ باطن القدم الذي لا يمس الأرض.

وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا [١٨]، صَلَّى اللهُ [١٩] عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ[٢٠] التَّابِعِينَ لَهُ فِي السَّلَامَةِ مِنَ العُيُوبِ، وَتَطهِيرِ القُلُوبِ عَنِ اعتِقَادِ كُلِّ شَينٍ يَشُوبُ[٢١].

---

(١٧) وإذا كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا مع منزلته وعلوه فكيف بمن هو أدنى منه؟! وهذا فيه قطع شبهة من يعتقد في غير الله الضر والنفع، فالمخلوق ضعيف لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فكيف يدعى ويلجأ إليه ويستغاث به؟!

(١٨) الله سُبحَانَهُ شهد بهذا أنه الواحد في ألوهيته وربوبيته، فكفانا شهادته سُبحَانَهُ!

(وَكَفَى بِاللهِ) أي: كافيكم شهادة الله سُبحَانَهُ، والباء في «بالله» زائدة؛ لتحسين اللفظ.

و(شَهِيدًا) قال الهراس في «شرح العقيدة الواسطية»: الشَّهِيدُ: فعيلٌ، وَهُوَ مبالغةٌ مِنْ شَهِدَ، وَهُوَ إِمَّا مِنَ الشَّهَادَةِ؛ بِمَعْنَى الْإِخْبَارِ وَالْإِعْلَامِ، أَوْ مِنَ الشَّهَادَةِ؛ بِمَعْنَى الْحُضُورِ. وَالْمَعْنَى: وكَفَى باللهِ شَهِيدًا مُخْبِرًا بِصِدْقِ رَسُولِهِ، أَوْ حَاضِرًا مطَّلِعًا لَا يَغِيبُ عَنْهُ شيءٌ.

«شهيدًا» حال أو تمييز.

والتمييز محول عن فاعل، أي: كفت شهادة الله.

(١٩) صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

(٢٠) الآل في هذا الموضع هم أتباع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ بدليل ما بعده (التَّابِعِينَ لَهُ فِي السَّلَامَةِ مِنَ العُيُوبِ).

(٢١) الشَّين: العيب.

والشَّوْبُ كما في «الصحاح»(١/١٥٨): الخلط. وقد شبتُ الشيء أشوبه فهو مشوب.

وهذا وصفٌ للمقتدين بالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأنهم في اعتقاداتهم وعباداتهم بُرآء من الشركيات، والبدعيات والخرافات.

وهنا تنتهي مقدمة المؤلف الصنعاني لهذا الكتاب.

وقد اشتملت هذه المقدمة:

على بعض العبارات التي فيها سجع، والسجع نوع من البلاغة، وإنما المذموم الذي يكون بتكلف ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦]. أو يكون بباطل مثل ما جاء «صحيح البخاري» (٥٧٥٨)، و«صحيح مسلم» (١٦٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ».

«غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ» يقدر بخمس إبل، «يُطَلُّ» أي: يودى.

وفي رواية مسلم: فَقَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الْهُذَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»، مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ.

أنكر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه عارض، يعني: وقع في معارضة السنة بألفاظ سجع: «وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ».

على كل حال السجع نوع من البلاغة، فإذا تيسر من غير تكلف ولا يكون في باطل فممدوح ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)﴾[النساء: ٦٣].

واشتملت المقدمة على ما يسمى براعة الاستهلال، وبراعة الاستهلال: هي أن يشير في المقدمة ببعض الكلمات الدالة على موضوع الكتاب.

ونجد هٰهنا الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بعبارات في مقدمته فيها التوحيد، وهكذا مثلًا: الذي يكتب في النحو بعضهم يستخدم براعة الاستهلال فيذكر الخفض والرفع: الحمد لله الخافض الرافع.. الخ، وهكذا الذي يكتب في المصطلح.

أسئلة الدرس الأول:

١. تعريف التوكل لغة واصطلاحًا؟

٢. هل كان مشركو قريش يدعون الله سُبحَانَهُ وحده أم يشركون به في الدعاء أم فيه تفصيل؟

٣. هل يجوز أن يدعى الله بما لم يتسمَّ به أم لا؟

٤. ما حكم دعاء صفة من صفات الله، وهل هو شرك؟

٥. ما حكم اتخاذ شفعاء وسائط بين العبد وربه، مع الدليل؟

٦. الوصف بالعبودية أشرف الأوصاف ما الدليل على ذلك؟

٧. ما معنى صلاة الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

٨. الكتاب اسمه «تطهير الاعتقاد» فهل الاعتقاد يحتاج إلى تطهير؟

٩. ما معنى «لا إله إلا الله»؟

١٠. ما هي الشهادة؟

الدرس (٢)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحِ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبَعدُ(٢٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٢) أي: بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وإفراده سُبحَانَهُ بالتوحيد.

(وَبَعدُ) هي بمعنى أما بعد.

والواو نائبة عن «أما» الشرطية المحذوفة مع فعلها.

(وَبَعدُ) ظرف زمان مبني على الضم، بني على الضم؛ لأنه حذف المضاف ونوي معناه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلهِ الْأَمرُ مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ﴾ [الروم:٤].

وللفائدة إعراب: «أما بعدُ»

«أما» حرف شرط وتفصيل، وهي نائبة عن اسم الشرط وفعل الشرط المحذوف.

ومعناها: مهما يكُ من شيءٍ، حُذِفَ مهما «يكُ» من شيء، وأُقيم «أمَّا» مقامه.

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الألفية»:

أما كمهما يك من شيءٍ وفا ۞ لتلو تلوها وجوبا ألفا

و(بعدُ) ظرف زمان متعلق بفعل الشرط المحذوف «يك».

ومتى يُؤتى بذلك؟ هل يقال عند الانتقال إلى أسلوب آخر، أم الانتقال من المقدمة إلى الموضوع فحسب؟

فَهَذَا[٢٣] «تَطهِيرُ الاعتِقَادِ عَن أَدرَانِ الإِلحَادِ»[٢٤] وَجبَ عَلَيَّ تَأْلِيفِهِ، وَتَعَيَّنَ عَلَيَّ تَرصِيفُهُ[٢٥]؛ لِمَا رَأَيتُهُ وَعَلِمتُهُ يَقِينًا مِنِ اتِّخَاذِ العِبَادِ الأَندَادَ[٢٦] فِي الأَمصَارِ[٢٧] وَالقُرَى وَجَمِيعِ البِلَادِ، مِنَ اليَمَنِ[٢٨] وَالشَّامِ وَمِصرَ وَنَجدَ[٢٩] وَتِهَامَةَ[٣٠] وَجَمِيعِ دِيَارِ الإِسلَامِ[٣١].

كنتُ أسمع والدي رَحِمَهُ اللَّهُ أحيانًا في الدرس، إذا أراد أن ينتقل إلى تنبيه، أو إعلامهم بشيءٍ يقول: وبعدُ. ثم يذكر ما أراده.

وهذا يفيدنا أن كلمة «وبعد»، ومثلها «أما بعد»، قد يُؤتَى بها؛ للانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر.

ومعنى الانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر، قال ابن القاسم في «حاشية الروض المربع»(١/٤٣): أي: يأتي بها المتكلم إذا كان في كلام وأراد الانتقال إلى غيره، ولا يؤتَى بها في أول الكلام. وأسلوب بالضم أي: من الطريق أو فنٍّ، جمعه أساليب.

واعلم أن الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ينتقد هذا، في «شرح بلوغ المرام»(١/٤٩)، ويقول: لكن هذا فيه نظر، ولكنها كلمة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع، ما هو من أسلوب إلى آخر، لو تغير الأسلوب ما نجيء بـ «أما بعد»، لكن نأتي بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع. اهـ.

ذكرتُ هذا؛ ليستفاد، والأمر واسع، وبالله التوفيق.

(٢٣) «فَهَذَا» الفاء: واقعة في جواب الشرط. لأن الواو نائبة عن أما الشرطية المحذوفة مع فعل الشرط.

وما بعد الفاء **هَذَا«تَطهِيرُ الاعتِقَادِ عَن أَدرَانِ الإِلحَادِ»** في محل جزم جواب الشرط.

والمشار إليه إما بتقديره في الذهن كأنه موجود، كما قال تَعَالَى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨)﴾[المرسلات].

أو أن هذا حقيقة، أي: المشار إليه شيء محسوس؛ وذلك أن الكاتب إذا قام بكتابة موضوع قد يكتب مقدمة الكتاب قبل أن يدخل في الموضوع، فعلى هذا يكون المشار إليه تقديره في الذهن.

وقد يكون موجودًا حقيقة، وهذا إذا أجَّلَ كتابة المقدمة حتى فرغ من الكتاب ثم عاد إلى كتابة المقدمة، وطريقة علمائنا خاصة الأقدمين في الغالب على الأول: كتابة المقدمة قبل البحث، وقد يُفعل هذا الثاني أحيانًا، والأمر واسع.

قال ابن القاسم في «حاشية الروض المربع»(١/٤٥): والأول هو المعروف، ويقع الثاني.

(٢٤) هذا اسم هذا الكتاب.

(٢٥) الرصف: ضم الشيء بعضه إلى بعض كما في «مقاييس اللغة» لابن فارس.

والمراد هنا ضم الكلمات بعضها إلى بعض.

(٢٦) الند: الشبيه والمثيل.

(٢٧) (الأَمصَارِ) المدن العظيمة.

هذا فيه بيان سبب تأليف هذا الكتاب: وهو انتشار الشركيات.

وَهُوَ الِاعتِقَادُ فِي القُبُورِ(٣٢) وَفِي الأَحيَاءِ مِمَّن يَدَّعِي العِلمَ بِالمُغَيَّبَاتِ وَالمُكَاشَفَاتِ(٣٣)، وَهُوَ مِن أَهلِ الفُجُورِ، لَا يَحضُرُ لِلمُسلِمِينَ مَسجِدًا، وَلَا يُرَى لِلهِ رَاكِعًا وَلَا سَاجِدًا، وَلَا يَعرِفُ السُّنَّةَ وَلَا الكِتَابَ، وَلَا يَهابُ البَعثَ وَلَا الحِسَابَ(٣٤).

وهذا من حُسْن التأليف أن يبين صاحب الكتاب سبب تأليفه، فقد يكون سبب تأليفه أنه يرى حاجة الناس إليه، وقد يطلب منه بعض تلاميذه أو بعض محبيه أن يكتب في ذلك فيلبِّي الطلب.

(٢٨) اليمن: ما عن يمين الكعبة. والشام: ما عن يسار الكعبة، قال الإمام البخاري (٣٤٩٩): سُمِّيَتِ اليَمَنَ؛ لِأَنَّهَا عَنْ يَمِينِ الكَعْبَةِ، وَالشَّأْمَ؛ لِأَنَّهَا عَنْ يَسَارِ الكَعْبَةِ.

(٢٩) نجد: المكان المرتفع.

(٣٠) تهامة: المكان المنخفض.

(٣١) فيه انتشار الشرك في جميع البلدان الإسلامية، فكل بلاد معها نصيبها من الشركيات، وبعضها أسوء من بعض.

(٣٢) أي: في الأموات.

(٣٣) المراد ادعاء المكاشفات التي هي على طريقة الصوفية، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]. ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾ [النحل].

والمكاشفات الكفرية التي على طريقة الصوفية، كادِّعاء الاطلاع على ما في اللوح المحفوظ، أو أنه سيموت فلان في أرض كذا، أو أنه يطلع على ما في قلوب الأشخاص.

وهناك مكاشفات قد تحصل لبعض أولياء الله؛ كرامة من الله، كما ذكر شيخ الاسلام في «مجموع فتاواه» (٢٧/٤٩٩) أن الْمُكَاشَفَاتِ تَقَعُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَحْيَانًا مِنْ إخْوَانِ الشَّيَاطِينِ اهـ المراد.

ولكن هذا كما قال الشوكاني في «قطر الولي»(٢٣٩): الْغَالِب أَن ذَلِك لَا يكون إِلَّا من خُلَّصِ الْمُؤمنِينَ. اهـ.

و من أمثلة ذلك:

ما رواه البيهقي في «الاعتقاد»(٣١٤) من طريق ابْنِ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ.

والقصة ثابتة في «الصحيحة»(١١١٠) للشيخ الألباني.

وينظر «البداية والنهاية»(٧/١٤٧).

وهذه المكاشفات في حق المؤمن كرامة، ومن فوائدها:

أنها معجزة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنها تدل على صدقِهِ؛ لأنهم ما حصل لهم الكرامة إلا باتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/٤٣٧): وَكَرَامَاتُ صَالِحِ أُمَّتِهِ مِنْ آيَاتِهِ. اهـ المراد.

وقال والدي العلامة الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (٢٦٨ط. ابن تيمية): فصل: ومن دلائل النبوة كرامات بعض أتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وهيَ تعتبرُ من دلائل النبوة؛ لأنه ما أُعطِيَ الكرامة إلا باتباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأكبرُ كرامة هو توفيق الله العبد للعمل بالكتاب والسنة وأن يختم له بالحُسنى. اهـ.

بخلاف الكهنة والسحرة فإنها تعتبر شعوذة، مثلًا يقول: أنا أطير في الهواء، وربما يراه الناس يطير ولكن الجني يحمله، أو يكون سحر أعين الناس، هذه شعوذة، هذا سحر ولا يعدُّ كرامة، أو يمشي على متن البحر، هذا سحر ولا يغتر به، ما يغتر به إلا الجهال ومن أعمى الله بصيرته، وما أحسن ما قيل:

إذا رأيت شخصًا قد يطير وفوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف على حدود الشرعِ فإنه مُستَدرج وبدعي

(٣٤) يدعي الأمور الغيبية ويدعي المكاشفات وهو من أهل الفجور، حتى قيل لبعضهم: لماذا لا تحضر الجماعة في المسجد مع الناس؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، أصلي بجوار الكعبة ثم يرجع إلى مكانه. فنعوذ بالله من الخذيلة.

فَوَجَبَ عَلَيَّ أَن أُنكِرَ مَا أَوجَبَ اللهُ إِنكَارَهُ، وَلَا أَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَوجَبَ اللهُ إِظهَارَهُ(٣٥).

فَاعلَم(٣٦) أَنَّ هَهُنَا أُصُولًا(٣٧) هِيَ مِن قَوَاعِدِ الدِّينِ(٣٨)، وَمِن أَهَمِّ مَا تَجِبُ مَعرِفَتُهُ عَلَى المُوَحِّدِينَ:

الأَصلُ الأَوَّلُ: أَنَّهُ قَد عُلِمَ مِن ضَرُورَةِ الدِّينِ(٣٩) أَنَّ كُلَّ مَا فِي القُرآنِ فَهُوَ حَقٌّ(٤٠) لَا بَاطِلَ، وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ(٤١)، وَهُدًى لَا ضَلَالَةَ(٤٢)، وَعِلمٌ لَا جَهَالَةَ(٤٣)، وَيَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ(٤٤).

---

(٣٥) كتمان العلم شأن اليهود والنصارى ومن أوصافهم المذمومة، قال سُبحَانَهُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)﴾[آل عمران:٧١]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾[البقرة:١٥٩].

وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجب أهل العلم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٩].

(٣٦) كلمة يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما يقال.

(٣٧) الأصول: جمع أصل، وهو لغة: أسفل الشيء وأساسه، واصطلاحًا: ما بُنِي عليه غيره.

وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة أصول في توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٣٨) أي: أساس الدين. والدين: ما أمر الله به على ألسنة رسله.

(٣٩) ضرورة الدين قال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب»: الشيء الذي لا يمكن لأحد من المسلمين جهله هو المعلوم بالضرورة من الدين. اهـ.

وهذا كأركان الإيمان، والإسلام، والإحسان.

(٤٠) الحق ضد الباطل، وهذا مما يجب علينا أن نؤمن به أن كل ما في القرآن حق، قال سُبحَانَهُ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾ [فصلت:٥٣]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) ﴾ [البقرة:١٧٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)﴾[محمد: ١-٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾.

(٤١) الصدق ضد الكذب، فكل ما في القرآن صدق، قال سُبحَانَهُ: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) ﴾ [الزمر:٣٣].

(٤٢) القرآن كله هدى؛ ولهذا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في وصفه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) ﴾ [الإسراء:٩]. ويقول سُبحَانَهُ: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢].

وهداية القرآن هداية دلالة وإرشاد.

والهداية على أربعة أقسام:

هداية عامة: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

هداية توفيق وإلهام من الله عَزَّوَجَلَّ: قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

هداية دلالة وإرشاد: قال الله في نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ عن القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

هداية غاية: قال الله عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، وقال عن أهل النار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ [الصافات].

(٤٣) الجهل ضد العلم. قال في «لسان العرب»(١٢٩/١١): الجَهْل: نَقِيضُ العِلْم، وَقَدْ جَهِلَه فُلَانٌ جَهْلًا وجَهَالَة، وجَهِلَ عَلَيْهِ. اهـ.

وهذا هو الأصل في معنى الجهل. يراجع للفائدة «مفردات القرآن»(٢٠٩) للراغب.

والقرآن كله خير وبركة وعلوم وكنوز، وهو منزه عن الجهالة وعن السَّفه؛ وقد جاءت الأدلة بذم الجهل وأهله: قال سُبحَانَهُ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]. وقال تَعَالَى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥]، وقال تعَالَى: ﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

فَهَذَا الأَصلُ أَصلٌ لَا يَتِمُّ إِسلَامُ أَحَدٍ وَلَا إِيمَانُهُ إِلَّا بِالإِقرَارِ بِهِ، وَهَذَا مُجمَعٌ عَلَيهِ لَا خِلَافَ فِيهِ(٤٥).

---

(٤٤) اليقين كما قال ابن منظور في «لسان العرب» (٤٥٧/١٣): العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر، وقد أيقن يوقن إيقانًا فهو موقن ويقن ييقن يقنًا، فهو يقن.

ولا شك فيه أي: لا ريب فيه، قال سُبحَانَهُ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ [البقرة:٢٣]. أي: ادعوا شهداءكم؛ للتعاون في الإتيان بسورة، والله سُبحَانَهُ يتحدى كفار قريش وهم الفصحاء البلغاء فلم يقدروا، وهذا من معجزات القرآن ودليل أنه من عند الله سُبحَانَهُ.

(٤٥) هذا عليه أدلته وعليه إجماع أهل العلم، ففيه رد على الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، و يشككون الناس فيه.

هذا الأصل فيما يجب علينا اعتقاده في القرآن.

واشتمل على ذِكْرِ أوصافٍ للقرآن عظيمة، وبيان عُلُوِّ مكانته وشرفه؛ ولهذا رفع الله عَزَّوَجَلَّ قُرَّاء القرآن وحامليه ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. فحازوا بالشرف والفضل والكرامة؛ لشرف القرآن، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهل القرآن.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

أسئلة الدرس الثاني:

١. ما حكم اعتقاد الضر والنفع في الأموات، وما هو الدليل على ذلك؟

٢. ما حكم من يدعي علم الغيب؟

٣. ما هو الند؟

٤. إذا وجد منكرًا ويستطيع أن يغيره فهل يجب عليه تغييره، مع الدليل؟

٥. ما هي أقسام الهداية؟

٦. ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) ﴾ ما معنى وأزواجهم؟

٧. لو استدل مستدل بفضائل العلم الشرعي على فضائل العلوم الدنيوية، هل يكون مصيبًا أم لا؟

الدرس (٣)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحِ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تطهير الاعتقاد»:

الأَصلُ الثَّانِي(٤٦):

أَنَّ رُسلَ اللهِ وَأَنبِيَاءَهُ(٤٧) -مِن أَوَّلِهِم إِلَى آخِرِهِم(٤٨)- بُعِثُوا لِدُعَاءِ العِبَادِ إِلَى تَوحِيدِ اللهِ بِتَوحِيدِ العِبَادَةِ(٤٩).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٤٦) هذا الأصل الثاني من خمسة أصول ذكرها الإمام الصنعاني في أول هذا الكتاب.

(٤٧) الفرق بين الرسول والنبي عند الجمهور وهو القول المشهور: أن الرسول من أوحي إليه وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغه. وهذا هو المشهور.

وتعريف النبي منتقد، أي: ليس بصحيح؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ» رواه الإمامُ مسلم (١٨٤٤) عن عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

فدل هذا الحديث أن النَّبِيّ مأمور بالتبليغ، واستفدت من والدي رَحِمَهُ اللَّهُ: آحاد الناس مأمورون بالتبليغ ولا يؤمر النبي أن يبلغ؟! كان يستنكر رَحِمَهُ اللَّهُ هذا القول، ومر معنا في أوائل درس «بلوغ المرام».

(٤٨) (مِن أَوَّلِهِم) وأول الرسل نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مرَّ معنا هذا بأدلته، فمن تستحضر الدليل؟

الطالبة تجيب: قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣]، وفي حديث الشفاعة: «فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟» جزء من حديث الشفاعة الطويل رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة.

(إِلَى آخِرِهِم) وآخرهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ، فَالأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ» رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٤٩) تفسير لما قبله، فكل الرسل دعوا إلى توحيد الألوهية، ودليل هذا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء:٢٥]. وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. وقال تَعَالَى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزُّخْرُفِ: ٤٥]

فَكُلُّ رَسُولٍ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ بِهِ أَسماعَ قَومِهِ(٥٠) قَولُهُ: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف](٥١)، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢]، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[نوح:٣].

فكل الرسل بعثوا بالدعوة إلى توحيد الألوهية.

(٥٠) أول ما يدعو إليه الرسل توحيد الألوهية، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما أرسل معاذًا إلى اليمن قَالَ له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ». رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أول بعثته كان تركيز دعوته على توحيد الألوهية واجتناب الشرك، وهذا من التدرج في التعليم والبدء بالأهم، وأهمه العقيدة؛ لأن العقيدة هي الأساس، روى ابن ماجه (٦١) عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا». والحديث في «الصحيح المسند» (٢٧٣) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فينبغي للمعلمين أن يفهموا طريقة الأنبياء في التعليم، وأنه لا يكون البدء بحفظ القرآن، وكم من حافظ للقرآن وهو من أهل الأهواء والبدع؛ لأنهم أقبلوا على حفظ

وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ[٥٢] قَولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

فَإِنَّمَا دَعَتِ الرُّسُلُ أُمَمَهَا إِلَى قَولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ وَاعتِقَادِ مَعنَاهَا، لَا مُجَرَّدُ قَولِهَا بِاللِّسَانِ[٥٣].

القرآن ولم يبدؤوا بعلم العقيدة التي تصحح لهم المسير، وتحميهم من الفهم السقيم، نسأل الله التوفيق والسداد.

إذن أول شيء يبدأ به في الدعوة العقيدة كما هي طريقة أنبياء الله ورسله.

(٥١) ما هي العبادة لغة واصطلاحًا؟

الطالبة تجيب: العبادة في اللغة: الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبَّدٌ، أي: مذلَّلٌ.

واصطلاحًا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْعِبَادَة هِيَ: اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة[٥١].

(٥٢) أي: اشتمل عليه قول: (لا إله إلا الله)، وهو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، فهذا الذي تضمنه قول (لا إله إلا الله) في النفي والإثبات، النفي نفي جميع ما يعبد من دون الله، والإثبات إثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

فما هي أركان لا إله إلا الله؟

الطالبة الصغيرة تجيب: نفي، وإثبات.

(٥٣) الرسل دعوا أممهم إلى قول: (لا إله إلا الله) واعتقاد معناها، فلا بد من الأمرين، قول: (لا إله إلا الله) نطق باللسان، روى البخاري (٣٩٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا

قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في أسواق قريش ويقول لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا» أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٩) عن طارق بن عبدالله المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (٥٢٠)، هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني: اعتقاد معناها، فإذا قال بلسانه ولم يعتقد معناها فإنه لا يصح إيمانه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾ [البقرة:٨]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾ [المنافقون:١]. فلهذا من قال: (لا إله إلا الله) ويأتي بما يناقضها من دعاء غير الله، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والاستغاثة بغير الله، فإنه لا يكون مسلمًا، لا بد أن يقول: (لا إله إلا الله) ويعتقد معناها من إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة، ونبذ الشرك، وسيأتي إن شاء الله في كلام الصنعاني.

إذًا حفظكن الله لو أن كافرًا خاف من القتل وقال: (لا إله إلا الله) فهل يدخل في الإسلام؟ لا يدخل في الإسلام؛ لأنه لم يعتقد معناها.

أو اعتقد معنى (لا إله إلا الله) ولم ينطق بلسانه كذلك لا يكون مسلمًا، فلا بد أن يكون قولًا واعتقادًا.

وَمَعناهَا(٥٤): هُوَ إِفرَادُ اللهِ بِالإِلَهِيَّةِ وَالعِبَادَةِ(٥٥)، وَالنَّفيِّ لِمَا يُعبَدُ مِن دُونِهِ(٥٦)، وَالبَرَاءَةِ مِنهُ(٥٧).

أما نحن فلنا الظاهر والسرائر يتولاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، روى البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦) عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ.

«أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كررها عليه.

«حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ» من شدة الخوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تمنى أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم.

(٥٤) أي: معنى كلمة (لا إله إلا الله).

(٥٥) فلا يعبد سوى الله سُبحَانَهُ.

(٥٦) يعتقد عدم الشريك لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَهَذَا الأَصلُ(٥٨) لَا مِريَةَ(٥٩) فِيمَا تَضَمَّنَهُ، وَلَا شَكَّ فِيهِ، وَفِي أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِيمَانُ أَحَدٍ حَتَّى يَعلَمَهُ وَيُحَقِّقَهُ(٦٠).

---

(٥٧) أي: البراءة من الشرك وأهله. فلا بد من البراءة من الشركيات وأهلها ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) ﴾[الزخرف].

(٥٨) أي: توحيد الألوهية.

(٥٩) أي: لا شك فيه، الشك: استواء الطرفين. أي: تردد، فلا شك عندنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واحد في ذاته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(٦٠) لا بد أن يعتقد ما دلت عليه كلمة (لا إله إلا الله).

خلاصة مسائل هذا الأصل:

أن رسل الله وأنبياءه كلهم دعوا قومهم إلى توحيد الألوهية.

أن أول شيء بدأ به الأنبياء في دعوتهم: توحيد الألوهية.

أنه لا بد من النطق والاعتقاد فيما تضمنته كلمة (لا إله إلا الله).

ومعلوم أن من كان عاجزًا عن الكلام أنه لا حرج عليه أن يعتقد بقلبه ويكفيه في دخوله الإسلام، وهذا هو الأبكم ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨]. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)﴾ [الطلاق].

أسئلة الدرس الثالث:

١. من القائل: لا يستطاع العلم براحة الجسم؟

٢. من أول الرسل وآخرهم مع الدليل؟

٣. هل كل الرسل دعوا إلى توحيد الله، وما هو الدليل؟

٤. وما هو الدليل على أن الدعوة يكون البدء فيها بالعقيدة؟

٥. ما هي أركان (لا إله إلا الله)؟

٦. لو قال: (لا إله إلا الله) ولم يعتقد معناها هل يكون موحدًا؟

٧. وإذا اعتقد معناها ولم يتلفظ بها؟

٨. ما حكم البراءة من الشرك وأهله؟

الدرس (٤)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تطهير الاعتقاد»:

الأَصلُ الثَّالِثُ:

أَنَّ التَّوحِيدَ قِسمَانِ:

القِسمُ الأَوَّلُ: تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَالخَالِقِيَّةِ وَالرَّازِقِيَّةِ وَنَحوِهَا.

وَمَعنَاهُ: أَنَّ اللهَ وَحدَهُ هُوَ الخَالِقُ لِلعَالَمِ، وَهُوَ الرَّبُّ لَهُم وَالرَّازِقُ لَهُم، وَهَذَا لَا يُنكِرُهُ المُشرِكُونَ وَلَا يَجعَلُونَ للهِ فِيهِ شَرِيكًا، بَل هُم مُقِرُّونَ بِهِ، كَمَا سَيَأتِي فِي الأَصلِ الرَّابِعِ (٦١).

وَالقِسمُ الثَّانِي: تَوحِيدُ العِبَادَةِ (٦٢).

وَمَعنَاهُ (٦٣): إِفرَادُ اللهِ وَحدَهُ بِجَمِيعِ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ الآتِي بَيَانُهَا، فَهَذَا (٦٤) هُوَ الَّذِي جَعَلُوا للهِ فِيهِ شُرَكَاءَ، وَلَفظُ الشَّرِيكِ (٦٥) يُشعِرُ بِالإِقرَارِ بِاللهِ تَعَالَى.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٦١) هذا القسم الأول من أقسام التوحيد◉ وهو توحيد الربوبية◉ وهذا كان يقر به المشركون◉ فكانوا يقرون أن الله هو الخالق الرازق المدبر◉ وتقدم بعض الأدلة◉ وسيأتى أيضًا إن شاء الله فى الأصل الرابع الذى بعد هذا.

(٦٢) هذا القسم الثانى توحيد العبادة◉ ويقال له: توحيد الألوهية.

فَالرُّسُلُ عَلَيهِمُ السَّلَامُ بُعِثُوا لِتَقرِيرِ الأَوَّلِ(٦٦) وَدُعَاءِ المُشرِكِينَ إِلَى الثَّانِي(٦٧)، مِثلُ قَولِهِم فِي خِطَابِ المُشرِكِينَ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[إبراهيم: ١٠]، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

---

(٦٣) هذا معنى توحيد العبادة: إِفرَادُ اللهِ وَحدَهُ بِجَمِيعِ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ. فالعبادة لا تكون إلا لله سُبحَانَهُ.

(٦٤) أي: توحيد الألوهية ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلُوا لِلهِ فِيهِ شُرَكَاءَ﴾ أما توحيد الربوبية فكانوا يوحدون الله فيه.

(٦٥) مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد:٣٣]. هذا يشعر بأنهم كانوا مقرين بربوبية الله، وأيضًا يعبدون الله، ولكنهم كانوا يشركون بالله في توحيد الألوهية فكان عبادتهم لله لا شيء، وقد كان مشركو قريش في تلبيتهم يذكرون ذلك، روى مسلم (١١٨٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ.

(٦٦) وهو توحيد الربوبية.

(٦٧) وهو توحيد الألوهية.

وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[فاطر:٣]، وَنَهيُهُم عَن شِركِ العِبَادَةِ(٦٨)، وَلِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

أَي: قَائِلِينَ لِأُمَمِهِم أَنِ اعبُدُوا اللهَ(٦٩).

فَأَفَادَ بِقَولِهِ: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أَنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ لَم تُرسَل إِلَيهِمُ الرُّسُلُ وَتُبعَثُ إِلَّا لِطَلَبِ تَوحِيدِ العِبَادَةِ، لَا لِلتَّعرِيفِ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ لِلعَالَمِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، فَإِنَّهُم مُقِرُّونَ بِهَذَا(٧٠).

وَلِهَذَا لَم تَرِدِ الآيَاتُ فِيهِ(٧١) فِي الغَالِبِ إِلَّا بِصِيغَةِ استِفهَامِ التَّقرِيرِ(٧٢)، نَحوُ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[فاطر:٣]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾[النحل:١٧]، ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠]، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

---

(٦٨) فالرسل يخاطبون المشركين تقريرًا لهم على الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ويحاجونهم في عدم إقرارهم بتوحيد الألوهية.

(٦٩) مر معنا الطاغوت: قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: الطَّاغُوتُ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبدُ حَدَّهُ مِن مَعبُودٍ، أَو مَتبُوعٍ، أَو مُطَاعٍ.

(٧٠) جميع الرسل جاءت بالدعوة إلى توحيد الألوهية، لا للتعريف بأن الله هو الخالق الرازق؛ فإنهم كانوا مقرين بهذا ولا ينكرونه.

العالَم: هو كل ما سوى الله.

(٧١) أي: في توحيد الربوبية.

(٧٢) استفهام على جهة التقرير لهم.

وَالأَرْضِ﴾[الأنعام: ١٤]، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١][(٧٣)]، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[الأحقاف: ٤] استِفهَامُ تَقرِيرٍ لَهُم؛ لِأَنَّهُم بِهِ مُقِرُّونَ [(٧٤)].

وَبِهَذَا تَعرِفُ أَنَّ المُشرِكِينَ لَم يَتَّخِذُوا الأَصنَامَ وَالأَوثَانَ[(٧٥)] وَلَم يَعبُدُوهَا، وَلَم يَتَّخِذُوا المَسِيحَ وَأُمَّهُ [(٧٦)]، وَلَم يَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ شُرَكَاءَ لِلهِ تَعَالَى؛ لِأَجلِ أَنَّهُم أَشرَكُوهُم فِي خَلقِ

---

(٧٣) علَّق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مختصر الصواعق المرسلة»(٨٤) على هذه الآية من سورة لقمان، وقال: فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى هَذَا اللَّفْظَ وَأَوْجَزَهُ وَأَدَلَّهُ عَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ زَعَمُوا أَنَّ آلِهَتَهُمْ خَلَقَتْ مِنْ شَيْءٍ مَعَ اللَّهِ طُولِبُوا بِأَنْ يُرُوهُ إِيَّاهُ، وَإِنِ اعْتَرَفَتْ أَنَّهَا أَعْجَزُ وَأَضْعَفُ وَأَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ آلِهَتُهَا بَاطِلًا وَمُحَالًا!

(٧٤) وهذه مسألة الغالب في آيات توحيد الربوبية جاءت لتقرير المشركين على ذلك، وفيها محاجة لهم كيف يعبدون من لا يخلق؟! ومن صفات الألوهية أن يكون قادرًا على الخلق، وإلا كان عاجزًا لا يستحق أن يعبد.

قال ابن القيم في «مدارج السالكين»(١/٤١٣): يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ مَنْ فَعَلَ لَهُمْ هَذَا وَحْدَهُ فَهُوَ الْإِلَهُ لَهُمْ وَحْدَهُ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ رَبٌّ فَعَلَ هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ رَبٌّ فَعَلَ هَذَا فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ؟

(٧٥)قال الشيخ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد»: الأوثان هي المعبودات التي لا صورة لها، كالقبور والأشجار والعمد والحيطان والأحجار ونحوها.

السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، وَفِي خَلقِ أَنفُسِهِم؛ بَل اتَّخَذُوهُم؛ لِأَنَّهُم يُقَرِّبُونَهُم إِلَى اللهِ زُلفَى(٧٧)، كَمَا قَالُوهُ(٧٨)، فَهُم مُقِرُّونَ بِاللهِ فِي نَفسِ كَلِمَاتِ كُفرِهِم، وَأَنَّهُم شُفَعَاءُ عِندَ

وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر، وأما مع الاقتران، فيفسر كل واحد بمعناه.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «القول المفيد» (١/٢٣٦): الوثن: كل ما عُبِدَ من دون الله، من شجر، أو حجر، سواء نحت أو لم ينحت. والصنم يختص بما صنعه الآدمي.

فالحاصل أن الأوثان، جمع وثن، وهو كل ما عُبد من دون الله سواء نُحت أو لم ينحت.

والأصنام: جمع صنم، وهو ما كان منحوتًا، يعني: يصنعه الآدمي، يصنع المشرك له إلهًا، يأتي إلى حجر ويصنعه على الصورة التي يريد على صورة إنسان أو حيوان.. ويعبده، أو يعمد إلى طين ويصنعه على صورة إنسان، ويعبده يتخذه شريكًا لله.

وهذا التفريق عند الاجتماع، أما إن افترقا شَمَلَ كل واحد منهما الآخر.

(٧٦) المسيح هو عيسى ابن مريم، وأمه مريم.

(٧٧)زلفى أي: قربة.

(٧٨) كما شهدوا بذلك على أنفسهم ومضى معنا هذا، كقوله تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى [٧٩]: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٨٠] [يونس: ١٨].

فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى اتِّخَاذَهُم لِلشُّفَعَاءِ شِركًا [٨١]، وَنَزَّهَ نَفسَهُ عَنهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَشفَعُ عِندَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذنِهِ [٨٢]، فكَيفَ يُثبِتُونَ شُفَعَاءَ لَهُم لَم يَأذَنَ اللهُ لَهُم فِي شَفَاعَةٍ [٨٣]، وَلَا هُم أَهلٌ لَهَا [٨٤]، وَلَا يُغنُونَ عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا؟!

شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس].

(٧٩) منكرًا عليهم.

(٨٠) أي: تقدس وتنزه عما يقولون.

(٨١) فاتخاذهم شفعاء وسائط بينهم وبين الله شرك؛ لأنهم يتخذون وسائط يدعونهم، ويستغيثون به، ويذبحون لهم، ويتصدقون لهم، يعبدونهم من دون الله؛ ليقربوهم زلفى إلى الله في مصالحهم ودفع الضر عنهم، لا أنهم كانوا مؤمنين بالبعث، فبيَّن الله تَعَالَى أن اتخاذ وسائط شفعاء شرك.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» رقم الآية(٣) من سورة الزمر: أخبر عَزَّوَجَلَّ عَنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى. أَيْ: إِنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَصْنَامٍ اتَّخَذُوهَا عَلَى صُوَرِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي زَعْمِهِمْ، فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَرَ؛ تَنْزِيلًا لِذَلِكَ مَنْزِلَةَ عِبَادَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ

الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدُّنْيَا، فَأَمَّا الْمَعَادُ فَكَانُوا جَاحِدِينَ لَهُ كَافِرِينَ بِهِ.

(٨٢) قال تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٨٣) طرقوا باب شفاعة ممنوعة، وهي اتخاذ الوسائط، وتركوا السبب الشرعي في نيل الشفاعة، وهو توحيد الله سُبْحَانَهُ وإفراده بالعبادة، روى الإمام البخاري (٩٩) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ».

(٨٤) أي: لجهلهم يطلبون الشفاعة ممن: لَمْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُم فِي شَفَاعَةٍ، وَلَا هُم أَهلٌ لَهَا، وَلَا يُغنُونَ عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا.

فيعمدون إلى أحجار وأشجار وغيرها ويعبدونها؛ لتشفع لهم عند الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يأذن بهذا، ولا يغنون عنهم من الله شيئًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/٣٥٣)-في سياق أنواع الشرك الأكبر-:

مِنْ أَنْوَاعِهِ طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ.

وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضْلًا عَمَّنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَسَأَلَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَى اللَّهِ فِيهَا، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِ بِالشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ عِنْدَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ لَمْ يَجْعَلِ اسْتِغَاثَتَهُ وَسُؤَالَهُ سَبَبًا لِإِذْنِهِ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ لِإِذْنِهِ كَمَالُ التَّوْحِيدِ، فَجَاءَ هَذَا الْمُشْرِكُ بِسَبَبٍ يَمْنَعُ الْإِذْنَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتَعَانَ فِي حَاجَةٍ بِمَا يَمْنَعُ حُصُولَهَا، وَهَذِهِ حَالَةُ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَالْمَيِّتُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يَدْعُو لَهُ، وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، كَمَا أَوْصَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا زُرْنَا قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَنَسْأَلَ لَهُمُ الْعَافِيَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، فَعَكَسَ الْمُشْرِكُونَ هَذَا، وَزَارُوهُمْ زِيَارَةَ الْعِبَادَةِ، وَاسْتِقْضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ، وَجَعَلُوا قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا تُعْبَدُ.اهـ.

والشفاعة المثبتة يوم القيامة لا بد فيها من شروط:

إسلام المشفوع له، قال تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، فالكافر لا تنفع فيه الشفاعة ولا تقبل الشفاعة فيه.

الإذن للشافع، قال تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الرضى عن المشفوع له، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: ٢٨].

قدرة الشافع على الشفاعة، فالعاجز عن الشفاعة لا يشفع كالجمادات من الأحجار والأشجار ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

ونعوذ بالله من تزيين الشيطان للشرك والباطل، فإنه يزين الشرك والباطل ويجعله في صورة حسنة، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[محمد:٢٥] أي: زين لهم أعمالهم.

وأحب شيء إلى الشيطان معصية الشرك؛ لأنها أعظم ذنب، ولأنها لا سعادة لأحد أبدًا، لا ينال السعادة من كان على الشرك، بل هو من الأشقياء ومن أهل النار، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

حاصل مسائل هذا الأصل:

- بيان أقسام التوحيد، وقد اقتصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قسمين؛ لأن توحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية.

وأما إضافة بعضهم توحيد الحاكمية هذا لا يحتاج له؛ لأنه يجوز أن يكون داخلًا في توحيد الربوبية، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ويجوز أن يكون داخلًا في توحيد الألوهية؛ لأنه من فعل ابن آدم يتحاكم إلى الشرع، فهو من صنع ابن آدم، فيجوز هذا ويجوز هذا؛ ولهذا لا يجعل قسمًا آخر.

- أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولا ينكرونه.
- أن شرك المشركين المتقدمين كان في توحيد الألوهية، فهم يقرون بالله سُبحَانَهُ، ولكنهم يجعلون لله شريكًا في توحيد العبادة، ولم يُغْنِ عنهم ذلك شيئًا.
- أن الآيات في توحيد الربوبية الغالب فيها أنها جاءت بصيغة استفهام التقرير؛ لأنهم مقرون به.



• أن اتخاذ شفعاء وسائط بين العبد وربه شرك أكبر.

❐ أسئلة الدرس الرابع:

١. ما هي أقسام التوحيد؟

٢. عرفي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية؟

٣. ما هو الأصل الذي دعت جميع الرسل أقوامهم إليه؟

٤. اذكري أدلة على أن جميع الرسل دعت إلى إفراد الله بالعبادة؟

٥. من هو الطاغوت؟

٦. أي قسم من أقسام التوحيد كان كفار قريش يقرون به؟

٧. ما هي شروط الشفاعة المثبتة يوم القيامة؟

٨. ما الفرق بين الوثن والصنم؟

الدرس (٥)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بْنِ صَلَاحِ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تطهير الاعتقاد»:

الأَصلُ الرَّابِعُ:

أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ إِلَيهِم مُقِرُّون أَنَّ اللهَ خَالِقُهُم ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: ٨٧]، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)﴾[الزخرف: ٩]، وَأَنَّهُ الرَّزَّاقُ الَّذِي يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُدبِّرُ الأَمرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرضِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفئِدَةَ.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ(٨٥) وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾[يونس: ٣١].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٨٥) أي: يخرج المؤمن من الكافر، والسنبل الحي من الحبة اليابسة، ونحو ذلك.

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي: الكافر من المؤمن؛ لأن الكفر موت، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ[(٨٦)] كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وهكذا الحبة اليابسة يخرجها الله سُبحَانَهُ من النبات الحي، ونحو ذلك.

وقد ذكر أمثلةً لذلك الحافظ ابن كثير في «تفسيره»(٦/٣٠٣) في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، وقال: هُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَابِلَةِ. وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمُتَتَابِعَةُ الْكَرِيمَةُ كُلُّهَا مِنْ هَذَا النَّمَطِ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ فِيهَا خَلْقَهُ الْأَشْيَاءَ وَأَضْدَادَهَا؛ لِيَدُلَّ خَلْقُهُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

إِخْرَاجُ النَّبَاتِ مِنَ الْحَبِّ، وَالْحَبِّ مِنَ النَّبَاتِ، وَالْبَيْضِ مِنَ الدَّجَاجِ، وَالدَّجَاجِ مِنَ الْبَيْضِ، وَالْإِنْسَانِ مِنَ النُّطْفَةِ، وَالنُّطْفَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

(٨٦) أي: الْمُلْكُ، وَالواو والتَّاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ. ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي: يؤمِّن من شاء سُبحَانَهُ. ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: لا يؤمَّن عليه؛ لأن الخير والشر والضر والنفع بيد الله سُبحَانَهُ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس:١٠٧].

ويقول سُبحَانَهُ: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ [فاطر:٢].

عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى[٨٧] تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾[المؤمنون: ٨٤-٨٩][٨٨].

---

(٨٧)«أنى» اسم استفهام بمعنى: كيف، أي: كيف تسحرون؟! وتسحرون بمعنى: تصرفون.

(٨٨) هذه جملة من الأدلة في بيان أن مشركي قريش ما كانوا يشركون بالله في توحيد الربوبية، فهم مقرون أن الله تَعَالَى خالقهم، وأن الله الذي خلق السموات والأرض، وأنه الرزاق المدبر، مالك الملك، ولكن كان شركهم في توحيد الألوهية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾[الصافات]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾[ص:٥].

قال الشيخ المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني»(٥/٤٨): وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى عن مشركي العرب أنهم يعترفون بوجود الله، وأنه الذي يرزقهم من السماء والأرض، والذي يملك السمع والأبصار، والذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، والذي يدبر الأمر، والذي له السموات والأرض، وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم، وأنه بيده ملكوت كل شيء، والذي يجير ولا يجار عليه، وأنه الذي خلق السموات والأرض، وسَخَّر الشمسَ والقمر، وأنه الذي ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها، وأنه العزيز العليم.. إلى غير ذلك.

إذا عرفنا ذلك فقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ لا يمكن أن يُحْمَل على إنكار وجود الرب، ولا إنكار تدبيره مطلقًا؛ إذْ لا دلالة فيه على ذلك، وقد عُلِم أن القوم كانوا يعترفون بوجود الرب، وأنه المُدبِّر مطلقًا.

إذًا بقي أن يقال: إنهم إنما أنكروا أن يكون الله تعالى هو الذي يهلكهم، وهذا بعيد؛ لأنه يوجد في كلامهم ما يخالفه.

والذي يظهر لي في قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[الجاثية:٢٤] احتمالان:

الأول: أن يكون هذا قول فرد أو أفراد منهم، عاندوا به ما أُوْرِد عليهم في إنكار البعث؛ فإن سياق الآيات إنما هو لإثبات البعث، كأنه قيل لهم: إن الله تعالى إنما يميت الناسَ؛ ليرجعهم إلى ما أعدّ لهم مما يستحقونه، وإلا فلماذا يميتهم؟!

الاحتمال الثاني: أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ أراد به القول الذي كان شائعًا بينهم من نِسْبة الحوادث إلى الدهر، كما هو كثير في أشعارهم، فإن ذلك وإن كُنّا إذا عرضناه على ما عُلِم من اعترافهم بوجود الله عَزَّوَجَلَّ وأنه المدبر يترجَّح لنا أنهم إنما كانوا يطلقونه مجازًا، إلا أنه لمَّا شاع وذاع بينهم كان من أشدِّ أسباب الغفلة عن الله عَزَّوَجَلَّ وتدبيره، وصار أحدهم يطلقه؛ تبعًا للاستعمال الشائع الذائع، وربما يغفل عن كونه مجازًا، وإن كان إذا نُبِّه وقُرِنَ له ذلك بما يعترف به من وجود الله عَزَّوَجَلَّ وأنه المُدبِّر تنبه؛ لأنه مجاز.

وَهَذَا فِرعَونُ مَعَ غُلُوِّهِ فِي كُفرِهِ وَدَعواهُ أَقبَحَ دَعوَى وَنُطقِهِ بِالكَلِمَةِ الشَّنعَاءِ(٨٩)، يَقُولُ اللهُ فِي حَقِّهِ حَاكِيًا عَن مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ(٩٠): ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾(٩١)[الإسراء: ١٠٢].

وَقَالَ إِبلِيسُ(٩٢): ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾[الحشر: ١٦](٩٣)، وَقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾[الحجر: ٣٦](٩٤).

---

(٨٩) في قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)﴾[النازعات:٢٤]، وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص:٣٨].

(٩٠) ونلاحظ في عبارة الصنعاني أنه أتى بلفظ حاكيًا، فإذا استدل مستدل بآية قرآنية ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ عن نبي من أنبيائه أو بعض أوليائه أو عن بعض أعدائه لا بأس أن يقول: قال الله تَعَالَى حاكيًا عن نبيه عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾[المائدة]، أو عن اليهود كذا، أو حاكيًا عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:٧١]، وقد استعملها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع كثيرة من كتبه.

وكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أيضًا يذكر هذا في استدلاله، فهي عبارة منقولة عن سلفنا الصالح.

(٩١) هذا دليل على أن فرعون مقر في قلبه بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، وكما قال تَعَالَى في سورة النمل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: ١٤].

(٩٢) إبليس أبو الجن، فالجن ذرية إبليس.

وَكُلُّ مُشرِكٍ مُقِرٌّ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُهُ وَخَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَرَبُّهُنَّ وَرَبُّ مَا فِيهِنَّ وَرَازِقُهُم؛ وَلِهَذَا احتَجَّ عَلَيهِمُ الرُّسُلُ بِقَولِهِم: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٧]، وَبِقَولِهِم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ (٩٥) [الحج: ٧٢].

---

(٩٣) سبق لنا من العالَم؟

الطالبة تجيب: كل ما سوى الله.

(٩٤) وهذا من الأدلة على إقرار الكفار بربوبية الله، ومنهم إبليس كان يقر بربوبية الله، وفرعون كان يقر بربوبية الله في الباطن لا في الظاهر.

(٩٥)أي: لا يستطيع أحدهم أن يخلق ذبابًا على انفراده، ولا أيضًا ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾، حتى ولو تعاونوا على خلقه ما استطاعوا؛ لأن الخلق من خصوصيات رب العالمين.

وهذا–كما تقدم–فيه أن الرسل يحتجون على قومهم في إقرارهم بتوحيد الربوبية وأنه الخالق الرازق المالك المدبِّر..، وأنه يلزمهم أن يقروا بتوحيد الألوهية، فما داموا مقرين بتوحيد الربوبية يلزمهم توحيد الألوهية، وقد علمنا قاعدة سابقة: من أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية.

وأنبِّه على شيءٍ أن الشرك بابه واسع، وخطره كبير؛ فلا تمل النفوس من تكرار توحيد الألوهية، وهذا نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)﴾ [إبراهيم].

وَالْمُشْرِكُونَ مُقِرُّونَ بِذَلِكَ وَلَا يُنكِرُونَهُ (٩٦).

الأَصلُ الخَامِسُ (٩٧):

وكم من إنسان يقول: لا إله إلا الله، ويأتي بما يناقضها، يحلف بغير الله وهو يقول: لا إله إلا الله، والحلف بغير الله شرك، أو يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، يستغيث بغير الله، ينذر لغير الله، يعتقد في الأموات أنهم يضرون وينفعون، وهو يقول: لا إله إلا الله، وإذا مرض أو مرض ولده يذهب إلى المنجمين الذين يدعون علم الغيب، فيأتي بما يناقض كلمة التوحيد.

ويقع الإنسان في الرياء ومحبة السمعة والشهرة بين الناس، والرياء من الشرك.

(٩٦) انتهينا من الأصل الرابع، وحاصل هذا الأصل:

- إقرار المشركين بتوحيد الربوبية.
- محاجتهم في ذلك، فإن من أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية.

واستفدنا أن فرعون الطاغية كان يقر في قلبه بتوحيد الربوبية، ولدينا في هذا الدرس كم أدلة على هذا؟ عندنا دليلان: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾

الجحد: الإنكار بعد المعرفة.

(٩٧) وما بعد هذا عبارة عن فصول، فالأصل الأول: (أَنَّهُ قد عُلِمَ مِن ضَرُورَةِ الدِّينِ أَنَّ كُلَّ مَا فِي القُرآنِ فَهُوَ حَقٌّ لَا بَاطِلَ، وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ، وَهُدًى لَا ضَلَالَةَ، وَعِلمٌ لَا

أَنَّ العِبَادَةَ أَقصَى بَابُ الخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ(٩٨)، وَلَمْ تُستعمَل إِلَّا فِي الخُضُوعِ لِلهِ؛ لِأَنَّهُ مُولِي أَعظَمِ النِّعَمِ(٩٩)، وَكَانَ لِذَلِكَ حَقِيقًا بِأَقصَى غَايَةِ الخُضُوعِ، كَمَا فِي «الكَشَّافِ»(١٠٠).

جَهَالَةَ، وَيَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ) فيه الثناء على القرآن وبيان بعض أوصافه، وما يجب علينا اعتقاده في القرآن وأنه حق من عند الله سُبحَانَهُ.

الأصل الثاني: (أَنَّ رُسلَ اللهِ وَأَنبِيَاءِهِ-مِن أَوَّلِهِم إِلَى آخِرِهِم-بُعِثُوا لِدُعَاءِ العِبَادِ إِلَى تَوحِيدِ اللهِ بِتَوحِيدِ العِبَادَةِ) فيه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل رسله وأنبياءه بالتوحيد الألوهية من أولهم إلى آخرهم.

الأصل الثالث: (أَنَّ التَّوحِيدُ قِسمَانِ) في بيان أن التوحيد قسمان.

الأصل الرابع الذي قرأناه في هذا الأصل: (أَنَّ المُشرِكِينَ الَّذِينَ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ إِلَيهِم مُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ خَالِقُهُم) في بيان أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن هذا لم ينفعهم؛ لأنهم لم يقروا بتوحيد الألوهية، بل قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾.

والأصل الخامس: (أَنَّ العِبَادَةَ أَقصَى بَابُ الخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ) فيه عظم العبادة.

(٩٨) وهذا حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويشترط في التعبد أن يكون مع محبة؛ لأنه قد يتذلل مع بغض، كمن يتذلل لجبار وهو يبغضه، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية»:

وعبادة الرحمن غاية حبه ❁ مع ذلِّ عابـــده هما قطبــان

وعليهما فَلَك العبادة دائر ❁ وما دار حتى قامت القطبـان

ومداره بالأمر أمر رسوله ❁ لا بالهوى والنفس والشيطان

(٩٩) أي: معطي أعظم النعم. ونعم الله على قسمين:

عامة وهي للبر والفاجر، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وهذا كالرزق، والعافية، والولد، وسائر نعم الله كالجوارح السمع والبصر والعقل إلى غير ذلك.

قال ابن جرير الطبري في «تفسير»(١/١٢٨): قد عمَّهم به والكفارَ في الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم، في البَسْط في الرزق، وتسخير السحاب بالغَيْثِ، وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأجسام والعقول، وسائر النعم التي لا تُحصى، التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون. اهـ.

فهذه رحمة ونعمة عامة، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[إبراهيم: ٢٨-٢٩].

ونعمة خاصة بأولياء الله سُبحَانَهُ، قال تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: ٧]، وهذه أعظم النعم؛ لأنها فيها السعادة الأبدية والسلامة من كل مكروه والنجاة من النار، والنعمة الخاصة نعمة الدين.

(١٠٠) «الكشاف» للزمخشري محمود، وهو من رؤوس المعتزلة، وكتابه «الكشاف» في تفسير القرآن، والزمخشري لغوي، فكتابه التفسير مليء بالكلمات اللغوية، لكنه يخدم عقيدة المعتزلة في نفي الصفات، وفي إنكار خروج الموحدين من النار ونحو ذلك. فهو

كما يقال: يدس السم في العسل، وقد يكون تأويله المنحرف خفيًّا لا يعرفه إلا الأقوياء في العلم، ممن يستخرج الأشياء بالمنقاش، ويغربل الكلمات غربلة؛ فلهذا يجب الحذر من النقولات عنه، وأهل العلم ينقلون عنه ما هجروا كتابه بالكلية، ينقلون عنه الأشياء الصحيحة خاصة التي تتعلق باللغة، ولكن من لا يقدر على التمييز وليس عنده ما يؤهله لفهم كلام الزمخشري فيجتنب، والسلامة لا يعادلها شيء.

واعلمي علمني الله وإياك أن الكتاب يعتبر جليسًا، فأحسني اختيار الكتاب، ولا تقرئي في كتُب الضلال، نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رواه أبو داود (٤٨٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وهو في «الصحيح المسند» (١٢٧٢) لوالدي رَحِمَهُ اللهُ

فالكتاب جليس، وهذا الجليس قد يكون فيه الخير، وقد يكون فيه الشر، فاحرصي على اقتناء الكتب المفيدة كـ«الصحيحين»-«صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»-وبقية الأمهات الست، وهكذا كتب علمائنا: كتب الشيخ الألباني، والدي رَحِمَهُ اللهُ يقول: أي مكتبة ليس فيها كتب الشيخ الألباني فهي فقيرة، أي: ناقصة، وهكذا كتب الشيخ ابن باز، وكتب الشيخ ابن عثيمين، كتب الشيخ الوالد الوادعي ، وقبل ذلك كتب ابن تيمية وابن القيم، وتقرئين الذي تستفيدين منه، الذي يسهل عليك، ولكن في بدء الطلب الوقت ليس مناسبًا للمطالعة والقراءة في الكتب، المطلوب تكثيف الجهود في الدروس، يقول والدي رَحِمَهُ اللهُ: رب جلسة عند المعلم تعدل قراءة شهر؛ لأن المعلم بارك الله فيكن يأتي بالزبدة يأتي بالحاصل، وقد يكون بقي يبحث أيامًا أو ساعات في

ثُمَّ إِنَّ رَأْسَ العِبَادَةِ وَأَسَاسَهَا التَّوحِيدُ لِلهِ الَّذِي تُفِيدُهُ كَلِمَتُهُ (١٠١) الَّتِي إِلَيهَا دَعَت جَمِيعُ الرُّسُلِ، وَهِيَ قَولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) (١٠٢).

مسألة، أو في حال حديث، أو في راوٍ من الرواة؛ ولأن مجلس المعلم يكون فيه النصائح والتوجيهات التي تُصلح القلب وتعالجه من أمراضه، في الحث على الزهد في الدنيا، في الإخلاص، في الصبر، في المجاهدة، فتأتي أحيانًا نصيحة في موضعها، فيخرج الطالب وتخرج الطالبة بحال آخر.

وكما قال والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض الصوتيات: رب كلمة واحدة تغير حياتك.

ينتفع بها؛ لأن المؤمن ينتفع بالتذكير ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات:٥٥]. فقد يكون لا يخشع في صلاته فيسمع كلمة في الخشوع ينتفع بها ومن حين سماعها صار يجاهد في الخشوع في صلاته ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ [المؤمنون]، قد يكون يضيع وقته فيسمع نصيحة في الحرص على الوقت، وأنه رأس المال، فيتغير حاله، ويحرص على وقته، بينما كان لا يبالي في وقته يذهب في النوم أو الخروج أو الضحك والمزاح، ما كان يبالي، لكن كلمة واحدة انتفع بها، روى البخاري (٦٤١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ». فالعلم نور، يقود إلى الله وإلى طريق الجنة، ومجالس العلم خير وبركة، قربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومن مكفرات الذنوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١٠١) أي: كلمة لا إله إلا الله.

وَالْمُرَادُ اعْتِقَادُ مَعنَاهَا وَالعَمَلُ بِمُقتَضَاهَا، لَا مُجَرَّدَ قَولِهَا بِاللِّسَانِ (١٠٣).

وَمَعنَاهَا (١٠٤): إِفرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ وَالإِلَهِيَّةِ، وَالنَّفيُ (١٠٥)، وَالبَرَاءَةُ مِن كُلِّ مَعبُودٍ دُونَهُ (١٠٦).

---

(١٠٢) هذه مسألة -تنبهي لها- رأس العبادة وأساسها -أي: أصلها- توحيد الألوهية، التي خلق الله الجن والإنس من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات:٥٦]. أي: ليوحدون.

والتي أرسل الله جميع الرسل من أجلها ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والتي فيها الفوز بالجنة والنجاة من النار، كما روى مسلم (٩٣) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ».

فما رأس العبادة وأساسها؟ توحيد الألوهية.

(١٠٣) وهذا تقدم أنه لا بد من أمرين: النطق باللسان، والاعتقاد بالجنان، لو قالها بلسانه ولم يعتقد بقلبه لم يدخل في الإسلام، ولو قالها معتقدًا بقلبه ولم يقلها بلسانه لم يدخل في الإسلام، وتقدم الدليل في ذلك.

(١٠٤) أي: معنى لا إله إلا الله.

(١٠٥) وهذا هو أركان لا إله إلا الله النفي والإثبات.

(١٠٦) أي: سوى الله.

وَقد عَلِمَ الكُفَّارُ هَذَا المَعنَى(١٠٧)؛ لِأَنَّهُم أَهلُ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ(١٠٨)، فقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾[ص:٩](١٠٩).

الموالاة والمعاداة في الله سُبحَانَهُ.

سؤال: اذكري دليلًا على البراءة من الشرك؟

الطالبة تجيب: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة:٢٢]. وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾[الزخرف].

(١٠٧) أي: معنى لا إله إلا الله، وأن معناه: إفراد الله بالعبادة، والكفر بما سوى الله سُبحَانَهُ، فالكفار يعرفون هذا المعنى.

(١٠٨) وهذا يعني كفار قريش.

(١٠٩) استفدنا من هذا الأصل الأخير:

- عظم العبادة، فهي التي خُلق العباد من أجلها.
- رأس العبادة وأساسها توحيد الألوهية.
- أنه لا بد من اعتقاد معنى لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها -أي: بما تقتضيه- وإلا لم ينفعه قولها باللسان.

أسئلة الدرس الخامس:

١. هل من دليل على أن المشركين كانوا مقرين بأن الله خلقهم؟

٢. هل من دليل على أن المشركين كانوا مقرين بأن الله الذي خلق السموات والأرض؟

٣. هل كان المشركون مقرين بأن الله المتفرد بالخلق عمومًا لا يشركه فيه أحد مع الدليل؟

٤. قوله ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ مثل ماذا؟

٥. ما معنى ملكوت؟

٦. ما هي الكلمة الشنعاء التي نطق بها فرعون؟

٧. هل كان فرعون يقر أن الله هو الرب؟

٨. ما معنى العبادة؟

٩. ما رأس العبادة وأساسها؟

١٠. إذا اعتقد معنى لا إله إلا الله بقلبه ولم ينطق بلسانه هل ينفعه في دخول الإسلام أم لا؟

١١. وإذا نطقها بلسانه ولم يعتقدها بقلبه هل يعتبر مسلمًا؟

الدرس (٦)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَصلٌ (١١٠)

إِذَا عَرَفتَ هَذِهِ الأُصُولَ(١١١) فَاعلَم (١١٢) أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ العِبَادَةَ لَهُ أَنوَاعًا: اعتِقَادِيَّةً (١١٣): وَهِيَ أَسَاسُهَا(١١٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١١٠) الفصل: قطعة من الباب مستقلة بنفسها، منفصلة عما سواها. كما في «التعريفات»(١٦٧) للجرجاني.

(١١١) وهي الأصول الخمسة، الأصل الأول بأن القرآن حق من عند الله، والأصل الثاني: بأن الله بعث الرسل كلهم للدعوة إلى توحيد الله وحده لا شريك له، والأصل الثالث: أن التوحيد قسمان، والأصل الرابع: أن المشرين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، والأصل الخامس: أن العبادة أقصى شيء في الخضوع والتذلل.

(١١٢) كلمة يؤتَى بها إذا كان ما بعدها أمرًا مُهمًّا؛ ليلقي السامعُ سمعه بالكلية على استماعِه. كما في حاشية الهرري على «شرح ملحة الإعراب»(١/١٥٠).

(١١٣) عبادة اعتقادية، وإن شئت قلت: عبادة قلبية.

(١١٤) أساس أنواع العبادة: الاعتقاد.

وَذَلِكَ أَنْ يَعتَقِدَ أَنَّهُ الرَّبُّ (١١٥) الوَاحِدُ (١١٦) الأَحَدُ(١١٧)، الَّذِي لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ(١١٨)، وَبِيَدِهِ النَّفعُ وَالضُّرُّ(١١٩)، وَأَنَّه الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ (١٢٠)، وَلَا يَشفَعُ عِندَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذنِهِ(١٢١)، وَأَنَّهُ لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ غَيرُهُ(١٢٢)، وَغَيرُ ذَلِكَ مِن لَوَازِمِ الإِلَهِيَّةِ (١٢٣).

---

(١١٥) سبق لنا من معاني الرب: المربي، المالك، المدبر، المصلح، السيد، المنعم.

ومن لازم توحيد الربوبية أن يقر بتوحيد الألوهية؛ فلهذا قد نجد أنهم يفسرون توحيد الربوبية بأنه المعبود...

(١١٦) أي: الواحد في ذاته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(١١٧) مقارب لاسم الله الواحد.

(١١٨) كما قال تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]

(١١٩) النفع والضر بيد الله، قال الله سُبحَانَهُ عن نبيه إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ [الأنبياء]. وقال سبحانه في شأن العجل الذي اتخذه بنو إسرائيل: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)﴾ [طه: ٨٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس:١٠٧].

(١٢٠) لا شريك له في ملكه، لا شريك له في ربوبيته، ولا ألوهيته.

وَمِنهَا لَفظِيَّةٌ[١٢٤]: وَهِيَ النُّطقُ بِكَلِمَةِ التَّوحِيدِ[١٢٥]، فَمَنِ اعتَقَدَ مَا ذُكِرَ[١٢٦] ولَم يَنطِق بِهَا لَم يُحْقَن دَمُهُ وَلَا مَالُهُ، وَكَانَ كَإِبلِيسَ، فَإِنَّهُ يَعتَقِدُ التَّوحِيدَ، بَل وَيُقِرُّ بِهِ كَمَا أَسلَفنَاهُ عَنهُ[١٢٧]، إِلَّا أَنَّه لَم يَمتَثِل أَمرَ اللهِ بِالسُّجُودِ فَكَفَرَ[١٢٨].

---

(١٢١) وهذا يدل على أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هو المالك، يملك النفع والضر، ويملك الشفاعة ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾ [الزمر:٤٤].

(١٢٢) وهذا هو توحيد الألوهية، لا معبود بحق إلا الله.

ومن العبادة الاعتقادية: الخشية، الإنابة، الخوف، الرغبة، الرجاء، التوكل، الخضوع.

(١٢٣) هذه أمثلة من لوازم الألوهية، فمن لوازم الألوهية أن الله هو المتفرد بالخلق، والملك، والنفع والضر، والأمر؛ فلهذا من كان لا يتصف بذلك فإنه لا يستحق أن يكون إلهًا، ومن لوازم الألوهية الغِنى المطلق، وهذا لا يكون إلا لله سُبحَانَهُ ﴿وأن الله غنى حميد﴾، ولكمال غناه سُبحَانَهُ لم يحتج إلى ولد، لا يحتاج إلى الولد إلا ناقص، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) ﴾ [المؤمنون:٩١]. ويقول سُبحَانَهُ: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) ﴾ [الجن:٣]. ويقول: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) ﴾ [مريم:٩٢].

(١٢٤) النوع الثاني: عبادة لفظية.

(١٢٥) وهذا أعلى النطق كلمة التوحيد لا إله إلا الله، كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٢٦)أي: ما ذُكر في العبادة الاعتقادية.

(١٢٧) أي: قدمناه عنه في الأصل الرابع.

(١٢٨) من لم ينطق بكلمة التوحيد لا يكون مسلمًا كما تقدم الدليل: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» رواه البخاري(٣٩٢).

وأبو طالب كان يعتقد أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الحق ولكنه لم ينطق بكلمة التوحيد، روى البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ: يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ،

وَمَن نَطَقَ بِهَا وَلَمْ يَعتَقِد حُقِنَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ، وَحُكمُهُ حُكمُ المُنَافِقِينَ(١٢٩).

وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآيَةَ.

«أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ» ملة عبد المطلب كفرية شركية، وهذا نص في أن عبد المطلب جد النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مات على الشرك. ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦].

وقد جاء أبيات عن أبي طالب وفيها أنه قال:

وَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ❁ مِن خَيرِ أَديَانِ البَرِيَّةِ دِينًا

فهذه عقيدته، ولكنه لم ينطق بكلمة التوحيد فخرج من هذه الدنيا مشركًا، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

(١٢٩) قال: لا إله إلا الله، ولكنه لم يعتقد ذلك بقلبه فللمسلمين ظاهره، يكون معصوم الدم والمال وحسابه على الله، الله يتولى حسابه، وهذا شأن المنافقين الاعتقاديين، يكونون في أوساط المسلمين في الصلاة والجماعات والأعياد والجمعات، ويخرجون في الجهاد، ولكن ليسوا مع المسلمين بقلوبهم، فهؤلاء يعامَلون معاملة المسلمين كما فعل النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع المنافقين، كان يعاملهم معاملة المسلمين، حتى فضح الله عَزَّ وَجَلَّ رؤوسهم كعبدالله بن أبي بن سلول أنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ

وَبَدَنِيَّةٌ: كَالقِيَامِ، وَالرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ، وَمِنهَا الصَّوْمُ، وَأَفعَالُ الحَجِّ، وَالطَّوَافُ(١٣٠).

وَمَالِيَّةٌ(١٣١): كَإِخرَاجِ جُزءٍ مِنَ المَالِ؛ امتِثَالًا لِمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ.

وَأَنوَاعُ الوَاجِبَاتِ وَالمَندُوبَاتِ فِي الأَموَالِ وَالأَبدَانِ وَالأَفعَالِ وَالأَقوَالِ كَثِيرَةٌ(١٣٢)، لَكِن هَذِهِ(١٣٣) أُمَّهَاتُهَا(١٣٤).

عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ (٨٤)﴾ [التوبة].

(١٣٠) هذه عبادة بدنية، ومنها أيضًا: الخروج إلى المساجد، والرحلة في طلب العلم، والمشي إلى عيادة مريض، أو صلة الأرحام، والجهاد...

(١٣١) هذه عبادة مالية.

(١٣٢) لأن تعريف العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

(١٣٣) (هَذِهِ) أي: هذه الأنواع المذكورة عبادة اعتقادية، عبادة قولية، عبادة بدنية، عبادة مالية، فهذه أمهاتها كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»، وفي رواية «وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَالحَجِّ».

(١٣٤) (أُمَّهَاتُهَا) أي: أصول أنواع العبادة.

قال ابن فارس في «مجمل اللغة»(٨١): أصل كل شيء أم.

ومنه قيل للكتب الستة: الأمهات الست، أي: أصول كتب السنة

وَإِذَا تقَرَّرَت هَذِهِ الأُمُورُ(١٣٥)، فَاعلَم أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ الأَنبِيَاءَ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِن أَوَّلِهِم إِلَى آخِرِهِم يَدعُونَ العِبَادَ إِلَى إِفرَادِ اللهِ تَعَالَى بِالعِبَادَةِ(١٣٦)، لَا إِلَى إِثبَاتِ أَنَّه خَلَقَهُم وَنَحوِهِ(١٣٧)؛ إِذ هُم مُقِرُّونَ بِذَلِكَ(١٣٨)، كَمَا قَرَّرنَاهُ وَكَرَّرنَاهُ(١٣٩)؛ وَلِذَا قَالُوا:

---

(١٣٥) وفي بعض النسخ: أصول.

(١٣٦) الدليل على ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وقال تَعَالَى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٤٥]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحْلِ: ٣٦].

(١٣٧) كالرزق والإماتة والتدبير والملك.

(١٣٨) هذا تعليل لكون الرسل بُعثوا إلى أممهم في دعوتهم إلى توحيد الألوهية، وليس بتوحيد الربوبية؛ لأنهم مقرون بذلك.

(١٣٩) رحم الله الصنعاني لقد قرَّر وكرر هذه المسألة؛ لأهمية الدعوة إلى توحيد الألوهية؛ ولهذا عبدالمجيد الزنداني عند ألف كتابًا بعنون «توحيد الخالق»، وكان فيه تقرير وتكرير توحيد الربوبية كثيرًا، أنكر أهل العلم عليه، ومنهم: والدي الشيخ مقبل والشيخ ربيع بن هادي، أنكروا عليه، حتى إن والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كأن هذا الكتاب مقرر على من لا يؤمن بالله، يعني: الناس يحتاجون إلى توحيد الألوهية؛ لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) ويأتون بما يناقضها من الحلف بغير الله، ودعاء غير الله، والذبح لغير

﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: ٦٩]، أَي: لِنُفرِدَهُ بِالعِبَادَةِ وَنَخُصَّهُ بِهَا مِن دُونِ آلِهَتِنَا.

فَلَم يُنكِرُوا إِلَّا طَلَبَ الرُّسُلِ مِنهُم إِفرَادَ العِبَادَةِ لِلهِ، وَلَم يُنكِرُوا اللهَ تَعَالَى، وَلَا قَالُوا: إِنَّهُ لَا يُعبَدُ، بَل أَقَرُّوا بِأَنَّهُ يُعبَدُ، وَأَنكَرُوا كَونَهُ يُفرَدُ بِالعِبَادَةِ، فَعَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيرَهُ، وَأَشرَكُوا مَعَهُ سِوَاهُ، وَاتَّخَذُوا مَعَهُ أَندَادًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٢].

أَي: وَأَنتُم تَعلَمُونَ أَنَّه لَا نِدَّ لَهُ (١٤٠).

الله، والاستغاثة بغير الله، إلى غير ذلك فيحتاجون إلى تصفية وتنقية للشركيات الواقعين فيها، والكتاب كان مقررًا عليهم في جامعة الإيمان.

فانظرن إلى هذا الإمام الصنعاني الذي هو على طريقة أهل السنة والجماعة يكرر توحيد الألوهية، وإنما يذكر توحيد الربوبية؛ ليبين أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولا يقرون بتوحيد الألوهية، وأن الله يحاجهم على ذلك، أن من أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الأُلوهية.

(١٤٠) أي: لا شريك له في الخلق، والملك، والتدبير، والإماتة، ونحو ذلك. وهذه من محاجة الله سُبحَانَهُ للمشركين كيف يقرون بتوحيد الربوبية ولا يقرون بتوحيد الألوهية؟!

فما هو الند؟

الطالبة تجيب: الشبيه والنظير.

وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِم لِلحَجِّ: «لَبَّيكَ [141] لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»، وَكَانَ يَسمَعُهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِندَ قَولِهِم: «لَا شَرِيكَ لَكَ»، فَيَقُولُ: «قَدِ قَدِ [142]».

---

(١٤١) ما معنى لبيك؟

الطالبة تجيب: أي: أنا مقيم على طاعتك إجابة بعد إجابة.

وهذه التلبية تحمل معنى عظيمًا في توحيد الله سُبحَانَهُ وحده لا شريك له، وذكره، والالتزام بطاعته، والانقياد لأمره، والخضوع لله تَعَالَى.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا من المعاني، وما تشتمل عليه التلبية من معاني عظيمة.

فهؤلاء المشركون يقولون: (لَبَّيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَملِكُهُ وَمَا مَلَكَ)؛ لأنهم يقرون أن الله هو المالك فليس عندهم شرك في توحيد الربوبية.

(١٤٢) قدِ: اسم فعل، أي: يكفي. والحديث رواه مسلم(١١٨٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ».

والشاهد: أن كفار قريش كانوا يعبدون الله ولكنهم جعلوا له شريكًا، فهم ما أنكروا عبادة الله، فهم يعبدون الله سُبحَانَهُ، ولكنهم يعبدون معه غيره، وعندنا هنا أدلة على ذلك كقوله تَعَالَى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

أَي: أَفرَدُوه جَلَّ جَلَالُهُ لَو تَرَكُوا قَولَهُم: «إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ».

فَنَفسُ شِركِهِم بِاللهِ تَعَالَى إِقرَارٌ بِهِ تَعَالَى (١٤٣)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[الأنعام: ٢٢]، ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾[الأعراف: ١٩٥]، فَنَفسُ اتِّخَاذِ الشُّرَكَاءَ إِقرَارٌ بِاللهِ تَعَالَى، وَلَم يَعبُدُوا الأَندَادَ بِالخُضُوعِ لَهُم وَالتَّقَرُّبِ بِالنُّذُورِ وَالنَّحرِ لَهُم؛ إِلَّا لِاعتِقَادِهِم أَنَّهَا تُقَرِّبُهُم إِلَى اللهِ زُلفَى، وَتَشفَعُ لَهُم لَدَيهِ (١٤٤).

وكذا تلبيتهم في الحج، وسائر الأدلة التي فيها ذكر الشركاء، وستأتي في درسنا هذا إن شاء الله.

(١٤٣) إنما أنكروا أن يفردوه بالعبادة.

(١٤٤) كما تقدم هذا أنهم يتخذونها وسائط؛ لتقربهم إلى الله وتشفع لهم، فينالون مصالحهم وقضاء حوائجهم في الدنيا، أما في الآخرة فهم لا يؤمنون بالبعث، كما قال سُبحَانَهُ في آيات، منها: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)﴾ [المؤمنون:٨٣]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦)﴾ [الدخان].

ما هو النشور؟ البعث، يعني: يوم القيامة له عدة أسماء منها: النشور، البعث، الحاقة، الآزفة، الطامة، الصاخة، الساعة.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

أسئلة الدرس السادس:

١. إذا نطق بكلمة التوحيد ولم يعتقد أو اعتقد ولم ينطق أو أتى بما يناقض كلمة التوحيد هذا لا ينفع، فما هو الدليل على كلٍ من ذلك؟

٢. من هو الزنديق؟

٣. من لوازم الألوهية؟

٤. ما هي العبادة؟

٥. اذكري دليلًا واحدًا أن جميع الرسل بعثوا بالدعوة إلى توحيد الألوهية؟

٦. اذكري بعض الأدلة على أن المشركين ينكرون إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة وحده؟

٧. هل كان المشركون يعبدون الله أم لا مع الدليل؟

٨. ما هي تلبية كفار قريش؟

٩. ما معنى لبيك؟

١٠. ما هي الأصول الخمسة التي ذكرها الصنعاني؟

١١. ما هي ثلاثة الأصول التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الدرس (٧)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَأَرسَلَ اللهُ الرُّسُلَ تَأمُرُهُم بِتَركِ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذَا الاعتِقَادَ الَّذِي يَعتَقِدُونَهُ فِي الأَندَادِ بَاطِلٌ، وَأَنَّ التَّقَرب إِلَيهِم بَاطِلٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلهِ وَحدَهِ، وَهَذَا هُوَ تَوحِيدُ العِبَادَةِ، وَقَد كَانُوا مُقِرِّينَ -كَمَا عَرَفتَ فِي الأَصلِ الرَّابِعِ- بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحدَهُ وَالرَّازِقُ وَحدَهُ.

وَمِن هَذَا[145] تَعرِفُ أَنَّ التَّوحِيدَ الَّذِي دَعَتهُم إِلَيهِ الرُّسُلُ مِن أَوَّلِهِم وَهُوَ نُوحٌ عَلَيهِ السَّلَامُ، إِلَى آخِرِهِم وَهُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ تَوحِيدُ العِبَادَةِ؛ وَلِذَا تَقُولُ لَهُمُ الرُّسُلُ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[هود]، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٥٩][146].

﷽

(١٤٥) المشار إليه ما تقدم وهو إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق المدبر المالك إلى غير ذلك.

(١٤٦) كان الرسل يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولا يدعونهم إلى توحيد الربوبية؛ لأنهم مقرون به؛ ولهذا جاء كثيرٌ من أدلة الربوبية فيها تقريرٌ لهم على ذلك، كما تقدم في بعض الدروس.

وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنهُم مَن يَعبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَيُنَادِيهِم عِندَ الشَّدَائِدِ، وَمِنهُم مَن يَعبُدُ أَحجَارًا وَيَهتِفُ بِهَا(١٤٧) عِندَ الشَّدَائِدِ، وَهِيَ فِي الأَصلِ(١٤٨) صُوَرُ رِجَالٍ صَالِحِينَ(١٤٩)

---

(١٤٧) أي: يناديها.

(١٤٨) أي: الأحجار.

(١٤٩) وهذا جاء في «صحيح البخاري»(٤٩٢٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ».

فهؤلاء رجال صالحون من قوم نوح كان قومهم يُجلونهم، ولما ماتوا نحتوا تماثيل على صور أولئك الرجال، ما السبب؟

(تَسلِّيًا بِهَا) كما قال الصنعاني هنا في «تطهير الاعتقاد»، فمن باب التسلية والذكرى، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها، في أول الأمر ما كان مقصودهم عبادتهم ولكن صوروهم من باب التسلية والذكرى لهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوها من دون الله، فلما طال عليهم الأمد عبدوا الأحجار، أي حجر يرونه يعبدونه، وكما قال المغيرة بن شعبة: «وَلَكِنَّا كُنَّا قَوْمًا نَعْبُدُ الْحِجَارَةَ وَالْأَوْثَانَ، فَإِذَا رَأَيْنَا حَجَرًا أَحْسَنَ مِنْ حَجَرٍ أَلْقَيْنَاهُ

وَأَخَذْنَا غَيْرَهُ، وَلَا نَعْرِفُ رَبًّا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِنَا، فَدَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَاتَّبَعْنَاهُ» رواه الحاكم في «المستدرك»(٥٩٠١).

وما حصل من تصوير قوم نوح الرجال الصالحين كان للتسلي بهم كما عرفنا والتذكر لهم، ولم يكن لعبادتهم، وهذا يفيد خطر صور ذوات الأرواح، فصُور ذوات الأرواح حُرِّمَت لأمور:

أنها وسيلة للشرك بالله كما في هذه القصة.

أنها مضاهاة لخلق الله، كما روى البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً».

مضاهاة أي: مشابهة لخلق الله.

وبقي أمر ثالث وهو: الفتنة بالصور في هذا العصر، الرجل ينظر إلى المرأة والمرأة تنظر إلى الرجل، وهذا الثالث ذكره والدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذه ثلاث مفاسد في تصوير ذوات الأرواح. فلا يستهان بتصوير ذوات الأرواح ونظر المرأة إلى الرجال والعكس، ونسأل الله العافية.

وعلينا أن نحذر من أن نصبح ونمسي مع النت وصور الرجال.

وخاصة ما يسمى الفيس بوك هذا ما تحتاج له المرأة واليوتيوب أيضًا، فهذه مليئة بالصور والفسوق والفتن.

كَانُوا يُحِبُّونَهُم وَيَعتَقِدُونَ فِيهِم، فَلَمَّا هَلَكُوا صَوَّرُوا صُورَهُم؛ تَسلِّيًّا بِهَا، فَلَمَّا طَالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ عَبَدُوهُم، ثُمَّ زَادَ الأَمَدُ طُولًا فَعَبَدُوا الأَحجَارَ (١٥٠)، وَمِنهُم مَن يَعبُدُ المَسِيحَ(١٥١)، وَمِنهُم مَن يَعبُدَ الكَوَاكِبَ(١٥٢)، وَيَهتِفُ بِهَا عِندَ الشَّدَائِدِ(١٥٣)، فَبَعَثَ اللهُ

وليكن استخدامك النت بحذر وفي حدود الحاجة، وفيما يعينك في طلب العلم ونشر العلم النافع، مع الرجوع إلى المواقع الموثوقة، ثم الحرص إلى الرجوع إلى المصدر الذي أخذ منه، أو العزو إلى ذلك الموقع؛ تأدية للأمانة، وأيضًا له غُرْمه وعليه جُرْمُهُ.

وأنصحك أي معلومة تصلك في رسالة وفيها صورة، سواء كانت صوتية أو مرئية أن تقومي بحذفِهَا مباشرة، ويغنيك الله عما فيها من العلم، اتركيها لله وحافظي على قلبك، وصوني بصرك، والسلامة لا يعادلها شيء.

والحمد لله العلم يقود إلى كلِّ خير وإلى الجنة، العلم يبصر بالأخطاء ويبصر بالخير، ولا يكون علمًا نافعا لنا إلا إذا عملنا به، فالشر نبتعد عنه والخير نحرص عليه، وما توفيقنا إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١٥٠)الأمد: الزمن، وكما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾[الحديد: ١٦].

(١٥١) المسيح إذا أطلق المراد به: المسيح ابن مريم، وأما الدجال فيقيد، يقال: المسيح الدجال.

(١٥٢) والنجوم، ويدخل في الكواكب الشمس والقمر.

مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدعُوهُم إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهِ، بِأَن يُفرِدُوهُ بِالعِبَادَةِ كَمَا أَفرَدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، بِرُبُوبِيَّتِهِ لِلسَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، وَأَن يُفرِدُوهُ بِمَعنَى وَمُؤَدَّى كَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا

الشمس: كوكب نهاري ينسخ ظهوره وجود الليل. والقمر: أيضًا كوكب ليلي يُضعِف وجودُهُ ضوءَ غيره من النجوم.

(١٥٣) يعني: يناديها عند الشدائد، عند الفقر، المرض، الحوادث، الآلام.

والشدائد فيها كسر للقلب وضعف له، وهذا من مصلحة العبد، فقد يرجع إلى الله ويَحْسُنُ حاله، والمؤمن في كل الأحوال يلجأ إلى الله سُبحَانَهُ في الخير والشر في السراء والضراء، ومن كان كذلك فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكون معه عند شدته وكربته، فيثبته ويعينه كما قال النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ» رواه أحمد (٥/١٩) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فليحرص المسلم أن يكون مطيعًا لربه في كل الأحوال؛ ليعرفه الله في حال الضر والشدة، فيكون معه وناصره ومؤيده، كما أن الشاب أيضًا في حال عنفوان شبابه وقوته ينبغي أن يكون قريبًا من الله سُبحَانَهُ، ومن كان كذلك فإن الله يكون معه في حال ضعفه وكبر سنه.

وأما من ابتُلي ولم يضرع إلى ربه ولم يلجأ إليه فإنه يدل على بعده عن الله، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[المؤمنون:٧٦]. أي: ما خضعوا لربهم.

اللهُ)، مُعتَقِدِينَ لِمعنَاهَا، عَامِلِينَ بِمُقتَضَاهَا، وَأَلَّا يَدعُوا مَعَ اللهِ أحدًا[١٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾[الرعد:

---

(١٥٤) وهذا تقدم بما هو كاف في الكلام عليه. والعمل بمقتضى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ): الالتزام بأوامر الله وترك نواهيه، هذا مقتضى العمل بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فلا يأتي بما يناقضها، ويحرص أن يكون مطيعًا لربه.

١٤][155]، وقال تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾ [المائدة: ٢٣] [156].

---

(١٥٥) ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: دعوة التوحيد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)﴾ [الحج]. وذاته حق، وأسماؤه وصفاته حق، ودعوته حق، وقوله حق، ووعده حق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ هذا فيه توبيخ الذين يدعون غير الله وأنهم لا ينفعونهم بشيء.

وتكملة الآية: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)﴾ أي: بطلان.

﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ أي: كالذي يبسط كفيه عطشان في غاية العطش ويبسط كفيه إلى الماء؛ ليسقيه لا يصل إليه شيء، ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾، فهكذا الذي يدعو غير الله سُبحَانَهُ، والمراد فيها لا يقدر عليه إلا الله لا ينتفع بشيء.

(١٥٦) وهذا من العمل بمقتضى (لا إله إلا الله) ألَّا يدعو إلا الله وحده، وألَّا يتوكل إلا على الله وحده سُبحَانَهُ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران: ١٢٢]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾.

أَي: مِن شَرطِ الصِّدقِ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ أَلَّا يَتَوَكَّلُوا إِلَّا عَلَيهِ، وَأَن يُفرِدُوهُ بِالتَّوَكُّلِ، كَمَا يَجِبُ أَن يُفرِدُوهُ بِالدُّعَاءِ (١٥٧) وَالاستِغفَارِ (١٥٨)، وَأَمَرَ اللهُ عِبادَهُ أَن يَقُولُوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وَلَا يَصْدُقُ(١٥٩)قَائِلُ هَذَا إِلَّا إِذَا أَفرَدَ العِبَادَةَ للهِ تَعَالَى، وَإِلَّا كَانَ كَاذِبًا(١٦٠)مَنهِيًّا عَن أَن يَقُولَ هَذِهِ الكَلِمَةَ (١٦١)؛ إِذ مَعنَاهَا (١٦٢): نَخُصُّكَ بِالعِبَادَةِ وَنُفرِدُكَ بِهَا (١٦٣) دُونَ كُلِّ

---

(١٥٧) قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١١٧]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[الأحقاف: ٥].

(١٥٨) المغفرة من خصائص الله سُبحَانَهُ، فلا يُطلب المغفرة إلا من الله، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥]. وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)﴾[طه].

وطلب المغفرة من المخلوق شرك أكبر؛ لأن هذا من خصائص رب العالمين.

(١٥٩) أي: لا يكون صادقًا.

(١٦٠) (إلا) في هذا الموضع أصلها إن لا، و أدغمت النون في اللام، فهي إن الشرطية، و فعل الشرط محذوف والتقدير: و إن لم يقر بالعبادة لله وحده كان كاذبًا.

أَحَدٍ، وَهُوَ مَعنَى قَولِهِ: ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[البقرة: ٤١]؛ لِمَا عُرِفَ مِن عِلمِ البَيَانِ(١٦٤) أَنَّ تَقدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأخِيرَ يُفِيدُ الحَصرَ.

فإذا قال القائل: ﴿إياك نعبد﴾ و لكنه لم يفرد الله بالعبادة، يدعو غير الله، يذبح لغير الله، ينذر لغير الله يكون كاذبًا في قوله: ﴿إياك نعبد ﴾؛ لأنه قالها و لم يعمل بمقتضاها، فهذا يكون كاذبا في قوله.

(١٦١) نبه الشيخ عبد المحسن العباد على هذه الكلمة، وقال: تعبير المصنف بهذا فيه نظر؛ لأنَّه لا يُنهى عن قوله هذه الكلمة، وإنَّما يُنهى أن يضاف إليها عبادة غير الله معه اهـ.

فالمنهي عنه ما يضيفه لهذه الكلمة من الشرك.

(١٦٢) معنى كلمة التوحيد في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾.

(١٦٣) هذا معنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

(١٦٤)قال الجرجاني في «التعريفات»: علم البيان: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

ففي علم البيان وهو نوع من علم البلاغة: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وبعبارة أخرى: أن تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر؛ لأن المعمول الأصل فيه أن يكون متأخرًا سواء كان مفعولًا به أو جارًّا ومجرورًا، نحو: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. ونحو ذلك الأصل فيه أن يتأخر ولا يتقدم، وإذا تقدم كان لغرض.

أَي: لَا تَعبُدُوا إِلَّا اللهَ وَلَا تَعبُدُوا غَيرَهُ، وَلَا تَتَّقُوا إِلَّا اللهَ وَلَا تَتَّقُوا غَيرَهُ، كَمَا فِي «الكَشَّافِ»(١٦٥).

فَإِفرَادُ اللهِ تَعَالَى بِتَوحِيدِ العِبَادَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَن يَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لَهُ، وَالنِّدَاءُ فِي الشَّدَائِدِ وَالرَّخَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ وَحدَهُ، وَالِاستِغَاثَةُ(١٦٦) وَالِاستِعَانَةُ بِاللهِ وَحدَهُ (١٦٧)، وَاللُّجُوءُ إِلَى اللهِ(١٦٨)، وَالنُّذُرُ (١٦٩)، وَالنَّحرُ لَهُ تَعَالَى(١٧٠)، وَجَمِيعُ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ مِنَ

فقوله سُبحَانَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نعبدك، ولكن قدم المعمول؛ لإفادة الحصر.

(١٦٥) إذا قال قائل: (لا إله إلا الله) أو قرأ قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لا يكون صادقًا إلا إذا أفرد الله سُبحَانَهُ بالعبادة، وإلا كان كاذبًا في قوله؛ لأنه ما التزم بمعنى (لا إله إلا الله) وهي إفراد الله بالعبادة.

(١٦٦) طلب الغوث من الله، وتقدم لنا في «ثلاثة الأصول» المراد بالاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله وهذا الذي لا يجوز أن يصرف لغير الله.

(١٦٧) تقدم، هل يجوز الاستعانة بالمخلوق؟ نعم، فيما يقدر عليه.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ» رواه أبو داود (٢٧٣٢) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا.

(١٦٨) أي: الالتجاء إلى غير الله في الشدائد فيما لا يقدر عليه إلا الله. هذا شرك.

(١٦٩) هذه كلها عبادة فلا تصرف لغير الله. والنذر عبادة فلا يصرف لغير الله، والدليل أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مدح الموفين بالنذر، فهذا دليل أن النذر عبادة، والنذر جائز مع الكراهة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهى عن النذر. وَقَالَ: «إِنَّهُ لا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ

الخُضُوعِ وَالقِيَامِ؛ تَذَلُّلًا لِلهِ تَعَالَى(١٧١)، وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ(١٧٢) وَالطَّوَافُ(١٧٣) وَالتَّجَرُّدُ عَنِ الثِّيَابِ(١٧٤) وَالحَلقُ وَالتَّقصِيرُ كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ عَزَّوَجَلَّ(١٧٥).

بِهِ مِنَ البَخِيلِ» رواه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
والإنسان يكلف نفسه بشيء وهو في حل منه حتى ينذر، إذا نذر في طاعة الله صار ملزَمًا به، ويقبل الإنسان إلى ربه وعلى عبادة الله، والخير سيأتيه، و العافية ستأتي بإذن الله ودفع الضر والبلاء سيزول؛ لأن الاستقامة لها أثر في جلب الخير ودفع الشر، يتصدق إذا شاء، يدعو الله، ويفعل الخير وسيأتيه مطلوبه بإذن الله.

(١٧٠) النحر: أي الذبح، والنحر لا يكون إلا لله، والدليل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

(١٧١) يقوم للصلاة؛ تذللًا لله سُبحَانَهُ، يقوم للذهاب إلى المسجد تذللًا لله وخضوعًا وانقيادًا، يحج ويعتمر هذا فيه القيام؛ تذللًا لله سُبحَانَهُ..الخ.

ولفظ (التذلل) يخرج القيام لبعض الأشخاص إذا كان على سبيل البر والإكرام، ولا يجوز القيام؛ تعظيمًا لذلك الشخص؛ لأن القيام تذلُّلًا وتعظيمًا لا يكون إلا لله سُبحَانَهُ، وأما إذا كان القيام على سبيل البر والإكرام فهذا جائز، كما قرر ذلك الإمام النووي، وله رسالة في القيام، ويدل للجواز قصة كعب بن مالك حين تاب الله والحديث بطوله أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) عن كعب بن مالك، وفيه: قَالَ: «حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ

عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ».

وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت إذا جاءت إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قام لها وقبَّلها، وإذا جاء إليها قامت له وقبلته، كما روى أبو داود (٥٢١٧) عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا كَانَتْ «إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا» والحديث حسنه والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامعه» (٢٥٦٨).

وهناك بعض الأدلة الأخرى، وقد نوزع في الاستدلال فيها، كقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للصحابة لما قدم سعد بن معاذ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع ذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يقومون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك، روى الإمام أحمد (١٩/٣٦٧) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ» وهو في «الجامع الصحيح» (٥٢) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذا هو الأفضل، أما من حيث الجواز يجوز من باب البر والإكرام، لكن الأفضل ترك ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى»(١/٣٥٧): وَالَّذِي يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَعْتَادُوا اتِّبَاعَ السَّلَفِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ وَخَيْرُ

الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَعْدِلُ أَحَدٌ عَنْ هَدْيِ خَيْرِ الْوَرَى وَهَدْيِ خَيْرِ الْقُرُونِ إِلَى مَا هُوَ دُونَهُ. وَيَنْبَغِي لِلْمُطَاعِ أَنْ لَا يُقِرَّ ذَلِكَ مَعَ أَصْحَابِهِ بِحَيْثُ إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ إِلَّا فِي اللِّقَاءِ الْمُعْتَادِ.

وَأَمَّا الْقِيَامُ لِمَنْ يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ تَلَقِّيًا لَهُ فَحَسَنٌ. وَإِذَا كَانَ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ إِكْرَامُ الْجَائِي بِالْقِيَامِ وَلَوْ تُرِكَ لَا اعْتُقِدُ أَنَّ ذَلِكَ لِتَرْكِ حَقِّهِ أَوْ قَصْدِ خَفْضِهِ وَلَمْ يَعْلَمْ الْعَادَةَ الْمُوَافِقَةَ لِلسُّنَّةِ، فَالْأَصْلَحُ أَنْ يُقَامَ لَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لِذَاتِ الْبَيْنِ وَإِزَالَةِ التَّبَاغُضِ وَالشَّحْنَاءِ؛ وَأَمَّا مَنْ عَرَفَ عَادَةَ الْقَوْمِ الْمُوَافِقَةَ لِلسُّنَّةِ فَلَيْسَ فِي تَرْكِ ذَلِكَ إِيذَاءٌ لَهُ، وَلَيْسَ هَذَا الْقِيَامُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْ يَقُومُوا لَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، لَيْسَ هُوَ أَنْ يَقُومُوا لِمَجِيئِهِ إِذَا جَاءَ. اهـ المراد.

قلت: قد أخرج الترمذي (٢٧٥٥) من طريق أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ صَفْوَانَ حِينَ رَأَوْهُ. فَقَالَ: اجْلِسَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وسياق حديث معاوية يدل على أنهم قاموا له لما رأوه؛ تعظيمًا له.

قال ابن القيم في «تهذيب السنن»(١٤/٨٥): فِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنْ يَقُوم الرَّجُل لِلرَّجُلِ فِي حَضْرَته وَهُوَ قَاعِد؛ فَإِنَّ مُعَاوِيَة رَوَى الْخَبَر لَمَّا قَامَا لَهُ حِين خَرَجَ.

والحديث في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين»(١٥٥).

قيام صاحب البيت للضيف والزائر هذا من المكارم، وفيه ما تقدم قيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمة ابنته وقيامها له.

وأما العادات والمتعارف عليها في بعض البلدان في القيام للداخل، فالغالب أنه عندهم من باب الإكرام والحفاوة وكما علمتم هذا جائز، والأفضل ترك ذلك.

تسأل الطالبة: قيام الطلاب للمدرس؟

أعرف من فتاوى أهل العلم أنهم ينكرون قيام الطلاب كلهم للمعلم عند دخوله، هذا لا يجوز؛ لأنه هذا من باب التعظيم والتبجيل.

وإليكم فتوى والدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قيام الطلاب عند دخول المدرس إلى الفصل الذي يظهر أنه لا يجوز، وأقل أحواله أن يكون مكروهًا، ثم استدل بحديث أنس بن مالك ومعاوية السَّابِقَينِ، وقال عن حديث معاوية: الحديث يدل على التحريم إذا كان يحب ذلك.

وجاء في «صحيح مسلم» أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صلى جالسًا، فصلى الصحابة خلف قيامًا، فأشار إليهم أن اجلسوا، ثم قال بعد انتهاء الصلاة: «إن كدتم آنفًا لتفعلن فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم».

فالقصد أن قيام الطلاب، وقيام الجنود للضابط، والقيام للأمير، كل هذا لا يجوز؛ لأنه أصبح مفروضًا، ولو لم يَقُمِ الشخص يُؤذى، دليل على أنهم يحبون ذلك.

شريط/ «أسئلة عامة متنوعة» مع بعض التصرف.

وما أكثر المنكرات في المدارس! المسلمون متأثرون بأعدائهم إلا من رحم الله؛ لهذا أصيبوا بالذلة والصغار «وَجُعِلَتِ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» رواه أحمد (٥١١٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والله المستعان.

أما القيام على رأس الكبير والرئيس فلا بأس إذا كان للمصلحة كالحراسة، كما في الحديث في صلح الحديبية قال: «وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ، وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» رواه البخاري (٢٧٣١) عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ.

(١٧٢) الركوع والسجود لا يكون إلا الله سُبحَانَهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)﴾ [الحج].

(١٧٣) الطواف عبادة لا يكون إلا لله، والطواف لا يكون إلا بالكعبة، وقد يسمى السعي بين الصفا والمروة طوافًا. والسعي يكون في العمرة والحج، وأما الطواف فيجوز في غير نسك، كما قال تَعَالَى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(١٧٤) أي: المخيط عند الإحرام، الحاج يفعله؛ تعبدًا لله، وهذا للرجل ليس للمرأة، المرأة المحرمة تجتنب النقاب ولبس القفازين، وتتستر تغطي وجهها وتغطي يديها تحت الحجاب، «المرأة عورة»، لا كما يفعل بعض المحرِمات تكشف عن وجهها ويديها، فهذا مخالفة للسنة.

وَمَن فَعَلَ شَيئًا مِن ذَلِكَ(١٧٦) لِمَخلُوقٍ حَيٍّ أَو مَيِّتٍ أَو جَمَادٍ أَو غَيرِهِ، فَقَد أَشرَكَ فِي العِبَادَةِ، وَصَارَ مَن تُفعَلُ لَهُ هَذِهِ الأُمُورُ إِلَهًا لِعَابِدِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا أَو نَبِيًّا أَو وَلِيًّا أَو شَجَرًا أَو قَبرًا أَو جِنِّيًّا أَو حَيًّا أَو مَيِّتًا، وَصَارَ العَابِدُ بِهَذِهِ العِبَادَةِ أَو بِأَيِّ نَوعٍ مِنهَا عَابِدًا

---

(١٧٥) لأنه يفعله؛ تعبدًا، الحلق والتقصير في نسك العمرة والحج يفعله؛ تعبدًا، أما إذا حلق وقصر لزينة العيد مثلًا، أو لأنه سيقدم عليه بعض القادمين من الأصحاب أو غيرهم، فأراد أن يتزين لا شيء عليه؛ لأنه لم يفعله؛ تعبدًا، مثل ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتزين باللباس؛ لقدوم الوفود وللعيد، روى البخاري (٣٠٥٤)، ومسلم (٢٠٦٨) عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةَ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَعْ هَذِهِ الحُلَّةَ، فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَلِلْوُفُودِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ، أَوْ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لا خَلاَقَ لَهُ» فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ فَأَقْبَلَ بِهَا عُمَرُ حَتَّى أَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ: «إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ أَوْ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ»، ثُمَّ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ، فَقَالَ: «تَبِيعُهَا أَوْ تُصِيبُ بِهَا بَعْضَ حَاجَتِكَ».

للتزين يلبس ويحلق أو يقصر شعره لا بأس، والممنوع أن يفعله؛ تعبدًا للمخلوق، هذا لا يكون إلا لله.

(١٧٦) مما تقدم.

لِذَلِكَ المَخلُوقِ[١٧٧] مُشرِكًا بِاللهِ، وَإِن أَقَرَّ بِاللهِ وَعَبَدَهُ، فَإِنَّ إِقرَارَ المُشرِكِينَ بِاللهِ وَتَقَرُّبَهُم إِلَيهِ لَم يُخرِجهُم عَنِ الشِّركِ، وَعَن وُجُوبِ سَفكِ دِمَائِهِم وَسَبيِ ذَرَارِيهِم وَأَخذِ

---

(١٧٧) كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾[المائدة]، فمن عبد غير الله فقد اتخذه إلهًا، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨)﴾[الفرقان]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)﴾[سبأ]. إذًا من صرف عبادة لمخلوق فقد اتخذه إلهًا من دون الله.

أَموالِهِم غَنِيمَةً، فَاللهِ تَعَالَى أَغنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ [١٧٨]، لَا يَقبَلُ عَمَلًا شُورِكَ فِيهِ غَيرُهُ[١٧٩]، وَلَا يُؤمِنُ بِهِ مَن عَبَدَ مَعَهُ غَيرَهُ [١٨٠].

---

(١٧٨) تكملة الحديث: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه الإمام مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٧٩) كما يدل له هذا الحديث «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». وهذا من خطر الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١٨٠) كما تقدم.

❐ أسئلة الدرس السابع

١. تحريم تصوير ذوات الأرواح هناك حِكَمٌ في تحريمه فما هي؟

٢. لو قال: لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها، هل يصح إسلامه، مع الدليل؟

٣. ما حكم طلب المغفرة من المخلوق؟

٤. قول الإمام الصنعاني: «وَلَا يَصْدُقُ قَائِلُ هَذَا إِلَّا إِذَا أَفرَدَ العِبَادَةَ للهِ تَعَالَى، وَإِلَّا كَانَ كَاذِبًا مَنهِيًّا عَن أَن يَقُولَ هَذِهِ الكَلِمَةَ» هل فيه انتقاد على عبارة(مَنهِيًّا عَن أَن يَقُولَ هَذِهِ الكَلِمَةَ) أم لا؟

٥. من صرف شيئًا من أنواع العبادة لمخلوق هل يكون عابدًا له أم لا، مع الدليل؟

الدرس (٨)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَصلٌ

إِذَا تَقَرَّرَ عِندَكَ أَنَّ المُشرِكِينَ لَم يَنفَعهُمُ الإِقرَارُ بِاللهِ(١٨١) مَعَ إِشرَاكِهِم فِي العِبَادَةِ، وَلَا يُغنِي عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا(١٨٢)، وَأَنَّ عِبَادَتَهُم هِيَ اعتِقَادُهُم فِيهِم أَنَّهُم يَضرُّونَ وَيَنفَعُونَ(١٨٣)، وَأَنَّهُم يُقَرِّبُونَهُم إِلَى اللهِ زُلفَى(١٨٤)، وَأَنَّهُم يَشفَعُونَ لَهُم عِندَ اللهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٨١) أي: الإقرار بتوحيد الربوبية، أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت إلى آخره.

(١٨٢) لا ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية إذا لم يفردوا الله سُبحَانَهُ بالعبادة وحده كما تقدم بأدلته وأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قاتل مشركي قريش، مع أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

(١٨٣) أي: يدفعون عنهم الضر ويجلبون لهم النفع، وسائط فيما يزعمون.

(١٨٤) كما قال تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

تَعَالَى(١٨٥)، فَنَحَرُوا لَهُمُ النَّحَائِرَ(١٨٦)، وَطَافُوا بِهِم(١٨٧)، وَنَذَرُوا النُّذُورَ عَلَيهِم(١٨٨)، وَقَامُوا مُتَذَلِّلِينَ مُتَوَاضِعِينَ فِي خِدمَتِهِم(١٨٩)، وَسَجَدُوا لَهُم(١٩٠).

---

(١٨٥) كما قال تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس].

(١٨٦) هذه ثلاثة أشياء يعتقدونها فيمن يعبدونهم من المخلوقين: (أَنَّهُم يَضرُّونَ وَينفَعُونَ، وَأَنَّهُم يُقَرِّبُونَهُم إِلَى اللهِ زُلفَى، وَأَنَّهُم يَشفَعُونَ لَهُم عِندَ اللهِ تَعَالَى) فلهذه العقيد المنكرة، (فَنَحَرُوا لَهُمُ النَّحَائِرَ)، والنحر لا يكون إلا لله، والدليل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾[الكوثر:٢].

(١٨٧) لا يجوز الطواف إلا بالكعبة؛ تذللًا لله، قال تَعَالَى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)﴾[البقرة]، فلا يجوز الطواف بالقبور ولا بغيرها.

(١٨٨) يأتون لهم بالطِّيب ويأتون لهم بالذبائح وبالشموع بغيرها، والنذر لا يكون إلا لله؛ لأنه عبادة.

(١٨٩) وهؤلاء يقال لهم: السَّدنة، الذين يخدمون الآلهة الباطلة، وأخرج أبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَتْ عَلَى تِلَالِ السَّمُرَاتِ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّدَنَةُ-وَهُمْ

وَمَعَ هَذَا (١٩١) كُلِّهِ فَهُم مُقِرُّونَ لِلهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَنَّهُ الخَالِقُ، وَلَكِنَّهُم لَمَّا أَشرَكُوا فِي عِبَادَتِهِ، جَعَلَهُم مُشرِكِينَ وَلَم يَعْتَد بِإِقرَارِهِم هَذَا؛ لِأَنَّهُ نَفَاهُ فِعلُهُم، فَلَم يَنفَعهُمُ الإِقرَارُ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

فَمِن شَأنِ مَن أَقَرَّ لِلهِ تَعَالَى بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ أَن يُفرِدَهُ بِتَوحِيدِ العِبَادَةِ، فَإِذَا لَم يَفعَل ذَلِكَ فَالإِقرَارُ بَاطِلٌ (١٩٢).

حُجَّابُهَا-أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى خَبِّلِيهِ، يَا عُزَّى عَوِّرِيهِ، وَإِلَّا فَمُوتِي بِرَغْمٍ، قَالَ: فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا تَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى».

وهو في «الصحيح المسند» (٥٣٥) للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهؤلاء السدنة يخدمون آلهتهم، ويقومون بحراستها، ويضيئون الشموع، ونعوذ بالله من تزيين الباطل.

(١٩٠) السجود لا يكون إلا لله سُبحَانَهُ. كما ثبت عن أبي هريرة، عن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ؛ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» رواه الترمذي (١١٥٩).

(١٩١) أي: مع ما ذُكِرَ من العبادات التي يصرفونها لمعبوديهم من دون الله.

(١٩٢) فالإقرار الأول وهو توحيد الربوبية لا ينفع، فمن أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية وإلا لم ينفعه الإقرار الأول.

وَقَد عَرَفُوا ذَلِكَ (١٩٣) وَهُم فِي طَبَقَاتِ النَّارِ فَقَالُوا: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ﴾[الشعراء].

مَعَ أَنَّهُم لَم يُسَوُّوهُم بِهِ مِن كُلِّ وَجهٍ (١٩٤)، وَلَا جَعلُوهُم خَالِقِينَ وَلَا رَازِقِينَ، لَكِنَّهُم عَلَمُوا -وَهُم فِي قَعْرِ جَهنَّمَ- (١٩٥) أَنَّ خَلطَهُم الإِقرَارُ بِذَرَّةٍ مِن ذَرَّاتِ الإِشرَاكِ فِي تَوحِيدِ العِبَادَةِ صَيَّرَهُم كَمَن سَوَّى بَينَ الأَصنامِ وَبَينَ رَبِّ الأَنَامِ (١٩٦)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾[يوسف:١٠٦] (١٩٧).

---

(١٩٣) أنهم وقعوا في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

(١٩٤) فلم يساووا معبوداتهم من دون الله بالله من كلِّ وجهٍ، ولكن في التذلل والخوف والرهبة والمحبة والدعاء والذبح والنذر إلى غير ذلك.

(١٩٥) أسفل جهنم، أعاذنا الله منها.

(١٩٦) قال تعَالَى: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ﴾[الشعراء]. وفي هذا دليل على أن الشرك مساواة غير الله بالله فيما هو خاص بالله، وهذا الاعتراف ليس بنافع لهم، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عنهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧)﴾، فيقول الله موبخًا لهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾[المؤمنون]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿

أَي: مَا يُقِرُّ أَكْثَرُهُم فِي إِقْرَارِهِ بِاللهِ وَبِأَنَّهُ خَلَقَهُم وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ إِلَّا وَهُوَ مُشْرِكٌ بِعِبَادَةِ الأَوثَانِ.

بَل سَمَّى اللهُ الرِّيَاءَ(١٩٨) فِي الطَّاعَاتِ شِركًا، مَعَ أَنَّ فَاعِلَ الطَّاعَةِ مَا قَصَدَ بِهَا إِلَّا اللهَ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَرَادَ طَلَبَ المَنزِلَةِ بِالطَّاعَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ (١٩٩)، فَالمُرَائِي عَبَدَ اللهَ لَا غَيرَهُ،

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾[فاطر]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾[النبأ]، فاعترافيهم بشركهم وهم في نار جهنم لا يغني عنهم شيء، فهم خالدون مخلدون في النار ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧].

(١٩٧) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ هذا توحيد الربوبية، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ توحيد الألوهية، أثبت لهم الإيمان في أول الآية ونفاه عنهم في آخرها؛ لأن الإيمان في أول الآية المراد: توحيد الربوبية، وفي آخرها الشرك في توحيد الألوهية.

(١٩٨) الرياء: أن يعمل العمل؛ ليحمده الناس عليه.

(١٩٩) هذه الصورة يعمل العمل لله ولكن يخلط فيه نية أخرى فاسدة، يريد أن يكون له منزلة في قلوب الناس فيمدحوه مثلًا، فيقوم يصلي لله ويطيل الصلاة ويحسِّنها؛ لأن فيه من ينظر إليه، أو يجلس في مصلاه يذكر الله كثيرًا، ويوسوس له الشيطان أن يطيل

وأن يحسِّن هيئة جلوسه؛ ليمدحوه وليكون له مكانة في قلوبهم، أو يقرأ القرآن ويحسِّن صوته؛ من أجل المدح والثناء، فهذه الصورة يكون العمل لله ولكن يخلط هذا العمل بنية فاسدة، هذه لا تصح عبادته ولا تقبل كما في هذا الحديث القدسي: «تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»، فإذًا في هذه الحالة يخلط في العمل نية صالحة ونية سيئة من أول العمل.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»(١/٧٩): وَتَارَةً يَكُونُ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ، فَإِنْ شَارَكَهُ مِنْ أَصْلِهِ فَالنُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ وَحُبُوطِهِ أَيْضًا. اهـ.

أما إذا حمله على العبادة مراءاة الناس، نية محضة لغير الله فهذا لا يفعله مؤمن، لا يفعله من كان يرجو الله والدار الآخرة، قال الله سُبحَانَهُ في المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾[النساء]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) ﴾[الماعون:٦].

ومن قام إلى العبادة يبتغي وجه الله ثم طرأ الرياء في أثناء العبادة، فإن دافعه ولم يتمكَّنْ من قلبه فهذا معفو عنه بلا خلاف بين أهل العلم، كما ذكر الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم».

وإن تمكن الرياء واستقر في قلبه فهذا مؤاخذ عليه والعبادة باطلة «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

وإذا كانت العبادة لا يرتبط أولها بآخرها، فما كان لله فالعبادة صحيحة، مثل: من يقرأ القرآن ثم في أثناء القراءة طرأ عليه الرياء وتمكن من قلبه، فما كان قبل أن يطرأ عليه الرياء العبادة صحيحة.

هذه أقسام ما يتعلق بالعبادة التي وقع فيها رياء:

الصورة الأولى ذكرها الصنعاني: يقوم للعبادة وعنده نيتان، يريد الله ويريد أن يكون له المنزلة عند الناس.

الصورة الثانية: قام للعبادة من أولها؛ مرآة للناس فكان الرياء في أصل العبادة.

والصورة الثالثة والرابعة: طرأ عليه في أثناء العبادة، فإن تَمَكَّنْ من قلبه واسترسل معه فالعبادة باطلة، وإن لم يتمكن من قلبه فلا يضره.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»(١/٨٢): وَأَمَّا إِنْ كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّةُ الرِّيَاءِ، فَإِنْ كَانَ خَاطِرًا وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بِغَيْرِ خِلَافٍ.

أما حكم الرياء هل هو شرك أكبر أو أصغر؟

الرياء من الشرك الأصغر، كما في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِركَهُ».

إلا إذا كان قيامه للعبادة خالصًا لغير الله، لا يريد به وجه الله، فهذا شرك أكبر. ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾[النساء].

قال الشيخ ابن عثيمين في «القول المفيد»(٢/١٢٤): الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك

الأصغر، فقال: مثل يسير الرياء، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر.

اهـ.

فيحتاج طالب العلم والعابد لربه إلى مجاهدة في إخلاص العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا وقع في خطر عظيم، وقع في الشرك، وهذا من المخاطر على طلاب العلم، من أشد المخاوف والمخاطر عليهم محبة السمعة والرياء.

من كانت هذه نيته فقد باء بالخسران، وكان علمه غير نافع، من علامات العلم الذي لا ينفع فقد الإخلاص في العمل، ومن أسباب حرمان البركة، وحرمان التوفيق، وقد ينقطع عن الخير بسبب أن عنده دسيسة سيئة في قلبه، فلا يثبت في اجتهاده في العبادة وفي طلب العلم؛ لأنه لم يكن مخلصًا لله، وجهوده وصبره في التعليم ونشر العلم لا تدوم؛ لأنه ليس هناك شرط قبول العمل، لقبول العمل شرطان: الإخلاص والمتابعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة التدمرية»(٢٣٢): وما لم يكن لله لا ينفع ولا يدوم. اهـ.

ينقطع ولا يستمر ولا ينفع، لا يعود بنفع على صاحبه، فالعاقل يجاهد نفسه، ويجاهد الشيطان، ويكسر هوى نفسه، فماذا عسى أن يكون عندنا من العلم والعبادة والمحفوظات؟! السلف كان منهم من لو قيل له: إن ملك الموت ببابك ما كان عنده زيادة على العمل، حتى تسبيحه واحدة أو تكبيرة لا يستطيع أن يزيدها، قد بلغ أقصى جهده في العبادة، وكانوا يرحلون في طلب العلم ويتحملون المشاق، أما حالتنا ففي أشد الضعف والتقصير، والله المستعان.

لَكِنَّهُ خَلَطَ عِبَادَتَهُ بِطَلَبِ المَنزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَلَم يَقبَل لَهُ عِبَادَةً وَسَمَّاهَا شِركًا، كَمَا أَخرَجَ مُسلِمٌ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ».

بَل سَمَّى اللهُ التَّسمِيَةَ بِعَبدِ الحَارِثِ شِركًا[٢٠٠]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾[الأعراف:١٩٠].

والوظائف دخلت في العبادة فأفسدتها إلا من رحم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن المعلمين من يعلم القرآن ويعلم السنة لأجل دنيا ولا يحتسبه عند الله، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾[الإسراء].

فنحن بحاجة شديدة إلى أن نجاهد في إصلاح النية، لننتفع بعبادتنا وما رزقنا ربنا من العلم، وليكون ثباتًا لقلوبنا وتثبيتًا لنا في المواقف وفي الشدائد، نسأل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا الإخلاص، نسأل الله أن يرزقنا حسن النية، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢٠٠) مسألة التعبيد لغير الله في الأسماء، مثل: عبدالحارث، عبدشمس، عبدالقيس، هذا من الشرك، وقد أجمعوا على أنه لا يجوز التعبيد لغير الله، باستثناء للإمام أبي محمد بن حزم فقد استثنى عبدالمطلب ورد عليه أهل العلم، فخلاف ابن حزم شاذ.

فَإِنَّهُ أَخرَجَ الإِمَامُ أَحمَدَ وَالتِّرمِذِيُّ مِن حَدِيثِ سَمُرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا حَمَلَت حَوَّاءُ-وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ-طَافَ بِهَا إِبلِيسُ، وَقَالَ: لَا يَعِيشُ لَكِ وَلَدٌ حَتَّى تُسَمِّيهِ عَبدَ الحَارِثِ، فَسَمَّتهُ فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِن وَحِي الشَّيطَانِ وَأَمرِهِ، فَأَنزَلَ اللهُ الآيَاتِ، وَسَمَّى هَذِهِ التَّسمية شِركًا، وَكَانَ إِبلِيسُ تَسَمَّى بِالحَارِثِ»، وَالقِصَّةُ فِي «الدُّرِّ المَنثُورِ» وَغَيرِهِ (٢٠١).

إذًا لو سمى أحد عبدالنبي أو عبدالكعبة أو عبد شمس هذا من التعبيد لغير الله، وهذا لا يجوز.

(٢٠١) من اللذان جعلا لله شركاء في قوله تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾[الأعراف]؟

هذه الآية فيها قولان للمفسرين:

أحدهما: أنها في شأن آدم وحواء، وعمدتهم في هذا التفسير حديث سمرة في التسمية بعبد الحارث، والحارث الشيطان.

ونص حديث سَمُرَةَ بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَإِنَّهُ يَعِيشُ، فَسَمَّوْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ، وَأَمْرِهِ» رواه أحمد(٣٣/٣٠٥)، والترمذي (٣٠٧٧).

والحديث لا يصح، قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الأعراف رقم الآية:(١٩٠):

هَذَا الْحَدِيثَ مَعْلُولٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ عُمَرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ هَذَا هُوَ الْبَصْرِيُّ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَلَكِنْ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَلَكِنْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الْمُعْتَمِرِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سُمْرَةَ مَرْفُوعًا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. الثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ مِنْ قَوْلِ سُمْرَةَ نَفْسِهِ لَيْسَ مَرْفُوعًا، كَمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حدثنا بكر بن عبد الله بن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: سَمَّى آدَمُ ابْنَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْحَسَنَ نَفْسَهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِغَيْرِ هَذَا، فَلَوْ كَانَ هَذَا عِنْدَهُ عَنْ سُمْرَةَ مَرْفُوعًا لَمَا عَدَلَ عَنْهُ.

ثم ذكر ما أخرجه ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْحَسَنِ: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا قَالَ: كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَلَمْ يَكُنْ بآدم.

قال الحافظ ابن كثير: وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ عَنِ الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَهُ مَحْفُوظًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا عَدَلَ عَنْهُ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ وَلَا سِيَّمَا مَعَ تَقْوَاهُ لِلَّهِ وَوَرَعِهِ، فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى الصَّحَابِيِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَلَقَّاهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ مِثْلِ كَعْبٍ أَوْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وَغَيْرِهِمَا، إِلَّا أَنَّنَا بَرِئْنَا مِنْ عُهْدَةِ الْمَرْفُوعِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

اهـ.

والقول الثاني: أن الآية في المشركين من أبناء آدم بدليل آخر الآية، قال سُبحَانَهُ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾، فأتى سُبحَانَهُ بالواو الدال على الجمع.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»(٢٨٩): النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما، ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد فأتاهما إبليس، فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا؛ فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك.

وهو قول الحافظ ابن كثير كما تقدم.

نكون انتهينا من هذا الفصل، نسأل الله أن ينفعنا بذلك.

أسئلة الدرس الثامن

١. ما هي القاعدة: من أقر بتوحيد الربوبية فماذا يلزمه؟

٢. قوله: (فَإِذَا لَمْ يَفعَل ذَلِكَ فَالإِقرَارُ بَاطِلٌ) ما هو الإقرار الأول؟

٣. ما هو الشرك الأكبر؟

٤. نريد مثالًا للشرك الأصغر؟

٥. تعريف الشرك الأكبر مأخوذ من بعض الأدلة فاذكري الدليل الذي في سورة الشعراء؟

٦. ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ﴾هل كانت هذه المساواة في كل الوجوه أم بعضها؟

٧. من هم الأنام؟

٨. ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾في أول الآية أثبت لهم الإيمان وفي آخرها نفاه عنهم فما المراد بذلك؟

٩. ما هو الرياء؟

١٠. أقسام الرياء في الطاعات؟

١١. ما حكم الرياء هل هو من الشرك الكبر أو الأصغر؟

١٢. ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) ﴾ ما قول المفسرين في هذه الآية؟

١٣. ما حكم التسمية بعبد الكعبة أو عبدالنبي؟

الدرس (٩)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بن صَلَاحِ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَصلٌ

قَد عَرَفتَ مِن هَذَا كُلِّهِ أَنَّ مَنِ اعتَقَدَ فِي شَجرٍ أَو حَجرٍ أَو قَبرٍ أَو مَلَكٍ أَو جِنيٍّ أَو حَيٍّ أَو مَيِّتٍ أَنَّهُ يَنفَعُ أَو يَضُرُّ، أَو أَنَّهُ يُقرِّبِ إِلَى اللهِ، أَو يَشفَعُ عِندَهُ فِي حَاجَةٍ مِن حَوَائِجِ الدُّنيَا بِمُجرَّدِ التَّشَفُّعِ بِهِ وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى الرَّبِ تَعَالَى، إِلَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ فِيهِ مَقَالٌ(٢٠٢) فِي

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٠٢) هذا يشير إلى حديث: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ» رواه الترمذي(٣٥٧٨)، وهو في «الصحيح المسند» (٩٠٣) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا الحديث فيه شبهة لمن قال: يجوز التوسل بذات النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وليس فيه دليلًا على ذلك، فهو من التوسل إلى الله بدعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بدليل أوله، فالرجل كان ضريرًا فجاء إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي»، إذًا هذا

حَقِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِخُصُوصِهِ أَو نَحوِ ذَلِكَ، فَإِنَّه قَد أَشرَكَ مَعَ اللهِ غَيرَهُ(٢٠٣)، وَاعتَقَدَ مَا لَا يَحِلُّ اعتِقَادُهُ، كَمَا اعتَقَدَهُ المُشرِكُونَ فِي الأَوثَانِ(٢٠٤)، فَضلًا عَمَّن يَنذُرُ

من التوسل المشروع، التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، ومعنى ذلك: أنه يطلب منه الدعاء.

(٢٠٣) إذا اتخذ شفعاء وسائط بينه وبين ربه يدعوهم، يذبح لهم، ينذر لهم، يستغيث بهم، أو يتوسل بهم إلى الله، هذا من الشرك الأكبر.

(٢٠٤) هذا سبق في الذي قبله من الدروس في صرف المشركين العبادة لغير الله، اعتقادهم أنهم يجلبون لهم نفعًا، ويدفعون عنهم ضرًّا، ولنيل شفاعتهم، وليقربوهم إلى الله زلفى، فيطلبون منهم الشفاعة؛ لنيل مآربهم ومصالحهم، واتخاذ العبد وسائط بينه وبين ربه لنيل شفاعتهم شرك، والدليل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس].

(وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى) أي: التوسل بهم إلى الله سُبحَانَهُ، وأقسام التوسل المشروع على ثلاثة أقسام:

التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠] الآية.

التوسل إلى الله بالعمل الصالح، يعني: يتوسل الشخص إلى الله بعمله الصالح ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)﴾[آل عمران: ١٦]. ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا

سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣)﴾ [آل عمران: ١٩٣]. التوسل إلى الله بالعمل الصالح في هذه الآية وهو الإيمان بالله، التوسل إلى الله بالعقيدة الصحيحة، ومن ذلك قصة الثلاثة التي انطبقت عليهم الصخرة فتوسل كل واحد إلى الله بعمله الصالح.

التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، يعني: يقول له: ادع لي.

وتقييد الرجل بالصالح يدل على أن صلاحه معلوم، فما يُطلب الدعاءُ من إنسانٍ لا يُعلم صلاحه، ومن باب أولى أنه لا يطلب الدعاء من الفاسق.

ومن أدلة هذا النوع: عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ، ادْعُ اللهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ» رواه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨٠).

أما التوسل بالمخلوق يتوسل به؛ ليشفع له عند الله، ليجلب له خيرًا، أو يدفع عنه ضرًّا، هذا شرك بالله.

وهناك توسل بدعي ولا يكون شركًا، وهو التوسل بجاه الأنبياء أو بعض الصالحين، يتوسل إلى الله بجاههم ومنزلتهم، هذا بدعة؛ لم يفعله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولو كان مشروعًا لفعلوه، وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كان الناس يستسقون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: يطلبون منه الدعاء، ثم بعد وفاة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ استسقوا بعمر بن الخطاب، لم يتوسلوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته.

بِمَالِهِ(٢٠٥) وَوَلَدِهِ لِمَيِّتٍ أَو حَيٍّ(٢٠٦)، أَو يَطلُبُ مِن ذَلِكَ المَيِّتِ مَا لَا يُطلَبُ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الحَاجَاتِ، مِن عَافِيَةِ مَرِيضِهِ أَو قُدُومِ غَائِبِهِ أَو نَيلِهِ لِأَيِّ مَطلَبٍ مِنَ المَطَالِبِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الشِّركُ بِعَينِهِ الَّذِي كَانَ وَيَكُونُ عَلَيهِ عُبَّادُ الأَصنَامِ(٢٠٧).

والحديث عن أنس قال: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» قَالَ: فَيُسْقَوْنَ. رواه البخاري (٣٧١٠).

فلو كان التوسل بجاه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مشروعًا لتوسلوا بجاهه؛ لأن جاه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومنزلته وشرفه في حياته وبعد مماته، فإذًا من التوسل البدعي أن يقول: اللَّهم إنا نتوسل إليك بجاه فلان أو منزلته، وهذا يقع فيه كثير من الجهال، وهو بدعة؛ لأنه يتوسل بعمل غيره، والمشروع أن يتوسل إلى الله بعمل نفسه لا بعمل غيره، بعمل نفسه، بإيمانه، باتباعه للسنة، ببره بوالديه، بثباته.

إذًا ما الذي استفدناه: هل التوسل بجاه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شرك أو بدعة؟

الطالبة تجيب: بدعة.

(٢٠٥) أي: فكيف بمن ينذر بماله، الصنف الأول يتشفع بمعبوديه ويتوسل بهم، فكيف بمن ينذر بماله لمخلوق؟!

(٢٠٦) لا يجوز النذر لغير الله لا لميت ولا لحي؛ لأن النذر عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله سُبحَانَهُ.

وَالنَّذرُ بِالمَالِ لِلمَيِّتِ وَنَحوُهُ (٢٠٨)، وَالنَّحرُ عَلَى القَبرِ وَالتَّوَسُّلُ بِهِ وَطَلَبُ الحَاجَاتِ مِنهُ (٢٠٩)، هُوَ بِعَينِهِ الَّذِي كَانَت تَفعَلُهُ الجَاهِلِيَّةُ (٢١٠)، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفعَلُونَهُ لِمَا يُسَمُّونَهُ وَثَنًا

---

(٢٠٧) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الشافي ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ [الشعراء:٨٠]. فلا يجوز أن يَطلب الشفاء من المخلوق، أو أن يرد الله غائبه سالمًا، فهذا من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس:١٠٧].

(٢٠٨) كما يفعل المشركون يأتون بالنقود يضعونها على القبر، يأتون بالشموع والإضاءات، يأتون بما يعز عليهم من الأشياء والصدقات يتقربون بها إلى الميت، وينذرونها للميت، والنذر لغير الله شرك: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)﴾ [الإنسان]، ذكرها الله في سياق المدح، وهذا يدل على أن النذر عبادة.

(٢٠٩) طلب المنافع ودفع الضر من الميت الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، والذي تأكله التراب والديدان في قبره، ويأتي من يستنجد به، ويطلب منه الغوث.

(٢١٠) إلى كم تنقسم الجاهلية؟

الجاهلية قبل البعثة يقال لها: جاهلية مطلقة، كلها جهل، وجاهلية مقيدة، وهذا بعد البعثة مقيدة ببعض الأشخاص وببعض البلدان، والخير حاصل ليست جاهلية جهلًا مطبقًا، فلهذا يقول حذيفة كما روى البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧): كَانَ النَّاسُ

وَصَنَمًا، وَفَعَلَهُ القُبُورِيُّونَ لِمَا يُسَمُّونَهُ وَلِيًّا وَقَبرًا وَمَشهَدًا (٢١١)، وَالأَسمَاءُ لَا أَثَرَ لَهَا وَلَا تُغَيِّرُ المَعَانِي، ضَرُورَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَعَقلِيَّةٌ وَشَرعِيَّةٌ (٢١٢)؛ فَإِنَّ مَن شَرِبَ الخَمرَ وَسَمَّاهَا مَاءً، مَا

يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

(٢١١) يعني: مجرد اختلاف في الأسماء والمعنى واحد، وهو الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ. فأولئك كانوا يسمون من يعبدونهم وثنًا وصنمًا، وهؤلاء القبوريون يسمونهم وليًّا وقبرًا مشهدًا، فاختلفت التسميات والمعنى واحد.

(٢١٢) هذه قاعدة: الأسماء لا أثر لها، فهي لا تغير المعاني، بالضرورة العقلية واللغوية والشرعية، وسيذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أمثلة لذلك.

شَرِبَ إِلَّا خَمْرًا، وَعِقَابُهُ عِقَابُ شَارِبِ الخَمرِ (٢١٣)، وَلَعَلَّهُ يَزِيدُ عِقَابُهُ لِلتَّدلِيسِ وَالكَذِبِ فِي التَّسمِيَةِ (٢١٤).

---

(٢١٣) وحد شارب الخمر الجلد.

(٢١٤) فحيث سمى الخمر ماء، وهو خمر، الخمر: ما خامر العقل، أي: غطاه.

وقد كان الخمر في الإسلام على أربع مراحل:

المرحلة الأولى: الإباحة، قال تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧].

المرحلة الثانية: الإباحة مع ذِكْر مساوئها وأنها أكثر من منافعها، قال تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

المرحلة الثالثة: تحريم شرب الخمر قرب الصلوات، قال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣].

فعلى هذا لا يشرب الخمر في أوقات الصلاة المتقاربة، يمتنع عن شرب الخمر بعد صلاة الظهر؛ لأن العصر قريب، ويمتنع عن شرب الخمر بعد صلاة العصر؛ لأن المغرب قريب، والذي يشرب الخمر لا يصحو بسرعة، فما فيه عنده إلا بعد صلاة العشاء أو بعد صلاة الفجر، يعني: في هذه المرحلة الثالثة فيه نوع من التضييق على شارب الخمر.

وَقد ثَبتَ فِي الأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَأتِي قَومٌ يَشرَبُونَ الخَمرَ يُسمُّونَهَا بِغَيرِ اسمِهَا (٢١٥)، وَصَدَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢١٦)، فَإِنَّهُ قَد أَتَى طَوَائِفُ مِنَ الفَسَقَةِ يَشرَبُونَ الخَمرَ وَيُسمُّونَهَا نَبِيذًا (٢١٧).

وَأَوَّلُ مَن سَمَّى مَا فِيهِ غَضبُ اللهِ وَعِصيَانُهُ بِالأَسمَاءِ المَحبُوبَةِ عِندَ السَّامِعِينَ إِبلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ قَالَ لِأَبِي البَشَرِ آدَمَ عَلَيهِ السَّلَامُ: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)﴾[طه: ١٢٠].

المرحلة الرابعة: التحريم إلى يوم القيامة، قال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[المائدة: ٩٠].

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ما المراد بالإثم هنا هل هو التحريم؟

بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن فيه أضرارًا؛ لأنه ما قد جاء التحريم، بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن فيه أضرارًا كثيرة قد تغطي العقل، وقد يفعل الفواحش والمنكرات والقتل إلى غير ذلك.

(٢١٥) ورد بعض الأحاديث، منها: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ قَالَ زَيْدٌ –هو ابن يحيى شيخ ابن ماجه: يَعْنِي: فِي الْإِسْلَامِ– كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ يَعْنِي الْخَمْرَ». فَقِيلَ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِيهَا مَا بَيَّنَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا» رواه الدارمي(٢١٤٥)، وهو في «الصحيح المسند» (١٥٥٥) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢١٦) وهذا من دلائل النبوة؛ فقد وقع ما أخبر به النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٢١٧) يسمونه عصيرًا، شرابًا.

فَسَمَّى الشَّجَرَةَ الَّتِي نَهَى اللهُ تَعَالَى آدمَ عَن قُربَانِهَا شَجَرَةَ الخُلدِ؛ جَذبًا لِطَبعِهِ إِلَيهَا، وَهَزًّا لِنَشَاطِهِ إِلَى قُرْبَانِهَا، وَتَدلِيسًا عَلَيهِ بِالِاسمِ الَّذِي اختَرَعَهُ لَهَا(٢١٨).

كَمَا يُسَمِّي إِخوَانُهُ المُقَلِّدُونَ لَهُ الحَشِيشَةَ(٢١٩) بِلُقْمَةِ الرَّاحَةِ(٢٢٠).

---

(٢١٨) هذا تعليل، سمى إبليس هذه الشجرة بشجرة الخلد؛ ليجذب الأبوين: آدم، وحواء للأكل منها.

(٢١٩)الحشيشة من المسكرات وهي نوع من أنواع الخمور، لا يجوز استعمالها، يسمونها لقمة الراحة، الأسماء لا تغير المعاني.

تسأل إحدى الطالبات: والقات؟

القات أنواع: بعضه مسكر، وبعضه لا، فقط يعطي لهم انتعاشًا ونشوة.

وجمهور المعاصرين على أن القات حرام من الخبائث ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ويقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» رواه أحمد (٢٨٦٥)، وابن ماجه (٢٣٤١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والقات له أضرارٌ كثيرة.

وهذه شجرة ابتلى الله بها المسلمين في بعض البلدان وخاصة البلد اليمنية، فهي تعتبر ابتلاء، وإلا كما قال الشاعر:

إنما القات حشيش أخضر ❁ ليس يحتاج إليه البشر

فإذا ما أكلتــه أمــة ❁ فاعذروهم إنما هو بقر

هذا الحشيش الذي يأكله الغنم، لكن ما يتنزهون غلب عليهم الشهوة، فضُعِفوا عن المجاهدة، وإلا من تكلم معهم يكون لهم أنين وحسرة، أغلبهم يكون لهم حسرة وأنين، يضيع عليهم الأوقات، يجلب لهم الكآبة بعد ما يلفظه يأتيه الحزن ويبرد جسمه، وكأنه سيموت تبرد أصابع يديه كأنه محتضر، ويأتيه الكآبة والهموم، زين لهم الشيطان أعمالهم.

(٢٢٠) إخوان الشياطين، فالشياطين لهم إخوان من الإنس، ومن هؤلاء المبذرون كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)﴾[الإسراء].

في هذا الدليل بيان أن هناك إخوانًا للشياطين، وهم المبذرون.

فالواجب الحذر من التبذير في كل ما يصدق عليه تبذير، ومنه تكثير الأطعمة ثم الرمي بها، عدم المبالاة في الطبخ، أو في الطلب من المطعم ثم يُرمى به، لا بد من الحرص أن يكون على قدر الحاجة، وإن زاد يُعطي الجيران أو المحتاجين، وإن لم يجد يحرص على أن يعطيه للحيوانات القطط والكلاب إن وُجدت، يحرص ألَّا يرمي به في القمامة، ويتقي الله ويحتسب الأجر من الله تَعَالَى.

وهذا يكون بالتعود ومحبة الخير والحرص على التزود من الحسنات؛ لأنك إذا اقتصدت واحتسبت الأجر من الله تكونين مأجورة مثابة، فاحذري من التبذير فهي من أسباب زوال النعم. قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ❁ فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُزِيلُ النِّعَمْ

وَكَمَا يُسَمِّي الظَّلَمَةُ مَا يَقبِضُونَهُ مِن أَموَالِ عِبَادِ اللهِ ظُلمًا وَعُدوَانًا أَدَبًا، فَيَقُولُونَ: أَدَبُ القَتلِ، أَدَبُ السَّرِقَةِ، أَدَبُ التُّهمَةِ، بِتَحرِيفِ اسمِ الظُّلمِ إِلَى اسمِ الأَدَبِ.

وَحُطْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ۞ فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمْ

والتبذير من المعاصي.

وكذلك التبذير في الألبسة، في الماء أيضًا.

وهذا من أعظم المخاطر فقد يحصل فيه تبذير بدون شعور.

فإذا احتسبنا وأخذنا الشيء بمقداره، إذا أخذنا نأخذ بمقدار للأسرة بالمقدار الذي يكفيهم، هذا من الاقتصاد المأمور به شرعًا، وحتى أيضًا فيه توفير في المعيشة، ففيه مصلحة تعود إلى أهل البيت وخاصة رب الأسرة، يقول مَيْمُون بْن مِهْرَانَ: التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحَسْنُ الْمَسْأَلَةِ نِصْفُ الْعِلْمِ، وَاقْتِصَادُكَ فِي مَعِيشَتِكَ يُلْقِي عَنْكَ نِصْفَ الْمُؤُونَةِ. أخرجه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٢٩١) بتحقيقي.

«نِصْفَ الْمُؤُونَةِ» أي: يكفيك نصف الكلفة والتعب.

العلم يهذب، العلم يحثنا على الكرم وينهانا عن البخل، البخل من الصفات المذمومة، والتبذير من الصفات المذمومة، والكرم من الأخلاق المحمودة.

الشاهد الآن (كَمَا يُسَمِّي إِخوَانُهُ الْمُقَلِّدُونَ لَهُ الحَشِيشَةَ بِلُقْمَةِ الرَّاحَةِ) الشياطين لهم إخوان، نعوذ بالله أن نكون منهم، (إخوان) أي: أشباه، كما يقال: «كان وأخواتها» أي: أشباهها في العمل ونظائرها، «ظننت وأخواتها، إن وأخواتها».

إذًا المسلم يحذر أن يكون أخًا للشيطان، أي: مشابهًا له.

كَمَا يُحَرِّفُونَهُ فِي بَعضِ المَقبُوضَاتِ إِلَى اسمِ النِّفَاعَةِ، وَفِي بَعضِهَا إِلَى اسمِ السِّيَاقَةِ، وَفِي بَعضِهَا أَدَبُ المَكَايِيلِ وَالمَوَازِينِ(٢٢١).

وَكُلُّ ذَلِكَ اسمُهُ عِندَ اللهِ ظُلمٌ وَعُدوَانٌ، كَمَا يَعرِفُهُ مَن شَمَّ رَائِحَةَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَأخُوذٌ عَن إِبلِيسَ حَيثُ سَمَّى الشَّجَرَةَ المَنهِيَّ عَنهَا شَجرَةَ الخُلدِ(٢٢٢).

وَكَذَلِكَ تَسمِيَةُ القَبرِ مَشهَدًا، وَمَن يَعتَقِدُونَ فِيهِ وَلِيًّا، لَا تُخرِجُهُ عَنِ اسمِ الصَّنَمِ وَالوَثَنِ؛ إِذ هُم مُعامِلُونَ لَهَا مُعَامَلَةَ المُشرِكِينَ لِلأَصنَامِ، وَيَطُوفُونَ بِهِم طَوَافَ الحُجَّاجِ بِبَيتِ اللهِ الحَرَامِ(٢٢٣)، وَيَستَلِمُونَهُم استِلَامَهُم لِأَركَانِ البَيتِ، وَيُخَاطِبُونَ المَيِّتَ

---

(٢٢١) وهو مال حرام سحت، وهذا مِثْل: الرشاوى، والضرائب والجمارك، هذا من أكل أموال الناس بالباطل، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾ [البقرة: ١٨٨].

(٢٢٢) تسأل إحدى الطالبات هل لشجرة الخلد اسم؟

الجواب: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سماها شجرة.

قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين»(٦/٧٠١): شجرة في الجنة لا ندري ما هذه الشجرة ولا نوعها ولا كبرها ولا صغرها، شجرة أبهمها الله، فعلينا أن نؤمن بها مبهمة.

(٢٢٣) يطوفون بالقبور، المشركون منهم من يطوف بالقبور كما يطوف المسلم ببيت الله الحرام؛ تعبدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

بِالكَلِمَاتِ الكُفرِيَّةِ، مِن قَولِهِم: عَلَى اللهِ وَعَلَيكَ(٢٢٤)، وَيَهتِفُونَ بِأَسمَائِهِم عِندَ الشَّدَائِدِ وَنَحوِهَا(٢٢٥).

---

(٢٢٤) يعتمدون على الأموات في الأرزاق، في العافية، في جلب المنافع ودفع المضار.

وهذا اللفظ (عَلَى اللهِ وَعَلَيكَ) معناه: اعتمدت على الله وعليك، وهذا من الألفاظ الشركية.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/٣٥٢): وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ فَكَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْكَ، وَإِنَّا بِاللَّهِ وَبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ هَذَا شِرْكًا أَكْبَرَ، بِحَسَبِ قَائِلِهِ وَمَقْصِدِهِ. اهـ.

وإذا أتى بـ(ثم) (على الله ثم عليك) هذا لا بأس به.

(٢٢٥) وهذا من الفوارق بين المشركين الأولين والمشركين المتأخرين، فشرك المشركين المتأخرين أغلظ وأشد؛ لأنهم يلجؤون إلى معبوديهم في الضراء والسراء، بخلاف المشركين الأقدمين فإنهم في الضراء يلجؤون إلى الله، قال سُبحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

فهذه مسألة وقد ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في «كشف الشبهات».

وَكلُّ قَومٍ لَهُم رَجُلٌ يُنَادُونَهُ.

فَأَهلُ العِرَاقِ وَالهِندِ يَدعُونَ عَبدَ القَادِرِ الجِيلِيَّ(٢٢٦).

وَأَهلُ التَّهَائِمِ لَهُم فِي كُلِّ بَلَدٍ مَيِّتٌ يَهتِفُون بِاسمِهِ، يَقُولُونَ: يَا زَيلَعِي! يَا ابنَ العُجَيلِ(٢٢٧)!

وَأَهلُ مَكَّةَ وَأَهلُ الطَّائِفِ: يَا ابنَ العَبَّاسِ(٢٢٨)!

وقد ذكر الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ أمثلة؛ ليفهم القارئ أنه إذا غُيرت الأسماء المعروفة إلى أسماء محبوبة ملمَّعة لا يَخرج بذلك المسمى عن حقيقته.

(٢٢٦) ويقال: عبدالقادر الجيلاني، وإليه تنسب القادرية، وترجم له الذهبي في «سير أعلم النبلاء»، وهو عبد القادر بن أبي صالح.

وقال الزركلي في «الأعلام»(٤/٤٧): عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان)، وانتقل إلى بغداد شابًّا، سنة ٤٨٨ هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. اهـ المراد.

قال شيخ الإسلام في «الاستغاثة في الرد على البكري»(٢٤٥): وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد، إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس وأكبر منه.

(٢٢٧) الزيلعي أحمد بن عمر، وابن العجيل أحمد بن موسى بن علي.

وَأَهلُ مِصرَ: يَا رِفَاعِيَّ! يَا بَدَوِيَّ! وَالسَّادَةَ البَكرِيَّةِ (٢٢٩)!

وَأَهلُ الجِبَالِ: يَا أَبَا طَيرٍ (٢٣٠)!

وَأَهلُ اليَمَنِ: يَا ابنَ عَلوَانَ (٢٣١)!

وَفِي كُلِّ قَريَةٍ أَموَاتٌ يَهتِفُونَ بِهِم وَيُنَادُونَهُم وَيَرجُونَهُم لِجَلبِ الخَيرِ وَدَفعِ الضُّرِ، وَهَذَا هُوَ بِعَينِهِ فِعلُ المُشرِكِينَ فِي الأَصنَامِ، كَمَا قُلنَا فِي الأَبيَاتِ النَّجدِيَّةِ:

أَعَادُوا بِهَا مَعـنَى سِوَاعَ وَمِثلِـهِ ۞ يَغُــوثَ وَوَدٍّ بِئـسَ ذَلِكَ مِن وَدِّ

وَقَد هَتَفُوا عِندَ الشَّدَائِدِ بِاسمِهَا ۞ كَمَا يَهتِفُ المُضطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَردِ (٢٣٢)

وَكَم نَحَرُوا فِي سُوحِهَا مِن نَحِيرَةٍ ۞ أُهِلَّت (٢٣٣) لِغَيرِ اللهِ جَهرًا عَلَى عَمدِ

---

(٢٢٨) وهو عبدالله بن العباس الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٢٩) هؤلاء مترجم لهم في حاشية الأخ أبي العباس الشحري على «تطهير الاعتقاد».

(٢٣٠) أبو طير لقب لأحمد بن الحسين.

(٢٣١) وهو أحمد بن علوان الصوفي الزائغ، وهذا من أشهرهم.

بل كتبت عن والدي في الجواب عن سؤال: أي القبور في اليمن أعظم اعتقادًا فيه؟.

ج: ابن علوان. اهـ.

والحمد لله ذهب كثير من الشركيات والخرافات في اليمن بسبب دعوة والدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وصارت البلاد بلد توحيد وسنة، والله المستعان.

(٢٣٢) الفرد ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ولكنه من باب الإخبار، وباب الإخبار واسع، وفي الحاشية كلام على هذا.

وَكَم طَائِفٍ حَولَ القُبُورِ مُقبِّــلًا ❁ وَيستَلِمُ الأَركَانَ مِنهُــنَّ بِالأيَدِي(٢٣٤)

---

(٢٣٣) ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[النحل:١١٥]، أي: ذبحت لغير الله.

(٢٣٤) هذه قطعة من أبيات نظمها الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي، والثناء عليه وعلى دعوته.

هذا درسنا إن شاء الله، وعلمنا:

أن الاعتقاد في شجر أو حجر أو ملَك أو نبي أو نحو ذلك اعتقاد التشفع بهم أو التوسل بهم إلى الله من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

بيان أن الأسماء لا تغير الحقائق، فإذا سمى الخمر شرابًا فهو خمر، إذا سمى أرباح الربا فوائد هي من الربا وإن سميت فوائد، من الأموال المحرمة، وهكذا بقية الأمثلة هنا.

أن كل أهل بلد فيها نصيبها من الشركيات، والله أعلم.

أسئلة الدرس التاسع

١. هل التسميات تغيِّر الحقائق أم لا مع الأمثلة؟

٢. ما حكم التوسل بذات المخلوق؟

٣. ما حكم التوسل بجاه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

٤. ما الدليل على تحريم الضرائب والجمارك؟

٥. ما الفارق بين شرك المتقدمين والمتأخرين؟

٦. من هم الذين يستغيث به أهل العراق والهند واليمن؟

الدرس (١٠)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بن صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قَالَ: إِنَّمَا نَحرتُ لِلهِ وَذَكَرتُ اسمَ اللهِ عَلَيهِ[٢٣٥].

فَقُل: إِن كَانَ النَّحرُ لِلهِ فَلِأَيِّ شَيءٍ قَرَّبتَ مَا تَنحَرُهُ مِن بَابِ مَشهَدِ مَن تُفَضِّلُهُ وَتَعتَقِدُ فِيهِ؟ هَل أَرَدتَّ بِذَلِكَ تَعظِيمَهُ؟

إِن قَالَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: هَذَا النَّحرُ لِغَيرِ اللهِ، بَل أَشرَكتَ مَعَ اللهِ تَعَالَى غَيرَهُ. وَإِن لَم تُرِد تَعظِيمَهُ، فَهَل أَرَدتَّ تَوسِيخَ بَابِ المَشهَدِ وَتَنجِيسَ الدَّاخِلِينَ إِلَيهِ[٢٣٦]؟

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٣٥) هذا الدرس الثاني في هذا الفصل الطويل وهو خاتمة هذا الكتاب، وقد أورد الإمام الصنعاني بعض الشبهات للقبوريين، وهذه الشبهة يقول القبوري فيها: (إِنَّمَا نَحَرتُ لِلهِ وَذَكَرتُ اسمَ اللهِ عَلَيهِ).

(٢٣٦) ظاهر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ أن الدم المسفوح نجس، ونُقِل الإجماع على ذلك. واستدلوا بقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)﴾[الأنعام: ١٤٥].

وقد ذهب من المتأخرين الشوكاني إلى طهارته، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الدراري المضية»(١/٣٢): وأما سائر الدماء فالأدلة فيها مختلفة مضطربة، والبراءة الأصلية مستصحبة حتى يأتي الدليل الخالص عن المعارضة الراجحة أو المساوية، ولو قام الدليل على رجوع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام:١٤٥] إلى جميع ما تقدم في الآية الكريمة من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير لكان ذلك مفيدا لنجاسة الدم المسفوح والميتة، ولكنه لم يرد ما يفيد ذلك، بل النزاع كائن في رجوعه إلى الكل أو إلى الأقرب، والظاهر رجوعه إلى الأقرب وهو لحم الخنزير؛ لإفراد الضمير؛ ولهذا جزمنا هاهنا بنجاسة لحم الخنزير دون الميتة والدم الذي ليس بدم الحيض.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السيل الجرار» (١/٣١): الأصل طهارة الدم؛ لعدم وجود دليل ناهض يدل على نجاسته.

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (١/٦٠٥) بعد أن تكلم على نجاسة دم الحيض: وأما سائر الدماء فلا أعلم نجاستها. اهـ. وينظر أيضًا: كلام الشيخ الألباني في «تمام المنة» (٥٢-٥٣).

وهو قول والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. كما استفدناه منه مع بعض الاستثناءات.

سُئل والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «غارة الأشرطة»(١/٦٧): ما حكم دم الإنسان أو دم الحيوان إذا وقع على الثوب هل ينجس، وما حكم خروج الدم في الصلاة هل يقطع الإنسان الصلاة أم لا؟

أَنتَ تَعلَمُ يَقِينًا أَنَّكَ مَا أَرَدتَّ ذَلِكَ أَصلًا، وَلَا أَرَدتَّ إِلَّا الأَوَّلَ(٢٣٧)، وَلَا خَرَجتَ مِن بَيتِكَ إِلَّا قَصدًا لَهُ، ثُمَّ كَذَلِكَ دُعَاؤُهُم لَهُ(٢٣٨).

فَهَذَا الَّذِي عَلَيهِ هَؤُلَاءِ شِركٌ بِلَا رَيبٍ(٢٣٩).

الجواب:

إذا خرج دم من الإنسان ولا يلوِّث المسجد فلا بأس أن يستمر في صلاته، فالصحيح أنه لا ينقض الوضوء وليس بنجس، فلا ينجس من الدماء إلا دم ما لا يؤكل لحمه ودم الحيض والنفاس، هذا هو الذي ينجس.

وبقية الدماء ليس هناك دليل على نجاستها، بل عبدالله بن عمر كان يتقدم وبه بثرة -أي نبتات-، فيفضها ثم يصلي، وكان صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يصلون في جراحاتهم.

وسُئل والدي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صوتية له: هل الدماء كلها نجسة كدم الحيض؟

الشيخ: ليس هناك نجس من الدماء إلا دم الحيض، ودم النفاس، أيضًا دم الذي هو نجس... كالخنزير والكلب وما أشبه ذلك.

(٢٣٧) أي: تعظيم صاحب القبر.

(٢٣٨) من باب التعظيم، فما يدعونه ويلجؤون إليه إلا لتعظيمهم إياه.

(٢٣٩) يأتي بالكبش ويذبحه عند قبر فلان، ويقول: إِنَّمَا نَحَرتُ لِلهِ وتقربًا إلى الله وَذَكَرتُ اسمَ اللهِ عند الذبح، فالإمام الصنعاني يناقشه ويورد سؤالًا: (هَل أَرَدتَّ بِذَلِكَ تَعظِيمَهُ؟) تعظيم صاحب القبر، فإن قال: نعم، فقد وقع في الشرك الأكبر، قال

تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ [الكوثر]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وإذا لم يرد تعظيمه فما الحامل له على أن يذهب ويذبح عند قبر فلان؟

وهناك حالة أخرى قد يذهب ويذبح؛ لأنه يعتقد أن ذلك المكان فيه فضيلة، وهذا بدعة،وهو أيضًا وسيلة إلى الشرك.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتاوى نور على الدرب»(٢/٢٦٧) في الجواب عن سؤال: يوجد مقابر بجوارها مقام يذبح عند هذا المقام ذبائح نذرت لله، ولكن لا تذبح إلا في هذا المكان وإذا نهاهم أحد قالوا: إنما نذبح لله ولكن بجوار الأولياء..

فأجاب: هذا بدعة ووسيلة للشرك، مجيئهم للذبح عند القبور بدعة ولو قالوا: إنها لله، أما إن كانت لأصحاب القبور فشرك أكبر والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فإذا ذبحوا للأموات يتقربون لهم صار شركًا أكبر، كما يذبحون للأولياء يرجون شفاعتهم، أو شفاء مرضاهم، أو ما أشبه ذلك أو يدعونهم أو يستغيثون بهم، أو ينذرون لهم أو يطوفون بالقبور، كل هذا شرك أكبر.

أما إن كان الذبح لله، ولكن يرون أن هذا المحل مناسب أنه محل مبارك، هذا غلط، هذا بدعة لا يجوز؛ لأنه وسيلة للشرك وبدعة في الدين.

وَقَد يَعتَقِدُونَ فِي بَعضِ فَسَقَةِ الأَحيَاءِ، وَيُنَادُونَهُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَهُوَ عَاكِفٌ عَلَى القَبَائِحِ وَالفَضَائِحِ، لَا يَحضُرُ حَيثُ أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ بِالحُضُورِ هُنَاكَ(٢٤٠)، وَلَا

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في «شرح تطهير الاعتقاد»: الذي يأتي عند القبر ويدعو أو يذبح أو يصلي إن كان يقصد هذا لله ويظن أن فعله عند القبر يُرجى عنده الاستجابة من الله فهذا بدعة؛ لأن هذا لم يشرعه الله لنا.

وإن أراد بذلك التقرب إلى القبر طلب النفع من القبر -وهذا هو قصدهم بلا شك-، فهذا شرك بالله عزوجل؛ لأنه ذبح لغير الله يتقرب إلى القبر. تخصيص هذا المكان بنية التقرب إلى القبر طلب النفع منه والشفاعة منه هذا شرك أكبر، وهذا هو قصدهم.

فإن قال: ما أقصد القبر قصدي لله...

يقال: إن مجيئك هذا تريد توسيخ عَتَبَة القبر وتذبح عليه.. والفرث والدم، هذه إهانة للميت، لماذا لا تذبح في مكان واسع وتتخلص عن الدماء والمخلفات من المذبوح؟ فلا بد أن يُقر أنه ما جاء عند القبر إلا للاعتقاد فيه. اهـ المراد.

(٢٤٠) وهذا من الفوارق بين شرك المتقدمين والمتأخرين، أن المتأخرين يدعون أناسًا فجرة ويلجؤون إلى فسقة، عاكفين على القبائح والفضائح كشرب الخمور، والزنا، واللواط، وقطع الصلاة، بينما المشركون المتقدمون كانوا يدعون أحجارًا وأشجارًا، ويدعون بعض الصالحين، وقد ذكر هذا الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كشف الشبهات».

فعندنا كم فوارق بين شرك المشركين المتقدمين والمتأخرين؟

يَحْضُرُ جُمعَةً وَلَا جَمَاعَةً، وَلَا يَعُودُ مَرِيضًا وَلَا يُشَيِّعُ جَنَازَةً، وَلَا يَكتَسِبُ حَلَالًا[٢٤١]، وَيَضُمُّ إِلَى ذَلِكَ دَعوَى عِلمِ الغَيبِ[٢٤٢]، وَيَجلِبُ إِلَيهِ إِبلِيسُ جَمَاعَةً قَد عَشَّشَ فِي قُلُوبِهِم

أن المتأخرين يدعون معبوديهم في السراء والضراء، بخلاف المتقدمين في الضراء والشدائد والكربات يُخلصون في دعائهم، فيدعون الله وحده.

أن المتأخرين يعتقدون في أناس فسقة فجرة ليسوا صالحين، يرتكبون الجرائم والقبائح، بخلاف المتقدمين كانوا يدعون أحجارًا، أشجارًا، مسخرة لله لا تعصي الله، أو يدعون مطيعين لله كالملائكة أو الأنبياء أو الصالحين والأولياء

وكله كفر وشرك صاحبه خالد مخلدٌ في النار، ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢].

ولكنا نستفيد أن الشرك في غِلَظِهِ مراتب، ليس على حدٍّ سواء.

(٢٤١) مكاسبه اختلاس لأموال الناس.

(٢٤٢) يدعي أنه متوكل على الله، فاجر ومجرم ويدعي أنه متوكل على الله، لا يأخذ بالأسباب الشرعية في باب الأرزاق ويقول: إنه متوكل على الله، ويدعي علم الغيب، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[آل عمران:١٧٩].

وَبَاضَ فِيهَا وَفَرَّخَ، يُصَدِّقُونَ بُهتَانَهُ، وَيُعَظِّمُونَ شَأْنَهُ، وَيَجعَلُونَ هَذَا نِدًّا لِرَبِّ العَالَمِينَ وَمِثْلًا (٢٤٣).

فَيَا لَلعُقُولِ أَينَ ذَهَبَت؟ وَيَا لَلشَّرَائِعِ (٢٤٤) كَيفَ جَهِلَت؟﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (٢٤٥) [الأعراف: ١٥٤].

---

(٢٤٣) أي: مثيلًا. وهذه وظيفة إبليس أنه يدفع إلى الشركيات والمنكرات، قال سُبحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)﴾ [مريم: ٨٣].

(٢٤٤) «يا» حرف نداء واستغاثة، أي: أين ذهبت عقولهم، وكيف مدى جهلهم بالشرع؟!

وهو بفتح اللام في لَلعقول، و لَلشرائع؛ للاستغاثة مع تكرار يا، قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الألفية»:

وافْتَحْ مع المعطوفِ إنْ كررْتَ يا ۞ وفي سِوَى ذلك بالكسر ائْتِيَا

وكما قال الشاعر:

يا لَقومي ويا لَأمثال قومي ۞ لأناس عُتُوُّهُمْ في ازدياد

(٢٤٥) فلماذا تدعونهم وتستغيثون به، وهم عباد أمثالكم؟!

هذه الشبة الأولى والجواب عنها.

فَإِن قُلتَ: أَفَيصِيرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعتَقِدُونَ فِي القُبُورِ وَالأَولِيَاءِ وَالفَسَقَةِ وَالخُلَعَاءِ مُشرِكِينَ كَالَّذِينَ يَعتَقِدُونَ فِي الأَصنَامِ؟

قُلتُ: نَعَم، قَد حَصَلَ مِنهُم مَا حَصَلَ مِن أُولَئِكَ وَسَاوُوهُم فِي ذَلِكَ، بَل زَادُوا عَلَيهِم فِي الاعتِقَادِ وَالانقِيَادِ وَالاستِعبَادِ، فَلَا فَرقَ بَينَهُم (٢٤٦).

فَإِن قُلتَ: هَؤُلَاءِ القُبُورِيُّونَ يَقُولُونَ: نَحنُ لَا نُشرِكُ بِاللهِ تَعَالَى وَلَا نَجعَلُ لَهُ نِدًّا، وَالالتِجَاءُ إِلَى الأَولِيَاءِ وَالاعتِقَادُ فِيهِم لَيسَ شِركًا.

قُلتُ: نَعَم، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٦٧].

لَكِن هَذَا جَهلٌ مِنهُم بِمَعنَى الشِّركِ؛ فَإِنَّ تَعظِيمَهُمُ الأَولِيَاءَ وَنَحرَهُمُ النَّحَائِرَ لَهُم شِركٌ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٣]، أَي: لَا لِغَيرِهِ، كَمَا يُفِيدُهُ تَقدِيمُ الظَّرفِ(٢٤٧).ط

وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: [الجن: ١٨].

وَقَد عَرَفتَ بِمَا قَدَّمنَاهُ قَرِيبًا أَنَّهُ ﷺ قَد سَمَّى الرِّيَاءَ شِركًا (٢٤٨)، فَكَيفَ بِمَا ذَكَرنَاهُ؟!

---

(٢٤٦) هذه أيضًا من الشبه، يقولون: الذين يعتقدون في القبور والأولياء كالذين يعتقدون في الأصنام والأحجار والكواكب ونحوها، فأجاب عن هذا الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنهم مساوون لهم في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، بل هؤلاء الذين يعتقدون في القبور أشد استعبادًا وإذعانًا.

(٢٤٧) يعني: الجار والمجرور ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

فَهَذَا الَّذِي يَفعَلُونَهُ لِأَولِيَائِهِم هُوَ عَينُ مَا فَعَلَهُ المُشرِكُونَ وَصَارَوا بِهِ مُشرِكِينَ، وَلَا يَنفَعُهُم قَولُهُم: نَحنُ لَا نُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا؛ لِأَنَّ فِعلَهُم أَكْذَبَ قَولَهُم (٢٤٩).

فَإِن قُلتَ: هُم جَاهِلُونَ أَنَّهُم مُشرِكُونَ بِمَا يَفعَلُونَهُ.

قُلتُ: قَد صَرَّحَ الفُقَهَاءُ فِي كُتُبِ الفِقهِ فِي بَابِ الرِّدَّةِ أَنَّ مَن تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الكُفرِ يَكفُرُ وَإِن لَم يَقصِد مَعنَاهَا (٢٥٠).

---

(٢٤٨) في حديث رواه مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

(٢٤٩) وهذه أيضًا من شبه المشركين القبوريين، يقولون: نحن لا نشرك بالله ولا نجعل له ندًّا، ولكن نلجأ إلى الأولياء عند الحاجات والشدائد، ونعتقد فيهم أنهم يجلبون النفع ويدفعون الضر، فالإمام الصنعاني أجاب عن هذه الشبهة وأنهم واقعون في الشرك، فاللجوء إلى الأموات شرك ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾[يونس]، ولا يكتفون بالدعاء، يعظمونهم كتعظيمهم الله أو أشد، وينحرون لهم، وينذرون لهم، إلى غير ذلك.

«فِعلَهُم أَكْذَبَ قَولَهُم» وهو ما يقع منهم من الشركيات أكذب قولهم.

(٢٥٠) أي: تكلم بكلمة الكفر مازحًا ولاعبًا، هذا يكفر إذا نطق بكلمة الكفر. روى ابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ «وَأَمَرَ بِالْغَزْوِ إِلَى تَبُوكَ» قَالَ: وَنَزَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ

وَهَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّهُم لَا يَعرِفُونَ حَقِيقَةَ الإِسلَامِ، وَلَا مَاهِيَّةَ التَّوحِيدِ، فَصَارُوا حِينَئِذٍ كُفَّارًا كُفرًا أَصليًّا(٢٥١)؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ إِفرَادَهُ بِالعِبَادَةِ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

النَّبِيِّ ﷺ فِي جَانِبٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: وَاللَّهِ إِنَّ أَرْغَبَنَا بُطُونًا، وَأَجْبَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَأَضْعَفَنَا لَقُرَّاؤُنَا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَمَّارًا فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَى هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ فَقُلْ لَهُمْ: مَا قُلْتُمْ؟» ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. وذكره والدي في «الصحيح المسند من أسباب النزول»(١٠٨).

ولا يشمل هذا من نطق بالكفر مكرهًا؛ لأن الله يقول: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)﴾ [النحل].

أو سبق لسانه، فلا يشمل هذا من كان مكرهًا، نطق بكلمة الكفر مكرهًا أو سبق لسانه بكلمة الكفر، قال تَعالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وروى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعالَى (٢٧٤٧) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ، وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا. فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

(٢٥١) الكافر الأصلي: الذي لم يسبق له إسلام، والمرتد هو: الذي ارتد عن الإسلام.

اللَّهَ﴾[هود:٢]، وَإِخلَاصَهَا لَهُ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥].

وَمَن نَادَى اللهَ لَيلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَجِهَارًا وَخوفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ نَادَى مَعَهُ غَيرَهُ فَقَد أَشرَكَ فِي العِبَادَةِ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِنَ العِبَادَةِ، وَقَد سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَةً فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠] بَعدَ قَولِهِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢٥٢).

فَإِن قُلتَ: فَإِذَا كَانُوا مُشرِكِينَ وَجَبَ جِهَادُهُم، وَالسُّلُوكُ فِيهِم مَا سَلَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المُشرِكِينَ.

قُلتُ: إِلَى هَذَا ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِن أَئِمَّةِ العِلمِ، فَقَالُوا: يَجِبُ أَوَّلًا دُعَاؤُهُم إِلَى التَّوحِيدِ، وَإِبَانَةُ أَنَّمَا يَعتَقِدُونَهُ يَنفَعُ وَيَضُرُّ، لَا يُغنِي عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا، وَأَنَّهُم أَمثَالُهُم(٢٥٣)، وَأَنَّ

---

(٢٥٢) من نادى الله ليلًا ونهارًا وهو يدعو الله وحده، ولكن أحيانًا يدعو غير الله إذا ألمَّتْ به حاجة أونزلت به نائبة يدعو الولي الفلاني، يدعو صاحب القبر، هذا يكون مشركًا؛ لأنه صرف عبادة لغير الله، والدعاء عبادة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

(٢٥٣)قال تعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾.

هَذَا الاعتِقَادَ مِنهُم فِيهِ شِركٌ لَا يَتِمَّ الإِيمَانُ بِمَا جاءَت بِهِ الرُّسُلُ إِلَّا بِتَركِهِ وَالتَّوبَةِ مِنهُ، وَإِفرَادِ التَّوحِيدِ اعتِقَادًا وَعَمَلًا لِلهِ وَحدَهُ(٢٥٤).

وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى العُلَمَاءِ(٢٥٥)، أَي: بَيَانُ أَنَّ ذَلِكَ الِاعتِقَادَ(٢٥٦) الَّذِي تَفَرَّعَت عَنهُ النُّذُورُ وَالنَّحَائِرُ وَالطَّوَافُ بِالقُبُورِ شِركٌ مُحَرَّمٌ، وَأَنَّهُ عَينُ مَا كَانَ يَفعَلُهُ المُشرِكُونَ لِأَصنَامِهِم.

فَإِذَا أَبَانَ العُلَمَاءُ ذَلِكَ لِلأَئِمَّةِ وَالمُلُوكِ(٢٥٧)، وَجَبَ عَلَى الأَئِمَّةِ وَالمُلُوكِ بَعثُ دُعَاةٍ إِلَى النَّاسِ يَدعُونَهُم إِلَى إِخلَاصِ التَّوحِيدِ لِلهِ(٢٥٨).

---

(٢٥٤) إذا ثبت أنهم مشركون فيجب على ولي الأمر أن يقاتلهم، ولكن بعد دعوتهم إلى التوحيد والإسلام كما كان يفعل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد قال لعلي بن أبي طالب: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ..» رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ.

وهذا عليه إجماع أهل العلم، ليس كما يفيده ظاهر عبارة الإمام الصنعاني في قوله: (إِلَى هَذَا ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِن أَئِمَّةِ العِلمِ).

(٢٥٥) هذا من واجب العلماء، قال سُبحَانَهُ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة]. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران].

(٢٥٦) أنهم إنما يلجؤون إليهم، هذا تفرع منه كثير من العبادات فصرفوا لهم النذور والنحائر والتعظيم والمحبة وتعلقت بهم قلوبهم...

فَمَن رَجَعَ وَأَقَرَّ حُقِنَ عَلَيهِ (٢٥٩) دَمُهُ وَمَالُهُ وَذَرَارِيهُ(٢٦٠).

وَمَن أَصَرَّ (٢٦١) فَقَد أَبَاحَ اللهُ مِنهُ مَا أَبَاحَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِن المُشرِكِينَ (٢٦٢).

---

(٢٥٧) هذا فيه أن مرجع الناس بما فيهم الأئمة والملوك هم العلماء، وهذا من فضائل العلم، أن الكبار والأمراء يحتاجون أهل العلم، قال الله سُبحَانَهُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

(٢٥٨) يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ.

(٢٥٩) أي: عُصِم.

(٢٦٠) أي: أولاده، وهذا كما قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ» رواه مسلم (٢٣) عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ.

(٢٦١) على الشرك.

(٢٦٢) وهو القتال، فمن بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة وأصر على كفره يشرع قتاله.

أسئلة الدرس العاشر

١ . من الفوارق بين شرك المتقدمين وبين شرك المتأخرين؟

أن المتقدمين كانوا يلجؤون إلى معبوديهم في حال السراء، وأما في الضراء فيدعون الله، بخلاف المشركين المتأخرين فإنهم يدعونهم في السراء والضراء.

أن المتقدمين كانوا يدعون أحجارًا وأشجارًا ويدعون بعض الصالحين، بخلاف المتأخرين فإنهم يدعون ويلجؤون إلى أناس فسقة فجرة.

٢. إذا نفى القبوريون عنهم الشرك وقالوا: نحن لا نعبد الأصنام أقولهم صحيح أم لا؟

لا، غير صحيح، فإنهم يعبدونهم وينذرون لهم ويذبحون لهم، ويدعونهم، ويستغيثون بهم.

٣. ما حكم المزاح بكلمة الكفر؟

لا يجوز المزاح في هذا، والدليل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)﴾[التوبة]، أثبت الله لهم الكفر والعياذ بالله.

٤. قول الصنعاني: (قَد صَرَّحَ الفُقَهَاءُ فِي كُتُبِ الفِقهِ فِي بَابِ الرِّدَّةِ أَنَّ مَن تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الكُفرِ يَكفُرُ وَإِن لَم يَقصِد مَعنَاهَا) ما مراده بـ(لم يقصد معناها)؟

أي: يتكلم بكلمة الكفر مازحًا ولاعبًا هذا يكفر إذا نطق بكلمة الكفر.

٥. هل يكفر لو سبق لسانه إلى كلمة الكفر؟

لا يكفر، والدليل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، وفي الحديث: «اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

٦. من هو المرتد؟

هو الذي رجع إلى الكفر بعد الإسلام.

٧. من هو الكافر الأصلي؟

الذي لم يسبق له إسلام.

٨. من كان يدعو الله ليلًا ونهارًا ولكنه في بعض الأحيان يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هل يكون مشركًا؟

نعم، يعتبر مشركًا؛ لأن الدعاء عبادة، ولا يجوز صرفها لغير الله، والدليل: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١١٧].

٩. من عُلِمَ أنه كافر سواء كان كافرًا أصليًّا أو مرتدًا هل يجب دعاؤه إلى الإسلام أم يُقتل مباشرة؟

يدعوه إلى الإسلام، كما كان يفعل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكما كان يرشد رسله إلى ذلك.

١٠. أيهما مرجع للآخر العلماء أو الأمراء؟

العلماء، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]. وقال الله سُبحَانَهُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. فالعلماء يحتاجهم الأمراء ويرجعون إليهم، وهذا من فضائل أهل العلم أنهم السادة والقادة.

١١. متى يكون الإنسان معصوم المال والدم مع الدليل؟

إذا كان موحدًا، والدليل ما رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

الدرس (١١)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قُلتَ: الِاستِغَاثَةُ قَد ثَبَتَت فِي الأَحَادِيثِ، فَإِنَّهُ قَد صَحَّ أَنَّ العِبَادَ يَومَ القِيَامَةِ يَستَغِيثُونَ بِآدَمَ أَبِي البَشَرِ(٢٦٣)، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى، وَيَنتَهُونَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعدَ اعتِذَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِن الأَنبِيَاءِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِاستِغَاثَة بِغَيرِ اللَّهِ لَيسَت بِمُنكَرٍ (٢٦٤).

قُلتُ: هَذَا تَلبِيسٌ(٢٦٥)؛ فَإِنَّ الِاستِغَاثَةَ بِالمَخلُوقِينَ الأَحيَاءِ فِيمَا يَقدِرُونَ عَلَيهِ لَا يُنكِرُهَا أَحَدٌ، وَقَد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الإِسرَائِيلِيِّ وَالقِبطِيِّ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾[القصص: ١٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٦٣) نحن لا زلنا في شُبه القبوريين التي يستدلون بها على جواز دعاء الأموات والاستغاثة بهم.

(٢٦٤) هذا دليلهم الاستدلال بحديث الشفاعة، وسيأتي الجواب عنه في كلام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢٦٥) تلبيس من إبليس.

وَإِنَّمَا الكَلَامُ فِي استِغَاثَةِ القَبُورِيِّين(٢٦٦) وَغَيرِهِم بِأَولِيَائِهِم، وَطَلَبِهِم مِنهُم أُمُورًا لَا يَقدِرُ عَلَيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، مِن عَافِيَةِ المَرِيضِ وَغَيرِهَا(٢٦٧).

بَل أَعجَبُ مِن هَذَا أَنَّ القَبُورِيِّين وَغَيرَهُم مِنَ الأَحيَاءِ مِن أَتبَاعِ مَن يَعتَقِدُونَ فِيهِ، قَد يَجعَلُونَ لَهُ حِصَّةً مِنَ الوَلَدِ إِن عَاشَ(٢٦٨)، وَيَشتَرُونَ مِنهُ الحَملَ فِي بَطنِ أُمِّهِ؛ لِيَعِيشَ لَهُم(٢٦٩)، وَيَأتُونَ بِمُنكَرَاتٍ مَا بَلَغَ إِلَيهَا المُشرِكُونَ الأَوَّلُونَ.

---

(٢٦٦) أي: تحريم الاستغاثة إنما هو في استغاثة القبوريين وغيرهم، وهكذا الاستغاثة بالمخلوق على العموم فيما لا يقدر عليه شرك.

(٢٦٧) مثال للاستغاثة الشركية، يدعو صاحب القبر أن يشفي مريضه، أو يطلب منه أن يرد غائبه، أو يرزقه المال والغنى، وسيأتي أيضًا أدلة في كلام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمن الذي يشفي المرضى؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾[الشعراء:٨٠].

(٢٦٨)حصة أي: نصيب من الولد.

يجعلون لمن يعتقدون فيه نصيبًا من هذا الولد إن عاش، سواء إن وجد أو كان حملًا من حيث الخدمة، فيكون خادمًا له، حارسًا، سادنًا نسأل الله العافية، وكثير منا لا يعرف هذه الأشياء لكنها موجودة.

(٢٦٩) تكون المرأة حاملًا، ولكن كلما وضعت مات عليها، فيزين له الشيطان فيذهب إلى صاحب القبر ويدفع له مالًا؛ لكي يعيش الولد، وهذا لا يقدر عليه إلا الله سُبحَانَهُ.

وَلَقَد أَخبَرَنِي بَعضُ مَن يَتَوَلَّى قَبضَ مَا يُنذِرُ القُبُورِيُّونَ لِبَعضِ أَهلِ القُبُورِ: أَنَّهُ جَاءَهُ إِنسَانٌ بِدَرَاهِمَ وَحِليَةٍ نِسَائِيَّةٍ، وَقَالَ: هَذِهِ لِسِيدِهِ فُلَانٍ -يُرِيدُ صَاحِبَ القَبرِ- نِصفُ مَهرِ ابنَتِي؛ لِأَنِّي زَوجتُهَا، وَكُنتُ مَلَّكتُ نِصفَ مَهرِهَا فُلَانًا -يُرِيدُ صَاحِبَ القَبرِ-(٢٧٠).

وَهَذَا شَيءٌ مَا بَلَغَ إِلَيهِ عَبَّادُ الأَصنَامِ، وَهُوَ دَاخِلٌ تَحتَ قَولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجعَلُونَ لِمَا لَا يَعلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقنَاهُم﴾[الأنعام: ٥٦]، بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيبٍ(٢٧١).

نَعَم! استِغَاثَةُ العِبَادِ يَومَ القِيَامَةِ وَطَلَبُهُم مِنَ الأَنبِيَاءِ إِنَّمَا يَدعُونَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِيَفصِلَ بَينَ العِبَادِ بِالحِسَابِ حَتَّى يُرِيحَهُم مِن هَولِ المَوقِفِ، وَهَذَا لَا شَكَّ فِي جَوَازِهِ.

أَعنِي: طَلَبَ دُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مِن بَعضِ عِبَادِهِ لِبَعضٍ(٢٧٢)، بَل قَد قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ لَمَّا خَرَجَ مُعتَمِرًا: «لَا تَنسَنَا يَا أَخِي مِن دُعَائِكَ»(٢٧٣).

---

(٢٧٠) يعني: يأتي لصاحب القبر بنصف مهر ابنته؛ رجاء الألفة بينها وبين زوجها والسعادة، وهذا غاية في الجهل، يقول الله تَعَالَى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾[الأنفال].

(٢٧١) هذا الاعتقاد في القبور داخل في هذه الآية بلا شك ولا ريب، ﴿وَيَجعَلُونَ لِمَا لَا يَعلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقنَاهُم﴾ أي: يجعلون للميت وكذا الجمادات النذور، وهي لا تعقل شيئًا. وهذه الآية كقوله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام: ١٣٦].

وَأَمَرَنَا سُبحَانَهُ أَنَّ نَدعُوَ لِلمُؤمِنِينَ وَنَستَغفِرَ لَهُم فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغفِر لَنَا وَلِإِخوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجعَل فِي قُلُوبِنَا غَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر: ١٠].

وَقَد قَالَت أُمُّ سُلَيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ، ادعُ اللَّهَ لَهُ».

وَقَد كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم يَطلُبُونَ الدُّعَاءَ مِنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ.

---

(٢٧٢) الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ يجيب عن هذه الشبهة بأن هذه الاستغاثة بحي قادر، فإن الناس في عرصات يوم القيامة في ذلك اليوم الطويل، خمسين ألف سنة وهم واقفون على أقدامهم، والشمس قد دنت على رؤوسهم، والزحام، فإن الله قد جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، وهم واقفون حفاة عراة غرلًا، عارية أجسامهم، حافية أقدامهم، كما أخرج البخاري (٦٥٢٤)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا»، «فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» رواه البخاري (٤٧١٢)، ومُسلِمٌ (١٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فهذه الاستغاثة غير استغاثة القبوريين؛ فإن استغاثة القبوريين بميت عاجز لا يملك ضرًّا ولا نفعًا.

(٢٧٣) الحديث ضعيف؛ فيه عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو ضعيف.

وَهَذَا أَمرٌ مُتَّفَقٌ عَلَى جَوَازِهِ(٢٧٤).

---

(٢٧٤) هذه بعض الأدلة على جواز طلب الدعاء من أهل الفضل، وهذا من طلب الحي فيما يقدر عليه.

(وَهَذَا أَمرٌ مُتَّفَقٌ عَلَى جَوَازِهِ) وسبق قوله تَعَالَى:﴿ فَاستَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِن عَدُوِّهِ﴾ وما يتعلق بطلب الدعاء من أهل الفضل مما ينبه عليه: عدم الإكثار، وأن الإنسان يدعو ربه لنفسه ويرفع حوائجه إلى الله بنفسه، وقد يكون في حالة اضطرار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، لكن في بعض الأحيان لا بأس يطلب ممن يرجو فيه الخير، ومن هو قريب من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فيطلب منه الدعاء.

وقد نبَّه على ذلك الشيخ ابن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كشف الشبهات»(٢٥٤)، وقال: ذكر المؤلف–أي: الإمام النجدي–رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا بأس أن تأتي لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك، وهذا حق إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدنًا له، كلما رأى رجلًا صالحًا قال: ادع الله لي؛ فإن هذا ليس من عادة السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وفيه اتكال على دعاء الغير، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيرًا له؛ لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الدعاء من العبادة كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة، ثم يعتمد على الله عَزَّوَجَلَّ في حصول المنفعة ودفع المضرة، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن

وَالكَلَامُ فِي طَلَبِ القُبُورِيِّينَ مِنَ الأَموَاتِ أَو مِن الأَحيَاءِ الَّذِينَ لَا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا موتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، أَن يَشفُوا مَرضَاهُم، وَيُرَدُّوا غَائِبَهُم(٢٧٥)، وَيُنَفِّسُوا عَن حُبلَاهُم، وَأَن يَسقُوا زَرعَهُم(٢٧٦)، وَيُدِرُّوا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِم، وَيَحفَظُوهَا مِن العَينِ، وَنَحو ذَلِكَ مِن المَطَالِبِ الَّتِي لَا يَقدِرُ عَلَيهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير، وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الأمر فيه خطورة وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعو له أن ينوي بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له، فإنه يؤجر على هذا، وربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة: آمين ولك بمثلها. اهـ.

(٢٧٥) هذا من الاستغاثة المحرمة، فالضر والنفع بيد الله.

(٢٧٦)يطلبون من الميت أن يرزقهم المطر، وهذا بيد الله سُبحَانَهُ مالك الملك ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[غافر]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأعراف]، الرحمة: هنا المطر.

هَؤُلَاءِ هُم الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِم: ﴿وَالَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَستَطِيعُونَ نَصرَكُم وَلَا أَنفُسَهُم يَنصُرُونَ﴾[الأعراف: ١٩٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمثَالُكُم﴾[الأعراف: ١٩٤](٢٧٧).

فَكَيفَ يَطلُبُ الإِنسَانُ مِن الجَمَادِ أَو مِن حَيٍّ -الجَمَادُ خَيرٌ مِنهُ(٢٧٨)؛ لِأَنَّهُ لَا تَكلِيفَ عَلَيهِ.

وَهَذَا يُبَيِّنُ (٢٧٩) مَا فَعَلَهُ المُشرِكُونَ الَّذِينَ حَكَى اللَّهُ ذَلِكَ عَنهُم فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرثِ وَالأَنعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعمِهِم وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآيَةَ(٢٨٠)، وَقَالَ: ﴿وَيَجعَلُونَ لِمَا لَا يَعلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقنَاهُم تَاللَّهِ لَتُسأَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَفتَرُونَ﴾[النحل: ٥٩].

فَهَؤُلَاءِ القَبُورِيُّونَ وَالمُعتَقِدُونَ فِي جُهَّالِ الأَحيَاءِ وَضُلَّالِهِم سَلَكُوا مَسَالِكَ المُشرِكِينَ حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ(٢٨١)، فَاعتَقَدُوا فِيهِم مَا لَا يَجُوزُ أَن يُعتَقَدَ إِلَّا فِي اللَّهِ، وَجَعَلُوا لَهُم

---

(٢٧٧) عباد أمثالكم في الضعف والعجز، فكيف يتعلق عاجز بعاجز؟!

(٢٧٨) هذا الحي الذي يتعلق به القبوري فاسق لا يصلي، يشرب الخمر، يرتكب العظائم والفواحش، فالجماد خير منه؛ (لِأَنَّهُ لَا تَكلِيفَ عَلَيهِ)، الجماد غير مكلف.

(٢٧٩) يوجد في نسخ الكتاب هنا بعض التقديم والتأخير والنقص.

(٢٨٠) أي: أكمل الآية، مفعول به لفعل محذوف، ويجوز نصبه على نزع الخافض.

إذا وضعوا النذر لمن يعتقدون فيه لا يصل منه شيء إلى الله، وإذا ذهب شيء إلى شركائهم لا يردونه، هذه قسمة المشركين، قال سُبحَانَهُ: ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.

(٢٨١) القذة: ريش السهم، ومعناه: أنهم سلكوا طريق المشركين.

جُزءًا مِنَ المَالِ، وَقَصَدُوا قُبُورَهُم مِن دِيَارِهِم البَعِيدَةِ؛ لِلزِّيَارَةِ (٢٨٢)، وَطَافُوا حَولَ قُبُورِهِم، وَقَامُوا خَاضِعِينَ عِندَ قُبُورِهِم، وَهَتَفُوا بِهِم عِندَ الشَّدَائِدِ، وَنَحَرُوا؛ تَقَرُّبًا إِلَيهِم.

---

(٢٨٢) أي: الزيارة الشركية، زيارة القبور على ثلاثة أقسام:

زيارة شرعية: أن يزور القبر للاتعاظ والذكرى والدعاء للأموات، كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ» رواه ابن ماجه(١٥٦٩).

وزيارة شركية: كأن يزور القبر، ويستغيث به، ويلجأ إليه، وينذر له، هذه زيارة شركية.

وزيارة بدعية: كأن يزور القبر؛ ليدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك المكان، يعتقد فضيلة المكان، ويتوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عند القبر، ولا يتوسل بصاحب القبر. فإذا توسل تصير الزيارة شركية، ومثل: شد الرحل لزيارة القبور، بمعنى: أن يذهب إلى القبر مسافة سفر هذا بدعة؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى» رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبالنسبة لزيارة المرأة للقبر الصحيح أنه يجوز، وفي ذلك أدلة:

منها: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ

أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

هذا الحديث فيه دليلٌ على جواز زيارة المرأة للقبور. وقد بوَّب الإمامُ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الحديث(بَابُ زِيَارَةِ القُبُورِ).

قال الحافظ في «فتح الباري» شرح هذا الحديث: وَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَى الْمَرْأَةِ قُعُودَهَا عِنْدَ الْقَبْرِ وَتَقْرِيرُهُ حجَّة.

وروى الإمام مسلم (٩٧٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الحديث وفي آخره أن جبريل قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ».

وأيضًا عندنا عموم قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا» رواه مسلم (١٩٧٧) عَنْ بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى الحاكم في «المستدرك» (١٣٩٢)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ أَقْبَلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْمَقَابِرِ فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ؟ قَالَتْ: مِنْ قَبْرِ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْسَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، «كَانَ قَدْ نَهَى، ثُمَّ أُمِرَ بِزِيَارَتِهَا». والحديث صحيح.

والمانعون من زيارة المرأة القبور استدلوا بحديث «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ» وهو حديث ضعيف؛ فيه أبو صالح باذام مولى أم هانئ.

وَهَذِهِ هِيَ أَنوَاعُ العِبَادَاتِ الَّتِي عَرَّفنَاكَ(٢٨٣).

وَلَا أَدرِي هَل فِيهِم مِن يَسجُدُ لَهُم؟

لَا أَستَبعِدُ أَنَّ فِيهِم مَن يَفعَلُ ذَلِكَ، بَل أَخبَرَنِي مِن أَثِقُ بِهِ أَنَّهُ رَأَى مَن يَسجُدُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِ مَشهَدِ الوَلِيِّ الَّذِي يَقصِدُهُ؛ تَعظِيمًا لَهُ وَعِبَادَةً(٢٨٤)، وَيُقسِمُونَ(٢٨٥) بِأَسمَائِهِم، بَل إِذَا حَلَفَ مَن عَلَيهِ حَقٌّ بِاسمِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَقبَلُوا مِنهُ، فَإِذَا حَلَفَ بِاسمِ وَلِيٍّ مِن أَولِيَائِهِم قَبِلُوهُ وَصَدَّقُوهُ، وَهَكَذَا كَانَ عُبَّادُ الأَصنَامِ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُم يَستَبشِرُونَ﴾[الزمر: ٤٥]،

وهناك حديث «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ» هذا لا بأس به له بعض الطرق، لكن المراد به المكثرات من الزيارة «زَوَّارَاتِ» على وزن فعال من أمثلة المبالغة، فيكون هذا أحيانًا ومع أمن المرأة أن تقول هُجرًا، وأن تقع في الشرك أو تقع في النياحة، فقد تضعف إذا زارت قبر أبيها أو قبر أخيها أو عزيز عليها، فإذا كان كذلك فلا يجوز لها أن تزور القبور.

(٢٨٣) فيما مضى، النذر، الطواف، الخضوع، الذبح.

(٢٨٤) يعني: يوجد من يسجد للمخلوق، يعتقد فيه التعظيم، ويسجد له، وقد ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» رواه أبو داود(٢١٤٠).

(٢٨٥) أي: يحلفون.

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحلِف بِاللَّهِ أَو لِيَصمُت»، وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَحلِفُ بِاللَّاتِ فَأَمَرَهُ أَن يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ارتَدَّ بِالحَلِفِ بِالصَّنَمِ[٢٨٦]، فَأَمَرَهُ أَن يُجَدِّدَ إِسلَامَهُ؛ فَإِنَّهُ قَد كَفَرَ بِذَلِكَ، كَمَا قَرَّرنَاهُ فِي «سُبُلِ السَّلَامِ شَرحِ بُلُوغِ المَرَامِ»، وَفِي «مِنحَةِ الغَفَّارِ»[٢٨٧].

---

(٢٨٦) هذا في حالة كونه شركًا أكبر؛ لأن الحلف بغير الله على قسمين:

شرك أكبر: وهو أن يعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيمه لله أو أشد.

وشرك أصغر: وهو عكس الشرك الأكبر: ألَّا يعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو أشد.

يعني: يوجد تعظيم لكن لا يصل تعظيمه كتعظيم الله أو أشد.

من الأدلة على أن الحلف بغير الله شرك:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ» رواه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

عن قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ» رواه النسائي (٣٧٧٣)، وهو في «الصحيح المسند» (١٦٣٨) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما حديث «مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحلِف بِاللَّهِ أَو لِيَصمُت» فهو يدل على التحريم.

(٢٨٧)استفدنا شبهة القبوريين في استغاثة أصحاب القبور، واستدلالهم بحديث الشفاعة، وهذا استدلال في غير موضعه؛ لأن الاستغاثة في الموقف ببعض الأنبياء بحي قادر، فهو من باب الاستغاثة الجائزة؛ لأنها استغاثة بحي قادر.

أما الاستغاثة بالقبور فهو استغاثة بميت غير قادر.

أسئلة الدرس (١١)

١. ما حكم الاستغاثة بالمخلوق؟

الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، والدليل: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ [الجن:١٨].

وأما الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه فيجوز، والدليل: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِن عَدُوِّهِ﴾.

٢. هناك شبهة للقبوريين في جواز الاستغاثة بالميت فما هي؟

استغاثة أهل الموقف ببعض الأنبياء.

٣. وما الجواب عن هذه الشبهة؟

أن هذه الاستغاثة بحي قادر.

٤. من كان يموت أولاده أو لا يتم الحمل فهناك من يدفع مالًا لصاحب القبر أن يحيي هذا الولد فما حكم هذا مع الدليل؟

هذا شرك أكبر، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿وَيَجعَلُونَ لِمَا لَا يَعلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقنَاهُم تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾.

٥. ما حال حديث «لَا تَنسَنَا يَا أَخِي مِن دُعَائِكَ»؟

الحديث ضعيف؛ فيه عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو ضعيف.

٦. ما حكم طلب الدعاء من الرجل الفاضل مع الدليل؟

لا بأس به، كما في قصة أويس القرني، وأيضًا أم سُلَيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ، ادعُ اللَّهَ لَهُ»، ولكن ينبغي عدم الإكثار، وأن الإنسان يدعو ربه بنفسه ويرفع حوائجه إلى الله بنفسه، وهو يكون في حاجة وفي حالة اضطرار وانكسار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، فدعاؤه مظنة للاستجابة.

٧. ما حكم الحلف بالمخلوق؟

هذا على قسمين:

شرك أكبر: أن يعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيمه لله أو أشد.

وشرك أصغر: ألَّا يعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو أشد.

٨. ما هي أقسام زيارة القبور؟

زيارة شرعية: أن يزور القبور؛ للاتعاظ والذكرى والدعاء للأموات.

وزيارة شركية: كأن يزور القبور، ويستغيث به، ويلجأ إليه، وينذر له.

وزيارة بدعية: كأن يزور القبور؛ ليدعو الله في ذلك المكان، يعتقد فضيلة المكان، ولا يتوسل بصاحب القبر.

الدرس (١٢)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قُلتَ: لَا سَوَاءَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ قَد قَالُو: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَقَد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا».

وَقَالَ لِأُسَامَةَ بنِ زَيدٍ: «لَم قَتَلتَهُ بَعدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟».

وَهَؤُلَاءِ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ بِخِلَافِ المُشرِكِينَ (٢٨٨).

قُلتُ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا بِحَقِّهَا».

وَحَقُّهَا: إِفرَادُ الإِلَهِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٨٨) هذه شبهة للقبوريين أن من يدعو صاحب القبر ويستغيث به جائز وليس بشرك؛ لأمرين:

أنهم يقولون: (لا إله إلا الله)، وقد جاء في الحديث عن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا».

وأيضًا أنهم (يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ بِخِلَافِ المُشرِكِينَ).

وَالقُبُورِيُّونَ لَمْ يُفرِدُوا الإِلَهِيَّةَ وَالعِبَادَةَ، فَلَم تَنفعهُم كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا لَا تَنفعُ إِلَّا مَعَ التِزَامِ مَعنَاهَا، كَمَا لَمْ يَنفعِ اليَهُودُ قَولهَا؛ لِإِنكَارِهِم بَعضَ الأَنبِيَاءِ(٢٨٩).

وَكَذَلِكَ مَن جَعَلَ غَيرَ مَن أَرسَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا، لَمْ تَنفعهُ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ كَانُوا يَشهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُم قَالُوا: إِنَّ مُسَيلِمَةَ نَبِيٌّ(٢٩٠)، فَقَاتَلَهُم الصَّحَابَةُ وَسَبَوهُم، فَكَيفَ بِمَن يَجعَلُ لِلوَلِيِّ خَاصَّةَ الإِلَهِيَّةِ(٢٩١)، وَيُنَادِيهِ لِلمُهِمَّاتِ؟!

---

(٢٨٩) هذا هو الجواب عن هذه الشبهة أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِلَّا بِحَقِّهَا»، وحقها إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، وهؤلاء لم يفردوا الله سُبْحَانَهُ بالعبادة.

ثم ذكر بعد هذا أمثله تدل على أنه ليس كل من قال: (لا إله إلا الله) يكون مسلمًا، فقال: (كَمَا لَمْ يَنفعِ اليَهُودُ قَولهَا؛ لِإِنكَارِهِم بَعضَ الأَنبِيَاءِ) قال تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥]. وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾[البقرة].

إذًا هذا مثال.

(٢٩٠) فجعلوا لله نبيًّا بعد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا يكون كافرًا ولا ينفعهم قول: لا إله إلا الله، قال تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال

وَهَذَا أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرَّقَ أَصحَابَ عَبدِ اللهِ ابنِ سَبَأٍ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَشهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُم غَلَوا فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢٩٢)، وَاعتَقَدُوا فِيهِ مَا يَعتَقِدُ القَبُورِيُّونَ وَأَشبَاهُهُم، فَعَاقَبَهُم عُقُوبَةً لَم يُعَاقِب بِهَا أَحَدًا مِن العُصَاةِ؛ فَإِنَّهُ حَفَرَ لَهُم الحَفَائِرَ، وَأَجَّجَ(٢٩٣) لَهُم نَارًا، وَأَلقَاهُم فِيهَا(٢٩٤)

لَمَّا رَأَيتُ الأَمرَ أَمرًا مُنكَرًا ❁ أَجَّجتُ نَارِي وَدَعَوتُ قَنبَرَا(٢٩٥)

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي عَصرِهِ:

لِتَرمِ بِي المَنِيَّةُ(٢٩٦) حَيثُ شَاءَت ❁ إِذَا لَم تَرمِ بِي فِي الحُفرَتَينِ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي» رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) عن أبي هريرة.

(٢٩١) يجعل له خصائص رب العالمين فيدعوه ويستغيث به، وينذر له، ويذبح له، ويخضع له...، هذا عين الشرك بالله.

(٢٩٢) الغلو: مجاوزة الحد.

(٢٩٣) أي: أوقد.

(٢٩٤) وهذا اجتهاد من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أمر بإحراق من لم يرجع عن غلوه، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «فَإِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ» رواه أبو داود (٢٦٧٣) عن حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ.

(٢٩٥) قنبرًا: اسم غلام لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٩٦) المنية: الموت.

إِذَا مَا أَجَّجُوا فِيهِنَّ نَارًا ۞ رَأَيتُ المَوتَ نَقدًا غَيرَ دِينِ

وَالقِصَّةُ فِي «فَتحِ البَارِي» وَغَيرِهِ مِن كُتُبِ الحَدِيثِ وَالسِّيَرِ(٢٩٧).

وَقَد وَقَعَ إِجمَاعُ الأُمَّةِ عَلَى أَنَّ مِن أَنكَرَ البَعثَ كَفَرَ وَقُتِلَ، وَلَو قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ، فَكَيفَ بِمَن يَجعَلُ لِلَّهِ نِدًّا؟!(٢٩٨)

فَإِنَّ قَلتَ: قَد أَنكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُسَامَةَ قَتلَهُ لِمَن قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)(٢٩٩)، كَمَا هُوَ مَعرُوفٌ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ وَالسِّيَرِ.

قَلتُ: لَا شَكَّ أَنَّ مَن قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مِنَ الكُفَّارِ حُقِنَ دَمُهُ وَمَالُهُ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنهُ مَا يُخَالِفُ مَا قَالَهُ، وَلِذَا أَنزَلَ اللَّهُ فِي قِصَّةِ مُحَلِّمِ بنِ جُثَامَةَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبتُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[٤: ٩٤] الآيَةَ.

فَأَمرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّثَبُّتِ فِي شَأنِ مَن قَالَ كَلِمَةَ التَّوحِيدِ، فَإِنَّ تَبَيَّنَ التِزَامُهُ لِمَعنَاهَا كَانَ لَهُ مَا لِلمُسلِمِينَ وَعَلَيهِ مَا عَلَيهِم(٣٠٠)، وَإِن تَبَيَّنَ خِلَافُهُ لَم يُحقَن دَمُهُ وَمَالُهُ بِمُجَرَّدِ التَّلَفُّظِ(٣٠١).

---

(٢٩٧) وهذا أيضًا من الأمثلة، والردود على هؤلاء القبوريين، فما كل من قال: (لا إله إلا الله) كان معصوم الدم والمال.

(٢٩٨) هذا أيضًا من المسائل التي وقع عليها إجماع الأمة: أن من كفر بالبعث ولم يؤمن به فهو كافر، وإن قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

(٢٩٩) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهَكَذَا كُلُّ مِن أَظهَرَ التَّوحِيدُ وَجَبَ الكَفُّ عَنهُ إِلَى أَن يَتَبَيَّنَ مِنهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِك، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَم تَنفَعهُ هَذِهِ الكَلِمَةِ بِمُجَرَّدِهَا، وَلِذَلِكَ لَم تَنفَعِ اليَهُودُ[٣٠٢]، وَلَا نَفَعَتِ الخَوَارِجُ، مَعَ مَا انضَمَّ إِلَيهَا مِنَ العِبَادَةِ الَّتِي يَحتَقِرُ الصَّحَابَةُ عِبَادَتَهُم إِلَى جَنبِهَا[٣٠٣].

---

(٣٠٠) وهذا الجواب عن قول النَّبِيِّ ﷺ لأسامة: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!»، وقد أجاب عنه الصنعاني: بأن من قال: (لا إله إلا الله) يكون مسلمًا حتى يتبين لنا ما يخالف الإسلام، ويدل لذلك سبب نزول هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾، وخلاصة القصة: أن رجلًا من الكفار مر ببعض الصحابة فسلم عليه، فأمسك الصحابة، وحمل عليه محلم بن جثامة وقتله، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآية، وهذا أخرجه الإمام أحمد(٣٩/٣١٠)، وجاء أيضًا بمعناه في «صحيح البخاري» عن ابن عباس.

فعلمنا من هذا أن إنكار النبي ﷺ على أسامة بنِ زيد قتْله للرجل الذي قال: لا إله إلا الله؛ لأنه ما قد تبين منه ما يُخالف كلمة التوحيد.

(٣٠١) قال تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١]. وإن تبين خلافه كما هو شأن القبوريين لم يُحقن دمه وماله بمجرد التلفظ، بمجرد قول: (لا إله إلا الله).

(٣٠٢) من اليهود وغيرهم، كما تقدم في الأمثلة ممن يقول: (لا إله إلا الله) ولكنه يأتي بما يناقضها.

(٣٠٣) هذا من وصف الخوارج: أنهم أصحاب عبادة، يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ». رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي بعض الألفاظ «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ» رواه مسلم (١٠٦٦)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكانوا قرَّاء، وكانوا عُبادًا، ولكنهم كانوا على عقيدة سيئة، الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب، ومن عقائدهم المنكرة الخروج على الحكام الظلمة، والتكفير بالكبيرة، فعندهم الموحد إذا وقع في كبيرة يخرج من الملة، مثلًا: قتل نفسًا بريئة أو سرق أو زنا أو شرب الخمر عندهم يخرج من الملة، وتخليدهم صاحب الكبيرة في النار.

وظاهر كلام الصنعاني أنه يرى أن الخوارج كفار، وقد ذهب إليه بعض أهل العلم، ولكنه قد جاء عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن الخوارج هل هم كفار؟ فقال: مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا. رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ١٥٠). ولم يكفرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن قال بكفرهم استدل بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِن أَدرَكتُهُم لَأَقتُلَنَّهُم قَتلَ عَادٍ».

قال شيخ الإسلام في «مجموع فتاواه» (٣/ ٢٨٢): وَالْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِتَالِهِمْ قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ. وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ. وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ،

بَل أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتلِهِم، وَقَالَ: «لَئِن أَدرَكتُهُم لَأَقتُلَنَّهَم قَتلَ عَادٍ»؛ وَذَلِكَ لَمَّا خَالَفُوا بَعضَ الشَّرِيعَةِ وَكَانُوا شَرَّ القَتلَى تَحتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، كَمَا ثَبَتَت بِهِ الأَحَادِيثُ[٣٠٤].

وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلِيٌّ حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَقَاتَلَهُمْ؛ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، لَا لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ. وَلِهَذَا لَمْ يَسْبِ حَرِيمَهُمْ وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالَهُمْ.

(٣٠٤) رواه أحمد في «مسنده» (٥١٨/٣٦)، وهو في «الصحيح المسند» (٤٨٢) لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ. من طريق أَبِي غَالِبٍ صَاحِبِ الْمِحْجَنِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ أَبْصَرَ رُءُوسَ خَوَارِجَ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقٍ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»، ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوا».

وهناك رواية ثابتة عند البخاري(٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الحديث وفيه: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ!». وروى ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣٤) عَن عَبدَاللهِ بن عَمرٍو الحديث وفيه: «كُلَّمَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُم». وهذه الرواية تبين أن قتال الخوارج يكون إذا خرجوا على المسلمين وإمامهم.

وهؤلاء الخوارج هم الذين يقال لهم: جماعة التكفير، وأكثر الفرق الآن خوارج يخرجون على الحكام، ويدخل في الخوارج الروافض، والإخوان المسلمون؛ لأنها تجمعهم هذه العقيدة الخروج على الحكام الظلمة.

وكم تجنيه البلدان المسلمة بسبب الانقلابات والثورات والخروج على الحكام!

فَثَبَتَ أَنَّ مُجَرَّدَ قَولِ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ غَيرُ مَانِعٍ مِن ثُبُوتِ شَرَكِ مَن قَالَهَا؛ لِارتِكَابِهِ مَا يُخَالِفُهَا مِن عِبَادَةِ غَيرِ اللَّهِ(٣٠٥).

الذي يخرج على الحاكم المسلم عقوبته القتل، روى مسلم (١٨٥٢) عن عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

«يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ» يفرق بين كلمة المسلمين، واجتماع قلوبهم.

«كَائِنًا مَنْ كَانَ» سواء كان من الكبار أو ممن دونهم في المنزلة، وبهذا يُردع البغاة والذين يسعون في الأرض فسادًا، فمن خرج على الحاكم يؤدَّب بالسجن أو القتل إذا استدعى الأمر إلى قتله، فبهذا يردع الباغي، وتُدرأ الفتن، وتسير الحياة على خيرٍ وفي أمن وأمان.

(٣٠٥) وخلاصة الأمثلة المذكورة في أنه ما كل من يقول: لا إله إلا الله يكون مسلمًا:

أن النبي ﷺ قاتل اليهود، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وهم يُصَلُّون ويصومون ويزكُّون ويَحجُّون؛ لإنكارهم بعض الرسل كنبينا محمد وعيسى...

وأن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يقولون: لا إله إلا الله؛ لإيمانهم بنبوة مسيلمة بعد رسولنا.

وأن عليًّا حرّق السبائية؛ لغلوهم فيه.

وأن من أنكر بالبعث كَفَر وقُتِل.

أسئلة الدرس (١٢)

١. هل الخوارج كفار أم لا؟

ظاهر كلام الصنعاني أنه يرى أن الخوارج كفار، وقد ذهب إليه بعض أهل العلم، واستدلوا ببعض الأدلة كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِن أَدرَكتُهُم لَأَقتَلَنهَم قَتلَ عَادٍ»، وبعضهم يرى عدم كفرهم؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «كُلَّمَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُم». وهذه الرواية تبين أن قتال الخوارج يكون إذا خرجوا على المسلمين وإمامهم. وهذا بسبب أنهم بغاة، وقد جاء عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن الخوارج هل هم كفار؟ فقال: مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا. فلم يكفرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢. هل من المستحسن فتح دور لتعليم القرآن من دون تعليم العقيدة؟

لا؛ لأن الأساس هو العقيدة؛ ولهذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم يبدأون بالعقيدة، كما ثبت عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا».

فأولًا يكون البدء بتعليم العقيدة؛ ولإهمال العقيدة خرج هؤلاء الخوارج بعقيدة سيئة مع أنهم حفاظ قرَّاء لكتاب الله، حتى إن من أهل العلم من كفَّرهم كما تقدم، والسبب في خروجهم بعقيدة سيئة أنهم أقبلوا على حفظ القرآن والعبادة وتركوا العقيدة التي هي أساس الدين.

الدرس (١٣)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسمَاعِيلَ بْنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قُلتَ: القُبُورِيُّونَ (٣٠٦) وَغَيرُهُم (٣٠٧) مِنَ الَّذِينَ يَعتَقِدُونَ فِي فَسَقَةِ النَّاسِ وَجُهَّالِهِم مِنَ الأَحيَاءِ يَقُولُونَ: نَحنُ لَا نَعبُدُ هَؤُلَاءِ، وَلَا نَعبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ، وَلَا نُصَلِّي لَهُم، وَلَا نَصُومُ، وَلَا نَحُجُّ(٣٠٨).

قُلتُ: هَذَا جَهلٌ بِمَعنَى العِبَادَةِ؛ فَإِنَّهَا لَيسَت مُنحَصِرَةً فِي مَا ذَكَرتَ(٣٠٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٠٦) أي: يعتقدون في أصحاب القبور.

(٣٠٧) غير القبوريين من الذين يعتقدون في فسقة الأحياء.

(٣٠٨) هذه شبهة من شبه القبوريين وغيرهم من الذين يعتقدون في الأحياء، فينفون عن أنفسهم الشرك، وأنهم لا يعبدون إلا الله وحده، فهم يصلون لله، ويحجون لله، ويصومون لله.

(٣٠٩) هذا جواب الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الشبهة: (هَذَا جَهلٌ بِمَعنَى العِبَادَةِ، فَإِنَّهَا لَيسَت مُنحَصِرَةً فِي مَا ذَكَرتَ) العبادة غير منحصرة في الصلاة والصوم والحج.

بَل رَأسُهَا وَأَسَاسُهَا الِاعتِقَادُ(٣١٠)، وَقَد حَصَلَ فِي قُلُوبِهِم ذَلِكَ(٣١١)، بَل يُسَمُّونَهُ مُعتَقَدًا(٣١٢)، وَيَصنَعُونَ لَهُ مَا سَمِعتَهُ مِمَّا تَفَرَّعَ عَن الِاعتِقَادِ مِن دُعَائِهِم وَنِدَائِهِم وَالتَّوَسُّلِ بِهِم وَالِاستِغَاثَةِ بِهِم وَالِاستِعَانَةِ وَالحِلفِ وَالنَّذرِ، وَغَيرِ ذَلِكَ(٣١٣).

---

(٣١٠) فالاعتقاد من العبادة، بل الاعتقاد رأس العبادة وأساسها، وهم يعتقدون في غير الله النفع والضر.

(٣١١) أي: الاعتقاد في الأموات والمعَظَّمين عندهم من الأحياء، فاعتقدوا فيهم النفع والضر، ويطلبون منهم الرزق، والشفاء، وتفريج الكربات، ورفع البلاء، إلى غير ذلك، وهذا شرك بالله، قال تعَالَى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾[الأنبياء]، وقال نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾[مريم]، وقال سُبحَانَهُ في شأن قوم موسى لما عبدوا العجل: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)﴾[طه: ٨٩]. وغير ذلك، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)﴾[الفرقان].

(٣١٢) أي: يعتقد فيه جلب الخير ودفع الضر، ولا يسمونه إلهًا.

(٣١٣) وهذه أنواع من العبادة الاعتقادية، التي هي من خصائص رب العالمين.

ما حكم الاستغاثة بالمخلوق؟

وَقد ذَكَرَ العُلَمَاءُ أَنَّ مَن تَزَيَّا بِزِيِّ الكُفَّارِ صَارَ كَافِرًا(٣١٤)، وَمَن تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الكُفرِ صَارَ كَافِرًا(٣١٥)، فَكَيفَ بِمَن بَلَغَ هَذِهِ الرُّتبَةَ اعتِقَادًا وَقَولًا وَفِعلًا(٣١٦)؟!

إذا كان فيما يقدر عليه الإنسان فيجوز، دليل الجواز، قوله تَعَالَى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾[القصص]، وأما إذا كان فيما لا يقدر عليه الإنسان فشرك.

وهل النذر شرك أكبر أو أصغر؟ صرفه لغير الله شرك أكبر.

ما حكم الحلف بغير الله؟ الحلف بغير الله لا يجوز، وهو على قسمين: قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر. إذا كان يعظم المحلوف به كتعظيمه بالله أو أشد يعتبر شكرًا أكبر، وإذا لم يعظم المحلوف به كتعظيمه بالله أو أشد فهو شرك أصغر.

(٣١٤) أي: الذي هو من خصائص الكفار وشعائر دينهم، كمثل: شد الزنار في الوسط، وهذا عبارة عن سير أو نحوه يشدونه في أوساطهم -على حقوهم-، وهكذا بعض ألبستهم التي هي من شعائرهم.

فالعبارة ليست على إطلاقها.

قال الشيخ العباد حفظه الله في حاشيته على هذا الكتاب: هذا فيما إذا تزيَّا عالمًا قاصدًا بزيِّهم الذي هو من خصائصهم، كألبسة رهبانهم، وكشدِّ الزنار في أوساطهم.

أمَّا إذا نشأ مسلم على ارتداء لباس الكفار (اللباس الإفرنجي)، حتى كأنَّه لا يعرف غيرَه فلا يكون له هذا الحكم، وقد روى البيهقي في «مناقب الشافعي» (٤٧٤) بإسناده إلى الحميدي قال: سأل رجلٌ الشافعيَّ بمصر عن مسألة فأفتاه، وقال: قال النَّبيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا، فقال الرجلُ: أتقول بهذا؟! قال: أرأيتَ في وسطي زنارًا؟! أتراني خرجتُ من الكنيسة؟! أقول: قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول لي: أتقول بهذا؟! أَروي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أقول به؟!

ومع هذا فإنَّ على المسلمين الذين ابتُلوا بالنشأة على هذا اللباس أن يعملوا على تعديل لباسهم بما يُغاير لباس الكفار، كتوسيع الألبسة، واللَّائق بهم بل المتعيَّن عليهم أن يصيروا إلى التزيِّ بزي المسلمين اهـ.

وزي المسلمين: القمص والأردية ونحو ذلك.

ومن خصائص الكفار المحرم على المسلمين التشبه بهم فيه:

الاحتفال بأعيادهم، ولباس الرجل البنطال الضيق، ولباس المرأة الضيق الذي يحجم العورة تلبسه بين النساء، ويشمله قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» رواه مسلم (٢١٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فهي كاسية لكنها عارية في الحقيقة.

وهناك من يقول: أنا لا أقصد التشبه بالكفار، ليس في نيتي التشبه بالكفار، وهذا لا يخرج عن الإثم، يقول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» رواه أبو داود (٤٠٣١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فعلى المرأة المسلمة أن تحذر من التشبه بالكافرات، والتشبه بالكافرات في الظاهر من مضاره أنه يجر إلى التشبه بهم في الباطن -أي: في العقيدة-، ويجر إلى محبتهم ومودتهم، وهذا من مفاسد التشبه بالكفار، فيجب علينا أن نبغضهم، وأن نتبرأ منهم، وقد قال الله تَعَالَى في وصف المؤمنين: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

أي: غلاظ على الكافرين.

فما ضابط التشبه بالكفار؟ ما كان من خصائصهم يكون تشبُّهًا، كما ذكر هذا المعنى أهل العلم، أما الذي ليس من خصائصهم، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾[البقرة].

(٣١٥) تقدمت هذه العبارة معنا: أن من تكلم بكلمة الكفر مازحًا لاعبًا يكون كافرًا.

(٣١٦) في اعتقاداته وأقواله وأفعاله.

انتهينا من الجواب عن هذه الشبهة أنهم يقولون: نحن نقول: (لا إله إلا الله)، ونحن نصلي ونصوم ونحج فلسنا مشركين، والجواب: هذا جهل منهم بالعقيدة؛ إذ ليست العبادة منحصرة فيما ذكر، العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. فهذا جهل منهم بالتوحيد؛ فإن هذا الذي يفعلونه ويقولون: ليس هو من الشرك، هو عين ما كان يفعله المشركون في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم عليه.

فَإِنْ قُلْتَ: هَذِهِ النُّذُورُ وَالنَّحَائِرُ مَا حُكْمُهَا؟

قُلْتُ: قَد عَلِمَ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ الأَموَالَ عَزِيزَةٌ عِندَ أَهلِهَا(٣١٧)، يَسعَونَ فِي جَمعِهَا وَلَو بِارتِكَابِ كُلِّ مَعصِيَةٍ(٣١٨)، وَيَقطَعُونَ الفَيَافِيَ مِن أَدنَى الأَرضِ وَالأَقَاصِي(٣١٩)، فَلَا

---

(٣١٧) أي: لها مكانة في قلوب أهلها.

(٣١٨) وهذا شأن من لا يخاف الله أنه لا يبالي بكسبه أمن حلال أم من حرام، كما روى البخاري (٢٠٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلَالِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ».

وربنا عَزَّ وَجَلَّ يأمر بطلب الحلال وأكل الحلال، قال سُبحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾[المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾[سورة البقرة]. الطيب الحلال، والمال الحرام صاحبه يأكل سحتًا، كما ثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: الحديث وفيه فقال: يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَى بِهِ» رواه الإمام أحمد (٢٢/٣٣٢)، وهو في «الصحيح المسند» (٢٤٥) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ. السحت: الحرام كالرشوة، والربا، والضرائب، والجمارك، والمخدرات، والقات على الصحيح.

(٣١٩) الأباعد، فيقطعون المسافات البعيدة؛ لجمع الأموال، فهو ما يبذل المال لصاحب القبر، لا يبذل هذا المال إلا لعقيدة.

يَبذِلُ أَحَدٌ مِن مَالِهِ شَيئًا إِلَّا مُعتَقِدًا لِجَلبِ نَفعٍ أَكثَرَ مِنهُ أَو دَفعِ ضُرٍّ(٣٢٠)، فَالنَّاذِرُ لِلقَبرِ مَا أَخرَجَ مَالَهُ إِلَّا لِذَلِكَ(٣٢١).

وَهَذَا اعتِقَادٌ بَاطِلٌ، وَلَو عَرَفَ النَّاذِرُ بُطلَانَ مَا أَرَادَهُ مَا أَخرَجَ دِرهَمًا؛ فَإِنَّ الأَموَالَ عَزِيزَةٌ عِندَ أَهلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسأَلكُم أَموَالَكُم إِنَّ يَسالكُموهَا فَيُحفِّكُم تَبخَلُوا وَيَخرُجُ أَضغَانكُم﴾(٣٢٢)[محمد: ٣٦-٣٧].

---

(٣٢٠) فإن النفس شحيحة بمالها، كما قال تَعَالَى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [البقرة: ١٢٨]. ما تدفع هذا المال لصاحب القبر إلا وتعتقد فيه، ما تدفعه عبثًا.

(٣٢١) يطلب نفعًا أو دفع ضر، وهذا اعتقاد باطل؛ لأن الضر والنفع بيد الله كما سبق بعض الأدلة في ذلك.

(٣٢٢) استدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية على أن الأموال عزيزة غالية عند أهلها، وأن طلب المال يخرج الضغائن، والضغائن: البغض والعداوة؛ ولهذا دعوة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم أنهم يبتغون بها وجه الله، ولا يعلمون بأجرة ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿ وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

والحمد لله، من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مراكز أهل السنة في اليمن على هذه الطريقة، التعليم لوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان:٩].

وقوله: ﴿ فَيُحفِّكُم ﴾ ألحف في المسألة وألح بمعنى واحد.

فَالوَاجِبُ تَعرِيفُ مَن أَخرَجَ النَّذرَ بِأَنَّهُ إِضَاعَةٌ لِمَالِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنفَعُهُ مَا يُخرِجُهُ وَلَا يَدفَعُ عَنهُ ضَرَرًا[٣٢٣]، وَقَد قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّذرَ لَا يَأتِي بِخَيرٍ، وَإِنَّمَا يُستَخرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[٣٢٤].

وَيَجِبُ رَدُّهُ إِلَيهِ[٣٢٥].

وَأَمَّا القَابِضُ لِلنَّذرِ[٣٢٦] فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيهِ قَبضُهُ[٣٢٧]؛ لِأَنَّهُ آكِلٌ لِمَالِ النَّاذِرِ بِالبَاطِلِ، لَا فِي مُقَابَلَةِ شَيءٍ[٣٢٨]، وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأكُلُوا أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ﴾[٣٢٩][البقرة: ١٨٨].

---

(٣٢٣) فالواجب على الدعاة والعلماء أن يبينوا حكم هذا النذر، وأنه ليس من ورائه فائدة، وفيه إضاعة للمال.

(٣٢٤) فإذا كان النذر الذي يتقرب به إلى الله لا يأتي بخير، فكيف بالنذر الشركي؟! أبعد وأبعد أن يأتي بالخير.

فما حكم النذر لله سُبحَانَه، يقول: لله علي نذر أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ مكروه مع أنه لله سُبحَانَهُ؛ لأنه نهى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، فلا ينبغي لأحد أن ينذر؛ لأن النذر لا يأتي بخير، فالأمر مقدر، قد كتب الله الآجال والأرزاق والخير والشر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾[القمر].

وإنما يستخرج به من البخيل، البخيل عادته أنه يمسك المال، ما يخرج شيئًا إلا إذا قد صار ملزَمًا به.

(٣٢٥) أي: رد النذر إلى صاحبه، لا يجوز أخذه.

وَلأَنَّهُ تَقرِيرُ لِلنَّاذِرِ عَلَى شَركِهِ وَقُبح اعتِقَادِهِ وَرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَلَا يَخفَى حُكمَ الرَّاضِي بِالشِّركِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغفِرُ أَن يُشرِكَ بِهِ﴾[النساء: ٤٨] الآيَةُ، فَهُوَ مِثلُ حُلوَانِ الكَاهِنِ وَمَهرِ البَغِيِّ(٣٣٠)؛ وَلأَنَّهُ تَدلِيسٌ عَلَى النَّاذِرِ(٣٣١)، وَإِيهَامٌ لَهُ أَنَّ الوَلِيَّ يَنفَعُهُ وَيَضُرُّهُ(٣٣٢).

---

(٣٢٦) هذا السَّادن، وهو: خادم القبر.

(٣٢٧) كما تقدم لنا أن الذين يعتقدون في القبور لديهم عناية بالقبور في إسراجها، وبالتحويط عليها بسور، وجعل سدنة لها يخدمونها، ويقبضون النذور، نسأل الله العافية.

(٣٢٨) لا إيجار ولا بيع ولا تجارة.

(٣٢٩) هذا التعليل الأول، لا يجوز للسادن أن يقبض النذر؛ لأنه من أكل أموال الناس بالباطل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ﴾.

(٣٣٠) وهذا الأمر الثاني، أن قبض النذر فيه إقرار للشرك بالله، وهذا لا يجوز إقرار المنكر.

وهذا نظير حلوان الكاهن ومهر البغي، وقد ثبت في «صحيح البخاري»(٢٢٣٧) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكَاهِنِ».

حلوان الكاهن: ما يعطاه من المال على كهانته، مثلًا: يأتي إليه آتٍ أنه سُرق عليه مال، فيدل على السارق ويدفع له مبلغًا من المال، هذا يسمى حلوان الكاهن، وهذا من المكاسب المحرمة.

فَأَيُّ تَقرِيرٍ لِمُنكَرٍ أَعظَمُ مِن قَبضِ النَّذرِ عَلَى المَيِّتِ(٣٣٣)؟

وَأَيُّ تَدلِيسٍ أَعظَمَ؟

وَأَيُّ رِضًا بِالمَعصِيَةِ العُظمَى أَبلَغُ مِن هَذَا(٣٣٤)؟

ومهر البغي: البغي الزانية، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)﴾ [النور: ٣٣] أي: على الزنا.

مهر البغي: ما تعطاه من المال مقابل الزنا بها.

والْبَغِيِّ: بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ وَالتَّشْدِيدِ أَي: الزَّانِيَة، وَنقل ابن التِّينِ أَنَّهُ رَوَاهُ بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ وَالتَّخْفِيفِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى. كما في «فتح الباري» تبويب حديث(٦٩٢).

(٣٣١) أي: تغطية وتعمية على الناذر.

(٣٣٢) ففيه تغرير بالناذر، أن هذا الميت ينفع ويضر، وربما أثنى عليه ويقول: قد كان فلان يموت أولاده حتى دفع نذرًا لهذا فسلم أولاده الذين جاءوا له، وغير ذلك.

فهذه ثلاثة أمور استدل بها الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تحريم قبض سدنة القبور للنذر: أنه من أكل الأموال بالباطل، أنه تقرير الناذر بشركه، أن فيه تدليسًا وتغريرًا بالناذر أن هذا ينفع يضر.

(٣٣٣) تقرير بالشرك بالله.

(٣٣٤) أي: أشد من هذا.

وَأَيُّ تَصيِيرٍ لِمُنكَرٍ مَعرُوفًا أَعجَبُ مِن هَذَا؟

وَمَا كَانَت النُّذُورُ لِلأَصنَامِ وَالأَوثَانِ(٣٣٥) إِلَّا عَلَى هَذَا الأُسلُوبِ(٣٣٦)، يَعتَقِدُ النَّاذِرُ جَلبَ النَّفعِ فِي الصَّنَمِ وَدَفعِ الضَّرَرِ، فَيَنذِرُ لَهُ جُزْءًا مِن مَالِهِ، وَيُقَاسِمُهُ فِي غَلَّاتِ أَطيَانِهِ(٣٣٧)، وَيَأتِي بِهِ إِلَى سَدَنَةِ الأَصنَامِ فَيَقبِضُونَهُ مِنهُ، وَيُوهِمُونَهُ أَحَقِيَّةَ عَقِيدَتِهِ(٣٣٨)، يَأتِي بَنَحِيرَتِهِ فَيَنحَرهَا بِبَابِ بَيتِ الصَّنَمِ(٣٣٩).

---

(٣٣٥) أي: النذور سابقًا للأصنام والأوثان.

(٣٣٦)وهو الاعتقاد في غير الله.

(٣٣٧) جمع طين، فيقاسمه في مزارعه وبساتينه.

(٣٣٨) يوهمونه أن عقيدته حق.

(٣٣٩) حكم الذبح عند القبر: إن كان يعتقد في الميت أنه يجلب نفعًا أو يدفع ضرًا فهذا شرك أكبر، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام: ١٦٢]. النسك: الذبح لله.

وإن كان يعتقد فضيلة المكان ويذبح لله، يتقرب بالذبيحة لله، فهذا بدعة، لكن الغالب أنه لا يأتي بذبيحته ويذبح عند القبر إلا عن عقيدة في المقبور، والله أعلم.

هذا نظير أي مسألة في التفصيل: نظير مسألة الدعاء عند القبر، فحكمه على التفصيل: إذا ذهب للدعاء عند القبر إذا كان يعتقد أن في المكان فضيلة ويدعو الله فهذا لا يجوز بدعة، ما كانوا يذهبون للدعاء عند القبر، وأما إذا كان يدعو صاحب القبر ويتوسل إليه فهذا شرك أكبر.

وَهَذِهِ الأَفعَالُ هِيَ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ؛ لِإِزَالَتِهَا وَمَحوِهَا وَإِتلَافِهَا وَالنَّهيِ عَنهَا.

إذًا استفدنا الجواب عن هذا الاستفسار عن النذور والنحائر عند القبور ما حكمها: أما النذر لصاحب القبر هذا شرك أكبر؛ لأن النذر عبادة.

وأما النحائر عند القبر فعلى التفصيل السابق، قد يكون شركًا أكبر وقد يكون بدعة، والله أعلم.

❑ أسئلة الدرس (١٣)

١. هل من صلى لله وصام لله وحج لله يكون من أصحاب التوحيد؟

لا يكون موحدًا بفعل هذه الأشياء؛ إذ العبادة ليست منحصرة في هذه الأشياء، فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فلا بُد أن يفرد الله بجميع أنواع العبادة وحده لا شريك له.

٢. ما حكم الحلف بغير الله؟

فيه تفصيل: الحلف بغير الله على قسمين: قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر. إذا كان يعظم المحلوف به كتعظيمه لله أو أشد يعتبر شركًا أكبر، أما إذا لم يعظم المحلوف به كتعظيمه لله أو أشد فهو شرك أصغر.

٣. ما ضابط التشبه بالكفار؟

إذا كان من خصائصهم، كأعيادهم وألبستهم العارية.

٤. من نطق بكلمة الكفر مكرهًا هل يكفر؟

لا يعد كافرًا؛ لأدلة رفع الحرج عن المكره.

٥. نطق بكلمة الكفر خطأ هل يكفر؟

لا يكفر، والدليل: ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾.

٦. ما معنى ﴿ فَيُحْفِكُمْ ﴾؟

ألحف في المسألة وألح بمعنى واحد.

٧. ما معنى ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾؟

الضغائن: العداوة والبغضاء.

٨. من نذر بذهب لصاحب القبر فما الواجب عليه؟

لا يجوز له أن يفي بنذره، هذا شرك، ويجب عليه التوبة.

٩. ما حكم قبض سدنة القبور للنذر؟

لا يجوز؛ لأنه من أكل أموال الناس بالباطل، وفيه إقرار للشرك.

١٠. هل الذبح عند القبر شرك أم لا؟

إن كان يعتقد في الميت أنه يجلب نفعًا أو يدفع ضرًّا فهذا شرك أكبر، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام: ١٦٢]. النسك الذبح لله. وإن كان يعتقد فضيلة المكان ولكنه يذبح لله، يتقرب بالذبيحة لله، فهذا بدعة، لكن الغالب أنه لا يأتي بذبيحته ويذبح عند القبر إلا عن عقيدة في المقبور.

الدرس (١٤)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قُلتَ: إِنَّ النَّاذِرَ قَد يُدرِكُ النَّفعَ وَدَفعَ الضَّرَرِ؛ بِسَبَبِ إِخرَاجِهِ لِلنَّذرِ وَبَذلِهِ(٣٤٠)!
قُلتُ: كَذَلِكَ الأَصنَامُ (٣٤١)، قَد يُدرِكُ مِنهَا مَا هُوَ أَبلَغُ مِن هَذَا، وَهُوَ الخِطَابُ مِن جَوفِهَا وَالإِخبَارُ بِبَعضِ مَا يَكتُمُهُ الإِنسَانُ(٣٤٢)، فَإِن كَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى حَقِّيَّةِ القُبُورِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٤٠) هذه شبهة للقبوريين ومن يعتقد في الأحياء الضر والنفع، قالوا: إن الناذر قد يصل إلى مطلوبه، ويتحقق له مطلوبه؛ بسبب إخراج النذر له.

(٣٤١) كالأشجار والأحجار والكواكب.

(٣٤٢) يعني: أن الأصنام قد يحصل خطاب من جوفها لصاحب الحاجة الذي يأتي ويخبره بما في ضميره، وعن حاله، فيقول مثلًا: أنت جئت تشكو من مرض كذا، وعلاجه أن تفعل كذا وكذا، أو أنت جئت لرد غائبك، أو لطلب الولد إلى غير ذلك فيخبره، وهذا من الشيطان يأتي له ببعض المغيبات، وهذا من استمتاع الإنسي بالجني، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي

وَصِحَّةِ الِاعتِقَادِ فِيهَا؛ فَلْيَكُن دَلِيلًا عَلَى حَقِّيَّةِ الأَصنَامِ[٣٤٣]، وَهَذَا هَدمٌ لِلإِسلَامِ، وَتَشيِيدٌ لِأَركَانِ الأَصنَامِ.

أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)﴾ [الأنعام:١٢٨].

فمن استمتاع الإنسي بالجني أنه يأتيه ببعض المغيبات، ومن استمتاع الجني بالإنسي إضلال الناس وإغواؤهم، فالإنسي واسطة للجني في تضليل الناس، ودعوتهم إلى الشرك بالله سُبحَانَهُ.

(٣٤٣) (فَإِن كَانَ هَذَا دَلِيلًا) أي: اعتقاد الضر والنفع في القبور فليكن هذا دليلًا على عبادة الأصنام؛ لأن يحصل منها نفع وضر، وهذا ابتلاء من الله ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قال شيخ الإسلام في «قاعدة جليلة» فقرة(٩٥): ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب الضلال بني آدم، وجعل القبور أوثانًا هو أول الشرك.

ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهذا يُرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان؛ فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذبًا في ذلك.

وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جدًّا، والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما، والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان ويتبين ذلك بأمور:

أحدها: أن يقرأ آية الكرسي بصدق، فإذا قرأها تغيب ذلك الشخص أو ساخ في الأرض أو احتجب، ولو كان رجلًا صالحًا أو ملكًا أو جنيًّا مؤمنًا لم تضره آية الكرسي، وإنما تضر الشياطين، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما قال له الجني: اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب».

ومنها: أن يستعيذ بالله من الشياطين.

ومنها: أن يستعيذ بالمعوذة الشرعية؛ فإن الشياطين كانت تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤذيهم وتفسد عبادتهم.

قال: فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لتؤذيهم وتفسد عبادتهم، فيدفعهم الله تعالى بما يؤيد به الأنبياء من الدعاء والذكر والعبادة ومن الجهاد باليد، فكيف من هو دون الأنبياء؟ فالنبي ﷺ قمع شياطين الإنس والجن، بما أيده الله تعالى من أنواع العلوم والأعمال، ومن أعظمها الصلاة والجهاد.

وَالتَّحقِيقُ: أَنَّ لِإِبلِيسَ وَجُنُودِهِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ[٣٤٤] أَعظَمَ العِنَايَةِ فِي إِضلَالِ العِبَادِ، وَقَد مَكَّنَ اللَّهُ إِبلِيسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الأَبدَانِ وَالوَسوَسَةِ فِي الصُّدُورِ وَالتِقَامِ القَلبِ بِخُرطُومِهِ، وَكَذَلِكَ يَدخُلُ أَجوَافَ الأَصنَامِ وَيُلقِي الكَلَامَ فِي أَسمَاعِ الأَقوَامِ[٣٤٥]،

---

(٣٤٤) إبليس له جنود من الجن والإنس، وكلهم إلى النا، قال تَعَالَى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) ﴾[الشعراء].

(٣٤٥)وهذا من الابتلاء؛ ليعلم الله سُبحَانَهُ من يؤمن ومن يكفر، فمكن الله سُبحَانَهُ إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور، والدخول في الأبدان قد يكون حسيًّا، كما قال سُبحَانَهُ: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾[البقرة]، ويقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا» رواه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

ولا ينكر المس إلا ضال، والواقع يشهد بذلك، فكم من إنسان لا يحسن اللغة العربية جاهل ويتكلم الشيطان على لسانه باللغة العربية!

وعلى المسلم والمسلمة التحصن من الشيطان بالأذكار وقوة الإيمان؛ ليسلم من شره ووسوسته وكيده ومكره.

وَمِثْلُهُ يَصنعُهُ فِي عَقَائِدِ القُبُورِيِّينَ(٣٤٦)؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَد أَذِنَ لَهُ أَن يَجلِبَ بِخَيلِهِ وَرَجلِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ وَأَن يُشَارِكَهُم فِي الأَموَالِ وَالأَولَادِ(٣٤٧).

والوسوسة في الصدور، كما قال تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾. يوسوس في العقيدة وفي الطهارة وفي الصلاة ويوسوس بالرياء وبأشياء كفرية.

حتى إنه يشام القلب، ويعرف أين ميوله، هل يميل إلى شركيات؟ هل يميل إلى فواحش؟ هل يميل إلى نهب أموال الناس؟ هل يميل إلى معاصي؟ هل يحب الفتن والتحريش؟ ونسأل الله العافية.

فهو يشام القلب، ينظر أين ميوله؛ ليركز على هذا الجانب فيظفر بمراده، ونسأل الله العافية.

(٣٤٦) فيدخل في القبور ويخاطب الناس، كأنه صاحب القبر وهو شيطان.

(٣٤٧) يشير إلى قوله تَعَالَى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾[الإسراء]، ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ الاستخفاف، ﴿بِصَوْتِكَ﴾ صوت الشيطان الملاهي والأغاني، وكما قال بعض السلف: كل معصية هي من صوت الشيطان. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ﴾ أي: ركبانًا ﴿وَرَجِلِكَ﴾ أي: مشاة. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ من المشاركة في الأموال: المكاسب المحرمة، وعدم

التسمية على الطعام والشراب؛ لأنه يستحل الطعام إذا لم يسم الله سُبحَانَهُ. والمشاركة في الأولاد كقتلهم، كما قال تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)﴾[الأنعام]، وعدم تربيتهم على الخير، أو تمجيسهم أو تهويدهم أو تنصيرهم كما روى البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ». هذا من المشاركة في الأولاد، الذي لا يوجه أولاده على الدين والإيمان الشيطان مشارك له في أولاده، الذي لا يسمي الله عند الجماع الشيطان يشارك، ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هذه مواعيد الشيطان أماني كاذبة وغرور، وكما قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾.

وهذا نقل مفيد في ذِكْر أمثلة لمشاركة الشيطان في الأموال والأولاد.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»(٣/ ١٧٠): أَمَّا مُشَارَكَتُهُ لَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ فَعَلَى أَصْنَافٍ:

مِنْهَا: مَا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ طَاعَةً لَهُ، كَالْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ إِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنِ اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ بِالطُّرُقِ الْمُحَرَّمَةِ شَرْعًا كَالرِّبَا وَالْغَصْبِ وَأَنْوَاعِ الْخِيَانَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ طَاعَةً لَهُ.

قال: وَأَمَّا مُشَارَكَتُهُ لَهُمْ فِي الْأَوْلَادِ فَعَلَى أَصْنَافٍ أَيْضًا:

مِنْهَا: قَتْلُهُمْ بَعْضَ أَوْلَادِهِمْ طَاعَةً لَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ يُمَجِّسُونَ أَوْلَادَهُمْ وَيُهَوِّدُونَهُمْ وَيُنَصِّرُونَهُمْ؛ طَاعَةً لَهُ وَمُوَالَاةً.

وَمِنْهَا: تَسْمِيَتُهُمْ أَوْلَادَهُمْ عَبْدَ الْحَارِثِ وَعَبْدَ شَمْسٍ وَعَبْدَ الْعُزَّى وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ بِذَلِكَ سَمَّوْا أَوْلَادَهُمْ عَبِيدًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ طَاعَةً لَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَوْلَادُ الزِّنَا؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا تَسَبَّبُوا فِي وُجُودِهِمْ بِارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ؛ طَاعَةً لَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾[الإسراء].

قال: وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة.

وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وترك الشر.

وأخذ الأموال بغير حقها، أو وضعها بغير حقها، أو استعمال المكاسب الردية.

وَثَبَتَ فِي الأَحَادِيثِ: أَنَّ الشَّيطَانَ يَستَرِقُ السَّمعَ بِالأَمرِ الَّذِي يُحدِثُهُ اللَّهُ، فَيُلقِيهِ إِلَى الكُهَّانِ-وَهُمُ الَّذِينَ يُخبِرُونَ بِالمُغَيَّبَاتِ (٣٤٨)-وَيَزِيدُونَ فِيمَا يُلقِيهِ الشَّيطَانُ مِن عِندِ أَنفُسِهِم مِائَةَ كِذبَةٍ(٣٤٩).

وَيَقصِدُ شَيَاطِينُ الجِنِّ شَيَاطِينَ الإِنسِ(٣٥٠) مِن سَدَنَةِ القُبُورِ (٣٥١) وَغَيرِهِم، فَيَقُولُونَ: إِنَّ الوَلِيَّ فَعَلَ وَفَعَلَ، يُرَغِّبُونَهُم فِيهِ(٣٥٢)، وَيُحَذِّرُونَهُم مِنهُ(٣٥٣).

بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث.

(٣٤٨) الماضية و المستقبلة.

(٣٤٩) ومن الذي يخبر الكاهن ببعض الكلمات الغيبية؟ الشيطان مسترق السمع كما يدل له هذا الحديث، ويزيد مع هذه الكلمة التي هي حق مائة كذبة.

(٣٥٠)فيه إثبات الشياطين في الإنس، شيطان في صورة إنسان، شياطين الإنس والجن كما قال تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام: ١١٢]، فهناك من الإنس شياطين وهم دعاة الكفر والإلحاد، ودعاة الشر والضلال.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صوتية له: وللشيطان مداخل كثيرة على الأفراد والجماعات والذكور والإناث والملوك والأمراء والعلماء وغيرهم، له دخول على كل أحد هو وذريته وأتباعه من شياطين الإنس أيضًا، فإن هناك شياطين من الإنس يتبعونه

أيضًا ويساعدونه على باطله، وهم دعاة للنار معه، نسأل الله العافية، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، فهم شياطين من الإنس والجن، وَقُدِّمَ ذكر الإنس؛ لعظم شرهم وعظم خطرهم على بني آدم؛ لأنهم يتصلون بهم، ويشافهونهم، ويشرحون لهم مذاهبهم الباطلة وأهدافهم الخبيثة، ويدعون إليها، فخطرهم عظيم، وبلاء كبير، وكيدهم شديد.

فيجب على المؤمن أن يحذر شياطين الإنس كما يحذر شياطين الجن أيضًا بل أشد، فدعاة الإنس إلى النار كثيرة من الملاحدة وأنواع الكفرة من اليهود والنصارى والمجوس والبوذيين والوثنيين، وهكذا من خرج عن الصراط المستقيم من أنواع الكفرة وأنواع الفسقة فصاروا دعاة إلى النار، فيجب الحذر من هؤلاء الذين تابعوا الشيطان وصاروا من جملة الكافرين، وهكذا من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا وصار مع المجرمين في أعمال كثيرة وزين له الشيطان أن ينتهي إلى أشياء كثيرة مما تخالف أمر الله، فيجب الحذر من فساق المسلمين فلا يطاعون في المعصية، ويجب الحذر من الكفار ومن شياطين الجن والإنس جميعًا، فلا يطاعون في الكفر ولا في المعصية جميعًا، وهذا يدلنا جميعًا على عِظم الخطر، وأن هذه الدار دار خطر دار الابتلاء والامتحان، فأنت -يا عبد الله- مبتلى بالشيطان ونواب الشيطان وذرية الشيطان وشياطين الإنس المنوَّعين الكثيرين من بني

وَتَرَى العَامَّةَ مُلُوكَ الأَقطَارِ وَوُلَاةَ الأَمصَارِ مُعَزِّزِينَ لِذَلِكَ، وَيُوَلُّونَ العُمَّالَ لِقَبضِ النُّذُورِ(٣٥٤).

جلدتك ومن غيرهم، فأنت مبتلى بهذه الأمور الكثيرة، وأنت على خطر في هذه الدار، والمحفوظ من حفظه الله.

(٣٥١) سدنة القبور: هم الخدم.

(٣٥٢) في صاحب القبر.

(٣٥٣) وهذا من البلاء يأتي المضطر إلى صاحب القبر ويجد سدنة القبر يشجعونه على هذا الاعتقاد وعلى دفع النذور، فيقولون: هذا الولي فعل كذا وفعل كذا، مثلًا: كان فلان مريضًا فجاء إلى صاحب هذا القبر فشُفي، أو كان فقيرًا فجاء إلى صاحب القبر فصار ثريًّا ذا أموال، وهكذا يغررون الجهال، ويرغبونهم فيه، ويحذرونهم منه، يبعثون في قلوبهم الرغبة والرهبة، وهذا من خصائص رب العالمين قال تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وهذا هو خوف السر، خوف السر أن يخاف من الميت، وهذا شرك أكبر، أن يخاف من الميت أن يجلب له ضرًّا، هذا خوف السر، وهو شرك أكبر.

(٣٥٤) يعني: تتوالى دعوة الباطل، فهنا أيضًا يجد العامةُ ملوك الأقطار وولاة الأمصار مؤيدين ومشجعين لذلك، ويولُّون العمّال لقبض النذور، ويسلَّم هذا النذر للدولة، أما الميت في حاله، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا.

وَقَد يَتَوَلَّاهَا مَن يُحسِنُونَ فِيهِ الظَّنَّ مِن عَالِمٍ أَو قَاضٍ أَو مُفتٍ أَو شَيخٍ صُوفِيٍّ(٣٥٥)، فَيَتِمُّ التَّدلِيسُ لِإِبلِيسَ، وَتَقَرُّ عَينُهُ بِهَذَا التَّلبِيسِ(٣٥٦).

فَإِن قُلتَ: هَذَا أَمرٌ عَمَّ البِلَادَ(٣٥٧)، وَاجتَمَعَت عَلَيهِ سُكَّانُ الأَغوَارِ(٣٥٨) وَطُبِّقَ الأَرضُ شَرقًا وَغَربًا، وَيَمَنًا وَشَامًا، وَجَنُوبًا وَعَدَنًا، بِحَيثُ لَا تَجِدُ بَلدَةً مِن بِلَادِ الإِسلَامِ إِلَّا وَفِيهَا قُبُورٌ وَمَشَاهِدُ وَأَحيَاءُ، يَعتَقِدُونَ فِيهَا وَيُعَظِّمُونَهَا وَيُنذِرُونَ لَهَا، وَيَهتِفُونَ بِأَسمَائِهَا وَيَحلِفُونَ بِهَا، وَيَطُوفُونَ بِفِنَاءِ القُبُورِ(٣٦٠)، وَيُسْرِجُونَهَا(٣٦١) وَيُلقُونَ

---

(٣٥٥)(وَقَد يَتَوَلَّاهَا مَن يُحسِنُونَ فِيهِ الظَّنَّ) من يحسن العامة فيهم الظن، إما في نظرهم أنه شيخ أو مفتي وغير ذلك فيقبض النذور، وهذا من التغرير بهم.

(٣٥٦) وهذا أعظم قرة عين إبليس الشرك بالله؛ لأن الشرك بالله أخطر الذنوب وأعظمها ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

انتهينا من هذه الشبهة والجواب عنها: أن النفع والضر قد يكون هذا في الأصنام بواسطة الشياطين.

(٣٥٧) أي: شمل البلاد.

(٣٥٨) الأمكنة المنخفضة.

(٣٥٩)الأمكنة المرتفعة.

(٣٦٠) فناء القبور: ساحتها.

عَلَيهَا الأَورَادَ وَالرَّيَاحِينَ، وَيُلبِسُونَهَا الثِّيَابَ، وَيَصنعُونَ كُلَّ أَمرٍ يَقدِرُونَ عَلَيهِ مِن العِبَادَةِ لَهَا، وَمَا فِي مَعنَاهَا مِنَ التَّعظِيمِ وَالخُضُوعِ وَالخُشُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالِافتِقَارِ إِلَيهَا. بَل هَذِهِ مَسَاجِدُ المُسلِمِينَ غَالِبُهَا لَا تَخلُو عَن قَبرٍ أَو قَرِيبٍ مِنهُ، أَو مَشهَدٍ يَقصِدُهُ المُصَلُّونَ فِي أَوقَاتِ الصَّلَاةِ، يَصنعُونَ فِيهِ مَا ذُكِرَ أَو بَعضَ مَا ذُكِرَ، وَلَا يَسعُ عَقلَ عَاقِلٍ أَنَّ هَذَا مُنكَرٌ يَبلُغُ إِلَى مَا ذَكَرتُ مِنَ الشَّنَاعَةِ، وَيَسكُتُ عَلَيهِ عُلَمَاءُ الإِسلَامِ الَّذِينَ ثَبَتَت لَهُم الوَطأَةُ(٣٦٢) فِي جَمِيعِ جِهَاتِ الدُّنيَا(٣٦٣).

---

(٣٦١) والسرج على القبور بدعة، روى البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وعن الْعِرْبَاضِ بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وهناك حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رواه أبو داود (٣٢٣٦)، ولكنه ضعيف.

وسبب النهي عن ذلك؛ سدًّا لذريعة الشرك.

(٣٦٢) أي: القوة والتمكُّن.

(٣٦٣) هذه شبهة من شبه القبوريين: أن الاعتقاد في الأموات منتشر بين الناس، يعتقدون فيها، ومساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر، فيحتجون بالواقع والكثرة.

قُلتُ: إنَّ أَردَت العَدلَ وَالإِنصَاف[٣٦٤]، وَتَركَت مُتَابَعَةَ الأَسلَافِ، وَعَرَفت أَنَّ الحَقَّ مَا قَامَ عَلَيهِ الدَّلِيلُ، لَا مَا اتَّفَقَ عَلَيهِ العَوَالِمُ[٣٦٥] جِيلًا بَعدَ جِيلٍ، وَقَبِيلًا [٣٦٦] بَعدَ قَبِيلٍ [٣٦٧]، فَاعلَم أَن هَذِهِ الأُمُورَ الَّتِي نُدَندِنُ حَولَ إِنكَارِهَا، وَنَسعَى فِي هَدمِ مَنَارِهَا، صَادِرَةٌ عَن العَامَّةِ [٣٦٨] الَّذِينَ إِسلَامُهُم تَقلِيدُ الآبَاءِ بِلَا دَلِيلٍ [٣٦٩]، وَمُتَابَعَتُهُم لَهُم مِن غَيرِ فَرقٍ بَينَ دَبِيرٍ وَقَبِيلٍ[٣٧٠]، يَنشَأُ الوَاحِدُ فِيهِم فَيَجِدُ أَهلَ قَريَتِهِ وَأَصحَابَ بَلَدَتِهِ يُلَقِّنُونَهُ فِي الطُّفُولِيَّةِ أَن يَهتِفَ بَاسِمِ مَن يَعتَقِدُونَ فِيهِ، وَيَرَاهُم يَنذِرُونَ عَلَيهِ، وَيُعَظِّمُونَهُ،

---

(٣٦٤) الإنصاف: العدل.

(٣٦٥) جمع عالَم.

(٣٦٦) القبيل: الجماعة.

(٣٦٧) وهذه كلمة ثمينة أن الحق لا يعرف بالكثرة، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾[الأنعام:١١٦]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣].

وإنما الميزان في معرفة الحق ما قام عليه الدليل.

(٣٦٨) وليس عن العلماء.

(٣٦٩) كما قال تَعَالَى عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

(٣٧٠) أي: بين باطل وحق.

وَيَرحَلُونَ بِهِ إِلَى مَحَلِّ قَبرِهِ، وَيُلَطِّخُونَهُ بِتُرَابِهِ(٣٧١)، وَيجعَلُونَهُ طَائِفًا عَلَى قَبرِهِ، فَيَنشَأُ وَقَد قَرَّ فِي قَلبِهِ عَظَمَةُ مَا يُعَظِّمُونَهُ، وَقَد صَارَ أَعظَمُ الأَشيَاءِ عِندَهُ مَن يَعتَقِدُونَهُ.

---

(٣٧١) وهذا هو التمسح بأتربة الموتى.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»(٢٧/٩١): وَأَمَّا التَّمَسُّحُ بِالْقَبْرِ-أَيَّ قَبْرٍ كَانَ- وَتَقْبِيلُهُ وَتَمْرِيغُ الْخَدِّ عَلَيْهِ فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، بَلْ هَذَا مِنْ الشِّرْكِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[نوح]، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَأَنَّهُمْ عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ مُدَّةً، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمِ الْأَمَدُ فَصَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ. لَا سِيَّمَا إذَا اقْتَرَنَ بِذَلِكَ دُعَاءُ الْمَيِّتِ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِ.

واستفدت من والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة:

من استشفى بالتراب الذي على القبور، فإن اعتقد: أنه يضر أو ينفع من دون الله، أو مع الله-وهذا هو الغالب في القبوريين-فهذا خرافة وشرك، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إبراهيم: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) ﴾[الشعراء:٨٠].

وسئل رَحِمَهُ اللهُ: ما حكم التمسح بأتربة الموتى؟.

فأجاب: إذا كان يعتقد فيها، وليس بجاهل فهذا مشركٌ،-وهذا هو الغالب-: أنهم ما يتمسحون بها إلا عن عقيدة، وإن لم يعتقد فيها فهو مبتدع.

فَنَشَأَ عَلَى هَذَا الصَّغِيرُ، وَشَاخَ عَلَيهِ الكَبِيرُ، وَلَا يَسمَعُونَ مِن أَحَدٍ عَلَيهِم مِن نَكِيرٍ (٣٧٢)، بَل تَرَى مِمَّن يَتَسِمُّ(٣٧٣) بِالعِلمِ، وَيَدَّعِي الفَضلَ، وَيَنتَصِبُ لِلقَضَاءِ وَالفُتيَا

---

(٣٧٢) هذا فيه بيان أطفال القبوريين أنهم ينشؤون على تعظيم أصحاب القبور، ويلقَّنون هذه العقيدة الباطلة فينشأ عليها الصغير، وتغرس هذه العقيدة الباطلة في قلبه؛ فلهذا يكبر عليها ويحيا عليها ويموت عليها إلا من رحم الله. فليس سبب انتشار هذه الأمور أنها صحيحة، ولكن انتشارها الجهل ومن حين نشأ الطفل نشأ عليها، وما سمع عقيدة التوحيد عقيدة الأنبياء والمرسلين.

وقد كان النّبيّ ﷺ يهتم بتعليم الصغير العقيدة الصحيحة، وفي ذلك حديث ابن عباس أن النّبيّ ﷺ قال له: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رواه الترمذي (٢٥١٦)، وهو في «الصحيح المسند» (٦٨٥) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وما أحسن ما جاء عن أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدَثِ وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوَفِّقَهُمَا اللَّهُ لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ. رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/٦٦).

وَالتَّدرِيسِ، أَو الوَلَايَةِ (٣٧٤) أَو المَعرِفَةِ أَو الإِمَارَةِ وَالحُكُومَةِ، مُعَظِّمًا لِمَا يُعَظِّمُونَهُ(٣٧٥)، مُكَرِّمًا لِمَا يُكرِمُونَهُ، قَابِضًا لِلنُّذُورِ، آكِلًا مَا يَنحَرُ عَلَى القُبُورِ، فَيَظُنُّ العَامَّةُ أَنَّ هَذَا دِينُ الإِسلَامِ، وَأَنَّهُ رَأسُ الدِّينِ وَالسَّنَامِ(٣٧٦).

وَلَا يَخفَى عَلَى أَحَدٍ يَتَأَهَّلُ لِلنَّظَرِ، وَيَعرِفُ بَارِقَةً مِن عِلمِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالأَثَرِ، أَنَّ سُكُوتَ العَالِمِ أَو العَالَمِ عَلَى وُقُوعِ مُنكَرٍ لَيسَ دَلِيلًا عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ المُنكَرِ(٣٧٧).

وَلِنَضرِبَ لَكَ مَثَلًا مِن ذَلِكَ:

وَهِيَ هَذِهِ المُكُوسُ (٣٧٨) المُسَمَّاةُ بَالمَجَابِي، المَعلُومُ مِن ضَرُورَةِ الدِّينِ تَحرِيمُهَا، قَد مَلَأَتِ الدِّيَارَ وَالبِقَاعَ (٣٧٩)، وَصَارَت أَمرًا مَأنُوسًا (٣٨٠)، لَا يَلِجُ (٣٨١) إِنكَارُهَا إِلَى سَمعِ

فهذه من أعظم السعادة على الأبناء أن ينشؤوا من صغرهم على السنة والهداية والعقيدة الصحيحة.

(٣٧٣) أي: يتصف بالعلم.

(٣٧٤) الولاية: الحكم.

(٣٧٥)على طريقتهم، أنهم يرون من يحسنون الظن به على طريقتهم وشاكلتهم.

(٣٧٦) فيظن الجاهل العامي أن هذا هو الحق.

وما يُنحر على القبور لا يجوز أكله؛ لأنه ذبح لغير الله، قال تَعَالَى في سياق المحرمات: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[المائدة: ٣].

(٣٧٧)لأنهم يستدلون بهذا على صحة الاعتقاد في القبور، يستدلون بالكثرة وبسكوت بعض العلماء.

مِن الأَسمَاعِ، وَقَد امتدَّت أَيدِي المَكَّاسِينَ فِي أَشرَفِ البِقَاعِ، فِي مَكَّةَ أُمِّ القُرَى(٣٨٢)، يَقبِضُونَ مِن القَاصِدِينَ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الإِسلَامِ(٣٨٣)، وَيُلقُونَ فِي البَلَدِ الحَرَامِ كُلَّ فِعلِ

---

(٣٧٨) المكوس: الضرائب والجمارك التي تأخذها الدولة، وهي من كبائر الذنوب كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في شأن المرأة التي أقيم عليها حد الزنا: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ» رواه مسلم (١٦٩٥) عن بُرَيْدَةَ.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: فيه أن المكس من أقبح المعاصي والذنوب الموبقات.

(٣٧٩) والإمام الصنعاني يحكي عن أشياء واقعة في عصره، وهي في كل زمان ومكان ما بين مستقل ومستكثر.

(٣٨٠) أي: مألوفًا، تألفه النفوس.

(٣٨١)لا يدخل.

(٣٨٢) أفضل البقاع مكة حرسها الله. كما ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» رواه الترمذي (٣٩٢٥)، وهو في «الصحيح المسند» (٧١٠) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣٨٣) فريضة الحج.

حَرَامٍ(٣٨٤)، وَسُكَّانُهَا مِن فُضَلَاءِ الأَنَامِ، وَالعُلَمَاءُ وَالحُكَّامُ سَاكِتُونَ عَلَى الإِنكَارِ، مُعرِضُونَ عَنِ الإِيرَادِ وَالإِصدَارِ، أَفَيَكُونُ السُّكُوتُ مِن العُلَمَاءِ، بَل مِنَ العَالَمِ دَلِيلًا عَلَى حَلِّ أَخذِهَا وَإِحرَازِهَا(٣٨٥)؟ هَذَا لَا يَقُولُهُ مَن لَهُ أَدنَى إِدرَاكٍ(٣٨٦).

بَل أَضرِبُ لَكَ مَثَلًا آخرَ: هَذَا حَرَمُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَفضَلُ بِقَاعِ الدُّنيَا بِالِاتِّفَاقِ وَإِجمَاعِ العُلَمَاءِ(٣٨٧)، أَحدَثَ فِيهِ بَعضُ مُلُوكِ الشَّرَاكِسَةِ الجَهَلَةِ الضَّلَالِ هَذِهِ المَقَامَاتِ الأَربَعَةِ، الَّتِي فَرَّقَت عِبَادَاتِ العِبَادِ، وَاشتَمَلَت عَلَى مَا لَا يُحصِيهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الفَسَادِ، وَفَرَّقَت عِبَادَاتِ المُسلِمِينَ، وَصَيَّرَتهُم كَالمِلَلِ المُختَلِفَةِ فِي الدِّينِ، بِدعَةٌ قَرَّت بِهَا عَينُ إِبلِيسَ اللَّعِينِ، وَصَيَّرَتِ المُسلِمِينَ ضُحكَةَ الشَّيَاطِينِ، وَقَد سَكَتَ النَّاسُ عَلَيهَا، وَوَفَدَ عُلَمَاءُ الآفَاقِ وَالأَبدَالِ وَالأَقطَابِ إِلَيهَا، وَشَاهَدَهَا كُلُّ ذِي عَينَينِ، وَسَمِعَ بِهَا كُلُّ ذِي أُذُنَينِ. أَفَهَذَا السُّكُوتُ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِهَا(٣٨٨)؟

---

(٣٨٤) كانوا لا يسمحون بالحج حتى يدفع لهم مبلغًا من المال؛ لأداء فريضة الحج.

(٣٨٥) جواز قبض النذور.

(٣٨٦) فإن سكوت العالِم المخلص قد يكون مكرهًا، يخاف من سطوة الدولة وممن لهم شوكة وقوة، فليس سكوت العلماء أو الكثرة دليلًا على جواز قبض النذور التي يؤتى بها لصاحب القبر.

(٣٨٧) هذا عليه جمهور العلماء أن مكة أفضل البقاع.

(٣٨٨) على جواز المكوس وعلى جواز المقامات الأربعة.

هَذَا لَا يَقُولُهُ مَن لَهُ إِلْمَامٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَارِفِ(٣٨٩)، كَذَلِكَ سُكُوتُهُم عَلَى هَذِهِ الأَشْيَاءِ الصَّادِرَةِ مِن القَبُورِيين(٣٩٠).

المقامات الأربعة: كان يوجد أربع مقامات للمذهب الحنبلي، وللمذهب الشافعي، وللمذهب المالكي، وللمذهب الحنفي، وكل أهل مذهب لهم مقام خاص وجماعة خاصة، وكانوا يَسألون: أنت مالكي؟ أنت اذهب صلِّ في ذلك المقام، ما تصلي وراء الشافعي أو وراء الحنبلي، أو وراء الحنفي، واستمرت إلى أن قامت دولة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وألغاها، وجعلها جماعة واحدة على السنة، هذه المقامات الأربعة فيها تشتيت المسلمين، وتمزيق كلمتهم، وتفريق قلوبهم.

وقد ذكر ذلك الشيخ ابن عثيمين في «الشرح الممتع»، وقال: ومِن ذلك ما كان معروفًا في المسجدِ الحرامِ سابقًا، قبل أن تتولَّى الحكومةُ السعوديةُ عليه، كان فيه أربعُ جماعاتٍ، كلُّ جماعة لها إمامٌ: إمامُ الحنابلةِ يصلِّي بالحنابلة، وإمامُ الشافعيةِ يصلِّي بالشافعيةِ، وإمامُ المالكيةِ يصلِّي بالمالكيةِ، وإمامُ الأحنافِ يصلِّي بالأحنافِ.

ويسمُّونه: هذا مقامُ الشَّافعي، وهذا مقامُ المالكي، وهذا مقامُ الحنفي، وهذا مقامُ الحنبلي، لكن الملك عبد العزيز جزاه اللهُ خيرًا لـمَّا دخل مكَّة، قال: هذا تفريقٌ للأمَّةِ، أي: أنَّ الأمةَ الإسلاميةَ متفرِّقة في مسجدٍ واحدٍ، وهذا لا يجوز، فجمعهم على إمامٍ واحدٍ، وهذه مِن مناقبه وفضائله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

(٣٨٩) أي: العلوم.

(٣٩٠) لا يدل سكوت العلماء عن هذا أنها حق؛ لما سبق.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

أسئلة الدرس (١٤)

١. ما معنى قوله تَعَالَى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾؟

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ الاستفزاز: الاستخفاف، ﴿بِصَوْتِكَ﴾ صوت الشيطان الملاهي والأغاني، وقال بعض السلف: كل معصية هي من صوت الشيطان. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾ أي: ركبانًا ﴿وَرَجِلِكَ﴾ أي: مشاة.

٢. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ اذكري بعض المشاركة في الأموال والأولاد؟

من المشاركة في الأموال المكاسب المحرمة؛ وعدم التسمية على الطعام والشراب؛ لأنه يستحل الطعام إذا لم يسمَّ الله سُبحَانَهُ.

والمشاركة في الأولاد كقتلهم، كما قال تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)﴾[الأنعام]، وعدم تربيتهم على الخير والطاعة، أو تمجيسهم أو تهويدهم أو تنصيرهم.

٣. من هم الكهان؟

هُمُ الَّذِينَ يُخبِرُونَ بِالمُغَيَّبَاتِ.

٤. ومن الذي يخبر الكاهن ببعض الكلمات الغيبية؟

يخبره الشيطان مسترق السمع كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويزيد مع هذه الكلمة التي هي حق مائة كذبة.

٥. من هم سدنة القبور؟

الخدم، الذين يخدمونها بالحراسة، والسُّرُج، ويقبضون لها النذور...

٦. هل الميزان في معرفة الحق الدليل أم الكثرة، مع الدليل؟

الميزان في معرفة الحق الدليل لا الكثرة، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾ [الأنعام:١١٦]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

٧. ما حكم الإضاءة على القبور كالأنوار الكهربائية ونحوها في غير حاجته للدفن ونحوه، مع الدليل؟

بدعة، والدليل روى البخاري، ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وعن الْعِرْبَاضِ بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود، وهناك حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رواه أبو داود، ولكنه ضعيف؛ فيه أبو صالح باذام وهو ضعيف[٣٩١].

---

(٣٩١) قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في «المغني»(٢/٣٧٩): وَلَا يَجُوزُ اتِّخَاذُ السُّرُجِ عَلَى الْقُبُورِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، الْمُتَّخِذَاتِ عَلَيْهِنَّ الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيُّ، وَلَفْظُهُ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ أُبِيحَ لَمْ يَلْعَنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فَعَلَهُ، وَلِأَنَّ فِيهِ تَضْيِيعًا لِلْمَالِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَإِفْرَاطًا فِي تَعْظِيمِ الْقُبُورِ أَشْبَهَ تَعْظِيمَ الْأَصْنَامِ.

٨. ما حكم أكل ما ذبح على القبور؛ تقربًا للأموات واعتقادًا فيهم، مع الدليل؟

لا يجوز أكله؛ لأنه ذبح لغير الله، قال تَعَالَىٰ في سياق المحرمات: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[المائدة: ٣].

٩. ما هي المكوس؟

الضرائب والجمارك التي تأخذها الدولة.

١٠. ما حكم المكوس مع الدليل؟

هي من كبائر الذنوب كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في شأن المرأة التي أقيم عليها حد الزنا: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ» رواه مسلم (١٦٩٥) عن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١١. ما هي المقامات الأربعة التي كانت توجَد في المسجد الحرام؟

ونقل ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ في «حاشية الروض المربع»(٣/١٣١) الإجماع على تحريم إسراج القبور.

فيكون فيه النهي عن سُرُج المقابر:

أَنَّ فِيهِ تَضْيِيعًا لِلْمَالِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ.

أنه فيه تعظيم للقبور يشبه تعظيم الأصنام.

وينظر: «مجموع الفتاوى»(١٣/ ٢٤٤) للشيخ ابن باز.

غير أنه استُثني إباحة الإضاءة لأجل الزائرين، ففي «العرف الشذي شرح سنن الترمذي»(٣٢٢): السراج على القبر؛ لإفادة الزائرين أباحَه العلماء.

كان يوجد أربعة مقامات: مقام للمذهب الحنبلي، وآخر للمذهب الشافعي، وآخر للمذهب المالكي، وآخر للمذهب الحنفي، وكل أهل مذهب لهم مقام خاص وجماعة خاصة.

الدرس (١٥)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحِ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قلت: يَلزَمُ مِن هَذَا أَنَّ الأُمَّةَ قَد اجتَمَعَت عَلَى ضَلَالَةٍ، حَيثُ سَكَتَت عَن إِنكَارِهَا لِأَعظَمِ جَهَالَةٍ(٣٩٢).

قَلتُ: حَقِيقَةُ الإِجمَاعِ اتِّفَاقُ مُجتَهِدِي أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمرِ بَعدَ عَصرِهِ(٣٩٣)، وَفُقَهَاءُ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ(٣٩٤) يُحِيلُونَ الاجتِهَادَ مِن بَعدِ الأَربَعَةِ (٣٩٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٩٢)سبق أن العلماء قد يسكتون عن كلمة الحق، وعرفنا أن هذا لا يدل على إقرارهم بذلك فقد يكون مستضعفًا، مكرهًا، عاجزًا أن يقول كلمة الحق، فهنا شبهة لهم يذكرها الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنهم استدلوا بسكوت العلماء على إقرارهم بذلك، فأورد سؤالًا فقال: (يَلزَمُ مِن هَذَا أَنَّ الأُمَّةَ قَد اجتَمَعَت عَلَى ضَلَالَةٍ) أي: والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ» رواه الحاكم في «المستدرك»(٣٩٩) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، والحديث في «الصحيح المسند» تحت رقم (٦٠٣) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣٩٣) هذا تعريف الإجماع (اتِّفَاق مُجتَهِدِي أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمرِ بَعدَ عَصرِهِ) أي: بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَإِنْ كَانَ هَذَا قَوْلًا بَاطِلًا(٣٩٦) وَكَلَامًا لَا يَقُولُهُ إِلَّا مَن كَانَ لِلحَقَائِقِ جَاهِلًا(٣٩٧).

---

(٣٩٤) أي: من المتعصبة للمذاهب الأربعة.

(٣٩٥) أي: يرون الاجتهاد مستحيلًا بعد الأئمة الأربعة. وهذا من بلاء التعصب.

وقد كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر لنا أن ابن علان قال عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ...»، هذا لمن كان في زمن الصحابة أو قريبًا من زمانهم، أما بعد أن تقررت المذاهب الأربعة فقال بعض أئمتنا: لا يجوز تقليد غيرهم.

وكان والدي رَحِمَهُ اللَّهُ يستنكر ذلك، ويتعجب من هذه الجُرأة، ومما قال:

وهذا من تعصب ابن علّان الشديد.

وإليكم نص كلام ابن علان في «شرح رياض الصالحين»(١/٤١٥): محل تقليد الصحابة بالنسبة للمقلد الصرف في تلك الأزمنة القريبة من زمنهم.

أما في زمننا فقال بعض أئمتنا: لا يجوز تقليد غير الأئمة الأربعة: الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبي حنيفة؛ لأن هؤلاء عرفت مذاهبهم، واستقرت أحكامها وخدمها تابعوهم، وحرروها فرعًا فرعًا، وحكمًا حكمًا، فقَلَّ أن يوجد فرع إلا وهو منصوص لهم إجمالًا أو تفصيلًا.

(٣٩٦) هذا رد على هذا القول.

(٣٩٧) ومن الأدلة في رده:

فَعَلَى زَعمِهِم (٣٩٨) لَا إِجمَاعَ أَبَدًا مِن بَعدِ الأَئِمَّةِ الأَربَعَةِ، فَلَا يَرِدُ السُّؤَالُ (٣٩٩)؛ فَإِنَّ هَذَا الِابتِدَاعَ وَالفِتنَةَ بِالقُبُورِ لَم يَكُن عَلَى عَهدِ أَئِمَّةِ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ، وَعَلَى مَا نُحَقِّقُهُ، فَالإِجمَاعَ وُقُوعُهُ مُحَالٌ.

فَإِنَّ الأُمَّةَ المُحَمَّدِيَّةَ قَد مَلَأَتِ الآفَاقَ، وَصَارَت فِي كُلِّ أَرضٍ وَتَحتَ كُلِّ نَجمٍ، فَعُلَمَاؤُهَا المُحَقِّقُونَ لَا يَنحَصِرُونَ، وَلَا يَتِمُّ لِأَحَدٍ مَعرِفَةُ أَحوَالِهِم.

فَمَنِ ادَّعَى الإِجمَاعَ بَعدَ انتِشَارِ الدِّينِ وَكَثرَةِ عُلَمَاءِ المُسلِمِينَ؛ فَإِنَّهَا دَعوَى كَاذِبَةٌ، كَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ التَّحقِيقِ (٤٠٠).

قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠) عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ.

وقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ.

فنستفيد من هذا: أن الاجتهاد باقٍ لم ينقطع.

(٣٩٨) أي: على قولهم أنه لا اجتهاد من بعد الأئمة الأربعة.

(٣٩٩) لأن الإجماع قد انتهى على زعمهم، فلا يقال: إن الأمة اجتمعت على ضلالة في سكوت العلماء على المنكر.

(٤٠٠) وهذا ذهب إليه بعض أهل العلم أن الإجماع يصعب حصره؛ لأن كل فرد من أفراد العلماء لا بد أن ينضم مع القائلين في مسألة كذا، إما الوجوب أو الاستحباب أو

ثُمَّ لَو فُرِضَ أَنَّهُم عَلِمُوا بِالمُنكَرِ[٤٠١] وَمَا أَنكَرُوهُ، بَل سَكَتُوا عَن إِنكَارِهِ، لَمَا دَلَّ سُكُوتُهُم عَلَى جَوَازِهِ؛ فَإِنَّهُ قَد عُلِمَ مِن قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ أَنَّ وَظَائِفَ الإِنكَارِ ثَلَاثَةٌ:

أَوَّلُهَا: الإِنكَارُ بِاليَدِ، وَذَلِكَ بِتَغيِيرِ المُنكَرِ وَإِزَالَتِهِ.

ثَانِيهَا: الإِنكَارُ بِاللِّسَانِ مَعَ عَدَمِ استِطَاعَةِ التَّغيِيرِ بِاليَدِ.

ثَالِثُهَا: الإِنكَارُ بِالقَلبِ عِندَ عَدَمِ استِطَاعَةِ التَّغيِيرِ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ[٤٠٢].

فَإِنَّ انتَفَى أَحَدُهَا لَم يَنتِفِ الآخَرُ[٤٠٣].

وَمِثَالُهُ: مُرُورُ فَردٍ مِن أَفرَادِ عُلَمَاءِ الدِّينِ بِأَحَدِ المَكَّاسِينَ وَهُوَ يَأخُذُ أَموَالَ المَظلُومِينَ.

التحريم، حتى إنه جاء عن الإمام أحمد: مَنِ ادَّعَى الْإِجْمَاعَ فَقَدْ كَذَبَ، لَعَلَّ النَّاسَ قَدِ اخْتَلَفُوا. «مختصر الصواعق» (٦١١).

(٤٠١) أي: لو سُلِّم أن العلماء علموا بالمنكر وما أنكروه، فيجاب عن هذا بأن مراتب الإنكار ثلاث.

(٤٠٢) ويدل لهذا حديث عن أبي سعيد الخدري أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم (٤٩).

(٤٠٣) إن انتفى الإنكار باليد لم ينتفِ باللسان، وان انتفى باليد واللسان لم ينتفِ بالقلب، وهذا أضعف الإيمان.

فَهَذَا الفَردُ مِن عُلَمَاءِ الدِّينِ لَا يَستَطِيعُ التَّغيِيرُ عَلَى هَذَا الَّذِي يَأْخُذُ أَموَالَ المَسَاكِينِ بِاليَدِ وَلَا بِاللِّسَانِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ سُخرِيَةً لِأَهلِ العِصيَانِ، فَانتَفَى شَرطُ الإِنكَارِ بِالوَظِيفَتَينِ(٤٠٤)، وَلَم يَبقَ إِلَّا الإِنكَارُ بِالقَلبِ الَّذِي هُوَ أَضعَفُ الإِيمَانِ(٤٠٥).

فَيَجِبُ عَلَى مَن رَأَى ذَلِكَ العَالِمَ سَاكِتًا عَنِ الإِنكَارِ مَعَ مُشَاهَدَةِ مَا يَأْخُذُهُ ذَلِكَ الجَبَّارُ، أَن يُعتَقَدَ أَنَّهُ تَعَذَّرَ عَلَيهِ الإِنكَارُ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ، وَأَنَّهُ قَد أَنكَرَ بِقَلبِهِ.

فَإِنَّ حُسنَ الظَّنِّ بِالمُسلِمِينَ أَهلَ الدِّينِ(٤٠٦) وَاجِبٌ، وَالتَّأْوِيلُ لَهُم مَا أَمكَنَ ضَربَةُ لَازِبٍ(٤٠٧).

فَالدَّاخِلُونَ إِلَى الحَرَمِ الشَّرِيفِ، وَالمُشَاهِدُونَ لِتِلكَ الأَبنِيَةِ الشَّيطَانِيَّةِ(٤٠٨) الَّتِي فَرَّقَت شَملَ الدِّينِ، وَشَتَّتَت صَلَوَاتِ المُسلِمِينَ مَعذُورُونَ عَنِ الإِنكَارِ إِلَّا بِالقَلبِ، كَالمَارِّينَ عَلَى المَكَّاسِينَ وَعَلَى القَبُورِيِّينَ.

---

(٤٠٤) الإنكار باللسان واليد.

(٤٠٥) الإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يضرب أمثلة، وهي توضح لنا الحديث المذكور في مراتب تغيير المنكر، يوضح هذا بأمثلته، وبالمثال يتضح المقال.

(٤٠٦) أهل منصوب على الاختصاص، أي: أخص أهل الدين.

(٤٠٧) يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الواجب حسن الظن بأهل العلم إذا حصل سكوت عن إنكار المنكر، فحسن الظن بالمسلمين واجب، فكيف إذا كانوا أهل دين وعلم وفضل!

(٤٠٨) يشير إلى المقامات الأربعة السابق ذكرها.

وَمِن هُنَا يُعلَمُ اختِلَالُ مَا استَمَرَّ عِندَ أَئِمَّةِ الِاستِدلَالِ مِن قَولِهِم فِي بَعضِ مَا يَستَدِلُّونَ عَلَيهِ بِالإِجمَاعِ: إِنَّهُ وَقَعَ وَلَم يُنكَر، فَكَانَ إِجمَاعًا (٤٠٩).

وَوَجهُ اختِلَالِهِ أَنَّ قَولَهُم: (وَلَم يُنكَر) رَجمٌ بِالغَيبِ؛ فَإِنَّهُ قَد يَكُونُ أَنكَرَتهُ قُلُوبٌ كَثِيرَةٌ تَعَذَّرَ عَلَيهَا الإِنكَارُ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ، وَأَنتَ تُشَاهِدُ فِي زَمَانِكَ أَنَّهُ كَم مِن أَمرٍ يَقَعُ لَا تُنكِرُهُ

---

(٤٠٩) سبحان الله العلم يتداخل! عندنا الكلام على الإجماع، وهو من مسائل الأصول، لكن العلم يتداخل، يترابط بعضه ببعض، فهنا الإجماع السكوتي، وهو:

أَنْ يَقُولَ بَعْضُ أَهْلِ الاجتهاد بقول، وينتشر فِي الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ فَيَسْكُتُونَ، وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُمُ اعْتِرَافٌ، وَلَا إِنْكَارٌ.

«إرشاد الفحول»(١/٢٢٣) للشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا يذكره ابن قدامة في «المغني» وآخرون: وقع فلم يُنكر فكان إجماعًا، هذا يقال له: إجماع سكوتي؛ لأن الإجماع على قسمين: إجماع قطعي، وإجماع سكوتي.

الإجماع السكوتي ضعيف عند كثير من الأصوليين.

وفي كلام الصنعاني مناقشة لمن يستدل بالإجماع السكوتي.

ومرة سأل والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطلاب في درس له، فسكت الطلاب، وقال لهم: أتوافقونني أم لا؟ فسكت الطلاب. فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الإجماع السكوتي، وهو ضعيف عند كثير من الأصوليين.

وهنا يبين الصنعاني وجه ضعفه، ويقول: (وَوَجْهُ اختِلَالِهِ أَنَّ قَولَهُم: (وَلَم يُنكَر) رَجَمَ بِالغَيبِ...).

بِلِسَانِكَ وَلَا بِيَدِكَ، وَأَنتَ مُنكِرٌ لَهُ بِقَلبِكَ، وَيَقُولَ الجَاهِلُ إِذَا رَآكَ تُشَاهِدُهُ: سَكَتَ فُلَانٌ عَنِ الإِنكَارِ، يَقُولُهُ (٤١٠) إِمَّا لَائِمًا أَو مُتَأَسِّيًا(٤١١) بِسُكُوتِهِ، فَالسُّكُوتُ لَا يُستَدَلُّ بِهِ عَارِفٌ (٤١٢).

وَكَذَا يُعلَمُ اختِلَالُ قَولِهِم فِي الِاستِدلَالِ: (فَعلَ فُلَانٌ كَذَا، وَسَكَتَ البَاقُونَ فَكَانَ إِجمَاعًا) (٤١٣)، مُختَلٌّ مِن جِهَتَينِ:

الأُولَى: دَعوَى أَنَّ سُكُوتَ البَاقِينَ تَقرِيرٌ لِفِعلِ فُلَانٍ؛ لِمَا عَرَفتَ مِن عَدَمِ دَلَالَةِ السُّكُوتِ عَلَى التَّقرِيرِ(٤١٤).

الثَّانِيَةُ: قَولُهُم: (فَكَانَ إِجمَاعًا)؛ فَإِنَّ الإِجمَاعَ اتِّفَاقُ مُجتَهِدِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالسَّاكِتُ لَا يُنسَبُ إِلَيهِ وِفَاقٌ وَلَا خِلَافٌ، حَتَّى يُعرِبَ عَنهُ لِسَانُهُ(٤١٥).

---

(٤١٠) أي: يقوله الجاهل.

(٤١١) (لَائِمًا) اللوم: العتاب. (مُتَأَسِّيًا) أي: مقتديًا.

(٤١٢)قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: أي: عارف بالاستدلال. كما في «شرح تطهير الاعتقاد».

(٤١٣) الأولى: وقع ولم ينكر فكان إجماعًا، وهنا: فعل فلان كذا، مثلًا: فعل الصحابي ابن عمر كذا وسكت الباقون، ما جاء أنهم أنكروا عن ابن عمر. فيقولون: (فَعَلَ فُلَانٌ كَذَا، وَسَكَتَ البَاقُونَ فَكَانَ إِجمَاعًا)، هذا إجماع سكوتي.

(٤١٤) فقد يكون أنكر بقلبه.

(٤١٥) أي: يبين عنه لسانه.

قَالَ بَعضُ المُلُوكِ-وَقَد أَثنَى الحَاضِرُونَ عَلَى شَخصٍ مِن عُمَّالِهِ وَفِيهِم [٤١٦] رَجُلٌ سَاكِتٌ-: مَا لَكَ لَا تَقُولُ كَمَا يَقُولُونَ؟ فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمتَ خَالَفتُهُم.

فَمَا كُلُّ سُكُوتٍ رِضًا؛ فَإِنَّ هَذِهِ مُنكِرَاتٍ أَسَّسَهَا مَن بِيَدِهِ السَّيفُ وَالسِّنَانُ[٤١٧]، وَدِمَاءُ العِبَادِ وَأَموَالُهُم تَحتَ لِسَانِهِ وَقَلَمِهِ، وَأَعرَاضُهُم تَحتَ قَولِهِ وَكَلِمَةٍ، فَكَيفَ يَقوَى فَردٌ مِن الأَفرَادِ عَلَى دَفعِهِ عَمَّا أَرَادَ؟ [٤١٨]

فَإِنَّ هَذِهِ القِبَابَ وَالمَشَاهِدَ الَّتِي صَارَت أَعظَمَ ذَرِيعَةٍ إِلَى الشِّركِ وَالإِلحَادِ[٤١٩]، وَأَكبَرَ وَسِيلَةٍ إِلَى هَدمِ الإِسلَامِ وَخَرَابِ بُنيَانِهِ غَالِبٌ، بَل كُلُّ مِن يُعَمِّرُهَا هُم المُلُوكُ

---

(٤١٦) أي: في الحاضرين.

(٤١٧) وهم الأمراء والأقوياء الذين لهم شوكة ونفوذ.

(٤١٨) إذًا استفدنا: أنه لا يدل السكوت على أنه مقرٌّ بذلك، فقد يكون منكرًا له بقلبه.

(٤١٩) وضع القباب على القبور منكر، يقول علي بن أبي طالب لأبي هياج الأسدي: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» روى مسلم (٩٦٩).

وروى الإمام مسلم (٩٧٠) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ».

والبناء على القبور يشمل: القباب، والمساجد، ونحو ذلك.

(أَعظَمَ ذَرِيعَةً إِلَى الشِّركِ وَالإِلحَادِ) بناء القباب على القبور ذريعة إلى الشرك بالله.

وَالسَّلَاطِينُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالوُلَاةُ، إِمَّا عَلَى قَرِيبٍ لَهُم أَو عَلَى مَن يُحسِنُونَ الظَّنَّ فِيهِ، مِن فَاضِلٍ أَو عَالِمٍ أَو صُوفِيٍّ أَو فَقِيرٍ أَو شَيخٍ أَو كَبِيرٍ، وَيَزُورُهُ النَّاسُ الَّذِينَ يَعرِفُونَهُ زِيَارَةَ الأَموَاتِ، مِن دُونِ تَوَسُّلٍ بِهِ وَلَا هَتْفٍ بِاسمِهِ(٤٢٠)، بَل يَدعُونَ لَهُ وَيَستَغفِرُونَ (٤٢١)، حَتَّى يَنقَرِضَ مَن يَعرِفُهُ أَو أَكثَرُهُم، فَيَأتِي مَن بَعدَهُم فَيَجِدُ قَبرًا قَد شُيِّدَ عَلَيهِ البِنَاءُ، وَسُرِّجَت عَلَيهِ الشُّمُوعُ، وَفُرِشَ بِالفِرَاشِ الفَاخِرِ (٤٢٢)، وَأُرخِيَت عَلَيهِ السُّتُورُ،

أما القبة المبنية على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهذه ليست معتمدة على دليل، بل الدليل ينهى عن ذلك، ولوالدي رَحِمَهُ اللهُ رسالة في هذه المسألة حول القبة المبنية على قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي ضمن كتاب «رياض الجنة في الرد على أعداء السنة»، وهي رسالة لطيفة مفيدة ينبغي الاستفادة منها ومطالعتها. ويأتي كلام للصنعاني رَحِمَهُ اللهُ عنها في الدرس القادم إن شاء الله.

وعلمنا أنهم يجعلون القباب على من يعظمونه ويزعمون أنه ولي أو كبير فيهم، ومن يحسنون الظن فيهم، فما يجعلون القباب على كل ميت، ولكن على من له ميزة في نظرهم.

(٤٢٠) أي: نداء باسمه.

(٤٢١)أي: في أول الأمر يكون زيارة الناس لهذا الميت الذي عليه القبة، ففي أول الأمر يكون زيارة شرعية، ليس عندهم عقيدة فيه، وإنما يستغفرون له، ويدعون له.

(٤٢٢) وربما أطلي عليه بالذهب.

وَأُلْقِيَت عَلَيهِ الأَورَادُ وَالزُّهُورُ، فَيعتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ لِنَفعٍ أَو لِدَفعِ ضُرٍّ(٤٢٣)، وَيَأتِيهِ السَّدَنَةُ يَكذِبُونَ عَلَى المَيِّتِ بِأَنَّهُ فَعَلَ وَفَعَلَ، وَأَنزَلَ بِفُلَانٍ الضَّرَرَ، وَبِفُلَانٍ النَّفعَ، حَتَّى يَغرِسُوا فِي جِبِلَّتِهِ (٤٢٤) كُلَّ بَاطِلٍ (٤٢٥).

وَلِهَذَا الأَمرِ (٤٢٦) ثَبَتَ فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ اللَّعنُ عَلَى مَن أَسرَجَ عَلَى القُبُورِ، وَكَتَبَ عَلَيهَا وَبَنَى عَلَيهَا، وَأَحَادِيثُ ذَلِكَ وَاسِعَةٌ مَعرُوفَةٌ(٤٢٧)، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي نَفسِهِ (٤٢٨) مَنهِيٌّ عَنهُ، ثُمَّ هُوَ ذَرِيعَةٌ إِلَى مَفسَدَةٍ عَظِيمَةٍ(٤٢٩).

---

(٤٢٣) فاستفدنا: أن هذا العمل –بناء القباب على القبور– يجرُّ إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

(٤٢٤) الجبلَّة: الطبيعة.

(٤٢٥) هؤلاء السدنة يتعاونون على الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويبثون في قلب الزائر أن هذا الولي يجلب النفع، مثلًا: كان فلان مريضًا فجاء إلى الولي وشُفي، أو كان يموت عليه أولاده فجاء إلى الولي فعاش له أولاده وهكذا، تعاون على الإثم والعدوان.

(٤٢٦) وهو أنه ذريعة إلى الشرك، بناء القباب على القبور ذريعة إلى الشرك جاء النهي عنه في الأدلة.

(٤٢٧) تقدم لنا الإسراج على القبور، والبناء عليها، وأما الكتابة على القبور، فروى الحاكم في «المستدرك»(١٣٦٩)عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ، أَوْ يُجَصَّصَ، أَوْ يَقْعُدَ عَلَيْهِ، وَنَهَى أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ»، والذي استفدناه من والدي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الكتابة زيادة شاذة.

(٤٢٨) أي: في ذاته.



---

(٤٢٩) وهو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

▢ أسئلة الدرس (١٥)

١. ما حقيقة الإجماع؟

اتِّفَاق مُجتَهِدِي أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمرٍ بَعدَ عَصرِهِ.

٢. هناك قول في استحالة الاجتهاد بعد أصحاب المذاهب الأربعة، فمن الذي ذهب إلى هذا القول؟

بعض المتعصبين لأصحاب المذاهب الأربعة، وهذا من مساوئ التعصب.

٣. وبأي شيء نرد عليهم؟

من الأدلة في الرد عليهم: قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠)عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ.

وقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ.

فنستفيد من هذا: أن الاجتهاد باقٍ لم ينقطع.

والصنعاني مِن تعقُّبِهِ على هذا القول يقول: وَإِن كَانَ هَذَا قَولًا بَاطِلًا، وَكَلَامًا لَا يَقُولُهُ إِلَّا مَن كَانَ لِلحَقَائِقِ جَاهِلًا.

٤. ما هي مراتب تغيير المنكر مع الدليل؟

الإنكار باليد فإن لم يستطع فينكره باللسان، فإن لم يستطع فبقلبه، والدليل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

٥. نريد مثالًا من أمثلة الإمام الصنعاني لتغيير المنكر لا يستطيع بلسانه ولا بيده؟

كسكوت بعض أهل العلم عن القبوريين، هذا يدل على أنهم لم يستطيعوا التغيير باليد ولا باللسان فأنكروا ذلك بقلوبهم.

والمقامات الأربعة التي كانت في المسجد الحرام.

وأصحاب المكوس قد لا يُستطاع التغيير باليد واللسان، ولكن أنكرته قلوبهم.

٦. ما هو الإجماع السكوتي؟

أن يقال: وقع فلم ينكَر فكان إجماعًا.

٧. ما حكم بناء القباب على القبور مع الدليل؟

وضع القباب على القبور منكر، يقول علي بن أبي طالب لأبي هياج الأسدي: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» روى مسلم (٩٦٩).

وروى الإمام مسلم (٩٧٠) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ».

٨. ما السبب في النهي عن بناء القباب على المقابر؟

سدًّا لذريعة الشرك.

٩. هل لسدنة القبور تأثير في رواج الاعتقاد في القبور؟

لهم دعوة إلى الشركيات، ويحثون ويدعون لتعظيم صاحب القبر، ويبثون في قلب الزائر أن هذا الولي يجلب النفع، مثلًا: كان فلان مريضًا فجاء إلى الولي وشفي، أو كان يموت عليه أولاده فجاء إلى الولي فعاش له أولاده وهكذا، تعاون على الإثم والعدوان.

الدرس (١٦)

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ بنِ صَلَاحٍ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِنَّ قُلتَ: هَذَا قَبرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَد عُمِّرَت عَلَيهِ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ أُنفِقَت فِيهَا الأَموَالُ.

قُلتُ: هَذَا جَهلٌ عَظِيمٌ بِحَقِيقَةِ الحَالِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ القُبَّةَ لَيسَ بِنَاؤُهَا مِنهُ ﷺ، وَلَا مِن أَصحَابِهِ، وَلَا مِن تَابِعِيهِم، وَلَا تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَلَا مِن عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ وَأَئِمَّةِ مِلَّتِهِ(٤٣٠).

بَل هَذِهِ القُبَّةُ المَعمُولَةُ عَلَى قَبرِهِ ﷺ مِن أَبنِيَةِ بَعضِ مُلُوكِ مِصرَ المُتَأَخِّرِينَ، وَهُوَ قَلَاوُونُ الصَّالِحِيُّ المَعرُوفُ بِالمَلِكِ المَنصُورِ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، ذَكَرَهُ فِي

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٣٠) هذه شبهة للقبوريين يحتجون بها على البناء على القبور، وقد أجاب عن هذه الشبهة الصنعاني في هذا الكتاب بما يشفي ويكفي، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذه القبة ليس النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي بناها، ولا صحابته ولا تابعوهم ولا تابعو التابعين ولا من علماء هذا الدين.

«تَحقِيقِ النُّصرَةِ بِتَلخِيصِ مَعَالِمِ دَارِ الهِجرَةِ»، فَهَذِهِ أُمُورٌ دَولِيَّةٌ لَا دَلِيلِيَّةٌ، يَتبَعُ فِيهَا الآخَرُ الأَوَّلَ(٤٣١).

وَهَذَا آخِرُ مَا أَرَدنَاهُ مِمَّا أَورَدنَاهُ؛ لَمَّا عَمَّتِ البَلوَى، وَاتُّبِعَتِ الأَهوَاءُ، وَأَعرَضَ العُلَمَاءُ عَنِ النَّكِيرِ، الَّذِي يَجِبُ عَلَيهِم، وَمَالُوا إِلَى مَا مَالَتِ العَامَّةُ إِلَيهِ، وَصَارَ المُنكَرُ مَعرُوفًا وَالمَعرُوفُ مُنكَرًا، وَلَم نَجِد مِنَ الأَعيَانِ نَاهِيًا عَن ذَلِكَ وَلَا زَاجِرًا(٤٣٢).

فَإِن قُلتَ: قَد يَتَّفِقُ لِلأَحيَاءِ أَو لِلأَموَاتِ اتِّصَالُ جَمَاعَةٍ بِهِم، يَفعَلُونَ خَوَارِقَ مِنَ الأَفعَالِ يَتَسَمَّونَ بِالمَجَاذِيبِ(٤٣٣)، فَمَا حُكمُ مَا يَأتُونَ بِهِ مِن تِلكَ الأُمُورِ؟

---

(٤٣١) هذا فيه بيان من الذي وضع القبة على قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأنه بعض ملوك مصر، وهو قَلَاوُونُ الصالحي، بتاريخ ستمائة وثمانية وسبعين.

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا الأمر ليس مبنيًّا على دليل فقال: (فَهَذِهِ أُمُورٌ دَولِيَّةٌ لَا دَلِيلِيَّةٌ، يَتبَعُ فِيهَا الآخَرُ الأَوَّلَ).

وكان ينقل لنا والدي عن النَّعمي رَحِمَهُمَا اللَّهُ أنه رد عليهم وقال: أفبعيني ما حاددتم الله ورسوله تحتجون؟!

وعلق عليه رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: صدق رَحِمَهُ اللَّهُ، يحتجون بالباطل على الباطل.

وينظر «رياض الجنة»(٢٦٤) لوالدي.

فهم يحتجون بباطلهم وبما هو محادة لله ورسوله على جواز القبة.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» إلى آخر ما تقدم.

(٤٣٢) انتهت هذه المسألة، ويليها مسألة أُخرى.

(٤٣٣) المجاذيب: جمع مُجذب، وهو عند الصوفية: من ارتضاه الحقُّ لنفسه، وحاز بلا كلفة كلَّ المواهب. «تكملة المعاجم العربية»(٢/١٥٥).

هذا أيضًا من شُبه القبوريين، والذين يعتقدون في غير الله: أنه قد تأتي خوارق على أيدي من يَعتقد في القبور. قال: (قَد يَتَّفِقُ لِلأَحيَاءِ أَو لِلأَموَاتِ اتِّصَالُ جَمَاعَةٍ بِهُم) أي: تعلُّق جماعة بهم. من وصفهم: (يَفعَلُونَ خَوَارِقَ مِنَ الأَفعَالِ) قبوري وتجري خوارق على يديه.

الخوارق: ما خرقت العادة.

وهي على أيدي هؤلاء شعوذة، فمثلًا: تكون النار تلتهب ويدخل في وسطها؛ ليظهر أنه صاحب كرامة، هذا ليس حقيقة، إنما هو خيال في نظر الناظر بواسطة سحر أو نحوه، وبعضهم يستخدم دهانًا قبل أن يحضر بين الناس، مانعًا من الإحراق، ويذكر الشيخ الألباني فيما مَرَّ بي: أنه كان فيه رجل يزعم أنه يدخل في النار ولا يحترق، فناقشه الشيخ الألباني، وقال: إذا أنت صادق فدعني أنا أحرق من ورائك، ففعل الشيخ الألباني فإذا الشعر يحترق، قال: فرحمته، وأطفأت النار.

وفيه واحد في زمن والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخل للغداء معهم، فلما قُدم الغداء أخرج كيسًا معه وقال: أتغدى من هذا، معه زجاج، وجعل يأكل، يريهم أنه يأكل، فقال الوالد: افعل ما شئت هذه شعوذة، ونصحه.

المهم إنما هي شعوذة وخيالات، ويغتر بذلك الجهال، وسيأتي عدة أمثلة في كلام الصنعاني.

فَإِنَّهَا مِمَّا جَبَلَتِ الْقُلُوبَ إِلَى الِاعْتِقَادِ بِهَا(٤٣٤).

قُلْتُ: أَمَّا الْمُتَسَمَّوْنَ بِالْمَجَاذِيبِ الَّذِينَ يَلُوكُونَ لَفظَ الْجَلَالَةِ(٤٣٥) بِأَفوَاهِهِم، وَيَقُولُونَهَا بِأَلسِنَتِهِم، وَيُخرِجُونَهَا عَن لَفظِهَا العَرَبِيِّ، فَهمُ مِن أَجنَادِ إِبلِيسَ اللَّعِينِ(٤٣٦)، وَمِن أَعظَمِ حُمُرِ (٤٣٧) الكَونِ(٤٣٨)، الَّذِينَ أَلبَسَتهُم الشَّيَاطِينُ حُلَلَ التَّلبِيسِ وَالتَّزيِينِ؛ فَإِنَّ إِطلَاقَ لَفظِ الْجَلَالَةِ مُنفَرِدًا (٤٣٩) عَن إِخبَارٍ عَنهَا بِقَولِهِم: (اللَّهُ اللَّهُ)، لَيسَ بِكَلَامٍ (٤٤٠) وَلَا

هذه الخوارق التي تأتي على أيدي من ليس من أهل الاستقامة تعتبر شعوذة وليست بكرامة، فلا يُخلط بين الشعوذة والكرامة.

فخارق العادة إذا جاءت على يد غير مستقيم فهي شعوذة، مثلًا: يطير في السماء كأنه طير هذه شعوذة، قد يكون حمله الشيطان، وقد يكون خيالًا فقط في نظر الناظر.

أما الخارق الذي يكون كرامة فيكون على يد مستقيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية عنده مؤلف في هذا «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

(٤٣٤)يتأثر بها العوام إذا رأوا هذه الخوارق الشيطانية، قالوا: هذا حق.

(٤٣٥) (لَفظَ الجَلَالَةِ) أي: الله.

(٤٣٦) أي: جنود أبليس.

(٤٣٧) (حُمُرِ) جمع حمار، (حُمْر) بسكون الميم جمع أحمر.

(٤٣٨) الكون: كل ما سوى الله.

(٤٣٩) تأمَّلن هذه المسألة، هذه المسألة في ذكر اسم من أسماء الله منفردًا كلفظ الجلالة(الله، الله).

تَوحِيد [٤٤١]، وَإِنَّمَا هُوَ تَلَاعُبٌ بِهَذَا اللَّفظِ الشَّرِيفِ، بِإِخرَاجِهِ عَن لَفظِهِ العَرَبِيِّ، ثُمَّ إِخلَاؤُهُ عَن مَعنًى مِنَ المَعَانِي [٤٤٢]، وَلَو أَنَّ رَجُلًا عَظِيمًا صَالِحًا يُسَمَّى بِزَيد، وَصَارَ

---

(٤٤٠) لأن الكلام عند النحويين: اللفظ المركب المفيد الموضوع بالوضع العربي.

(٤٤١) ولا يفيد توحيدًا، ما فيه توحيد إذا قال: (الله الله)، قد يقول: (الله الله) ويعني غير الله، هذه العبارة لا تفيد توحيدًا، لا بد أن يكون هذا الاسم الذي هو اسم من أسماء الله تَعَالَى في كلام تام مفيد، مثل: لا إله إلا الله، سبحان الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، الله المستعان، وما أشبه ذلك.

أما اسم واحد يردده هذا ذكر مبتدَع، ليس من أذكار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا صحابته، فهذا قد يعتقده بعضهم، واحد مرض وأصيب في بصره فتقول أمُّه: إنه جعل يردد: (يا نور، يا نور) يعني: يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذا اللفظ، قالت: فرجع له بصره.

وكونه رُدَّ له بصره هذا لا يدل أنه أتى بذكر مشروع.

وهذا من أذكار الصوفية، وبعضهم يأتي بالضمير (هو هو)، وهذا لا معنى له أيضًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»(١٠/٢٢٧): وَمَا يُذْكَرُ عَنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ مِنْ أَنَّهُ قَالَ: أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ. حَالٌ لَا يُقْتَدَى فِيهَا بِصَاحِبِهَا؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ الْغَلَطِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ؛ إذْ لَوْ مَاتَ الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَمْ يَمُتْ إلَّا عَلَى مَا قَصَدَهُ وَنَوَاهُ؛ إذْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِتَلْقِينِ الْمَيِّتِ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَلَوْ كَانَ مَا

ذَكَرَهُ مَحْذُورًا لَمْ يُلَقِّنْ الْمَيِّتَ كَلِمَةً يُخَافُ أَنْ يَمُوتَ فِي أَثْنَائِهَا مَوْتًا غَيْرَ مَحْمُودٍ، بَلْ كَانَ يُلَقِّنُ مَا اخْتَارَهُ مِنْ ذِكْرِ الِاسْمِ الْمُفْرَدِ.

قال: وَالذِّكْرُ بِالِاسْمِ الْمُضْمَرِ الْمُفْرَدِ أَبْعَدُ عَنِ السُّنَّةِ، وَأَدْخَلُ فِي الْبِدْعَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَى إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ مَنْ قَالَ: يَا هُوَ يَا هُوَ أَوْ: هُوَ هُوَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَّا إِلَى مَا يُصَوِّرُهُ قَلْبُهُ، وَالْقَلْبُ قَدْ يَهْتَدِي وَقَدْ يَضِلُّ.

واستفدت من والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن (اسم الله الأعظم): بعضهم يقول: (هو)، وهي نزعةٌ صوفية.

وقال الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي اللفظية»(١٢٠): للعلامة محمد صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بحث مهم، في عدم مشروعية الذكر بالاسم المفرد (الله)، وأنه لا أصل له في الكتاب، ولا في السنة، ولا في أقوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا عن أحد من أهل القرون المفضَّلة.

وهناك نصوص يحتجون بها ولا دلالة فيها:

منها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

وحديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله الله» رواه مسلم، والترمذي. وذكره الذهبي في «السير».

والمراد بهذين النصين قوله: (لا إله إلا الله) على طريق الإشارة. اهـ مختصرًا.

جَمَاعَةً يَقُولُونَ: (زَيدُ زَيدُ)، لَعُدَّ ذَلِكَ استِهزَاءً وَإِهَانَةً وَسُخرِيَةً، وَلَا سِيمَا إِذَا زَادُوا إِلَى ذَلِكَ تَحرِيفَ اللَّفظِ (٤٤٣).

ثُمَّ انظُر هَل أَتَى فِي لَفظَةٍ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ذِكرُ الجَلَالَةِ بِانفِرَادِهَا وَتَكرِيرِهَا؟ وَالَّذِي فِي الكِتَابِ وَالسُّنة هو طلب الذكر والتوحيد (٤٤٤) والتسبيح والتهليل.

فعلمنا أنه لا شبهة لهم في قوله تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾[الأنعام].

وقد رد عليهم الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية، وقال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَيْ: قُلِ: اللَّهُ أَنْزَلَهُ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، هُوَ الْمُتَعَيَّنُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، مِنْ أَنَّ مَعْنَى ﴿ قُلِ اللَّهُ﴾أي: لا يكون خطابك لَهُمْ، إِلَّا هَذِهِ الْكَلِمَةَ، كَلِمَةَ «اللَّهُ»، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ هَذَا الْقَائِلُ، يَكُونُ أَمْرًا بِكَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ، مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ، وَالْإِتْيَانُ بِكَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ لَا يُفِيدُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهَا.

(٤٤٢) إذا قال في الأذكار: (الله الله) لفظ بلا معنى.

(٤٤٣) وهذا مثال، لو أن رجلًا معظَّمًا اسمه زيد، فجعل بعضهم يقول: (زيد زيد) لعَدَّ هذا الرجل هذا سخرية واستهزاء، فكيف إذا زادوا على ذلك تحريف اللفظ؟!

(٤٤٤) قول: (لا إله إلا الله).

وهذه أذكار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأدعية آله وأصحابه خاليةٌ عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق(٤٤٥)، الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسوله وسمته ودلِّه في مكان سَحِيقٍ(٤٤٦).

ثَمَّ قد يُضِيفُونَ إِلَى الجَلَالَةِ الشَّرِيفَةِ أَسماءَ جَمَاعَةٍ مِنَ المَوتَى، مَثَلَ: (ابنِ عِلوَانَ)، وَ(أَحمَدَ بنِ الحُسَينِ)، وَ (عَبدِ القَادِرِ)، وَ (العَيدَرُوسِ)(٤٤٧).

بَل قَدِ انتَهَى الحَالُ إِلَى أَنَّهُم يَفِرُّونَ إِلَى أَهلِ القُبُورِ-مِن الظُّلمِ وَالجَورِ-، كَعَلِي رُومَانَ وَعَلِي الأَحمَرِ(٤٤٨)، وَأَشبَاهِهِمَا.

---

(٤٤٥) الشهيق: نهيق الحمار، والنهيق بمعناه، والنعيق: نعيق الغراب.

(٤٤٦) سحيق أي: مكان بعيد.

(٤٤٧) ابن علوان وعبد القادر الجيلاني والعيدروس يعتقد فيهم الجهال ويلجؤون إليهم، والعيدروس مقبور بعدن، وهو أبو بكر بن عبدالله العيدروس باعلوي.

ومعنى ذلك: أنهم قد يضيفون مع لفظ الجلالة بعض من يعتقدون فيه، مثلًا يقول: الله ابن علون ارزقني ولدًا.

(٤٤٨)كان من هؤلاء من يفر عند الضيق والشدة إلى غير الله، ويلجأ إلى غير الله من أصحاب القبور، كعلي ردمان والأحمر، فعند الضيق والشدة والظلم والأذى يفرون إلى بعض المخلوقين من الموتى، و يلجؤون إليهم، وما يلجؤون إلى الله سبحانه و تعالى.

وَقَد صَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهلَ الكِسَاءِ[٤٤٩] وَأَعيَانَ الصَّحَابَةِ، عَن إِدخَالِهِم فِي أَفوَاهِ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ الضُّلَالِ[٤٥٠]، فَيَجمَعُونَ أَنوَاعًا مِن الجَهلِ وَالشِّركِ وَالكُفرِ.

---

(٤٤٩)أهل البيت.

(٤٥٠) سبق أن منهم من يضيف إلى لفظ الجلالة بعض من يعتقد فيه ممن يعظمونه، و قد صرف الله هؤلاء المشركين عن هؤلاء الأخيار الصحابة و أهل البيت والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانوا إذا دعوا يدعون من ذكر (على ردمان) و(على الأحمر)، ولا يدعون النبي صلى الله عليه و سلم وصحابته و أهل البيت، وهذا من صيانة الله لهؤلاء الأخيار، وحفظه لهم عن ذلك، فمثلًا ما كان يقال: الله ومحمد، كما كانوا يقولون: الله وابن علون، الله وعبدالقادر الجيلاني.

الدرس (١٧)

وهو الأخير ولله الحمد والمنة

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ إِسماعِيل بنِ صَلَاحِ الأَمِيرُ الكَحلَانِيُّ الصَّنعَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»:

فَإِن قُلتَ: إِنَّهُ قَد يَتَّفِقُ مِن هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَلُوكُونَ لَفظَ الجَلَالَةِ، وَيُضِيفُونَ إِلَيهَا عَمَلَ أَهلِ الخَلَاعَةِ وَالبَطَالَةِ(٤٥١)، خَوارِقُ عَادَاتٍ وَأُمُورٌ تُظَنُّ كَرَامَاتٍ، كَطَعنِ أَنفُسِهِم بِالآلَاتِ الحَادَّةِ، وَحَملِهِم لِمِثلِ الحَنَشِ وَالحَيَّةِ وَالعقرَبِ، وَأَكلِهِمُ النَّارَ، وَمَسِّهِم إِيَّاهَا بِالأَيدِي، وَتَقَلُّبِهِم فِيهَا بِالأَجسَامِ(٤٥٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٥١) البطالة: بفتح الباء وكسرها، وهم الفرغ الذين لا عمل عندهم.

(٤٥٢) هذه شبهة ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أهل هذا الذكر المبتدَع -الذين يُفردون لفظ الجلالة بالذِّكرِ، فيقولون: الله، الله- من الأحياء الفسقة قد تحصل لهم خوارقُ عادات.

الخوارق: هي التي خرقت العادة، فمثلًا: قد يطعن نفسه بسكين أمامهم أو بخنجر، ولا يُصاب بشيء، وقد يحمل ذوات السموم ولا تلدغه إلى آخر ما ذكر.

قُلتُ: هَذِهِ أَحوَالٌ شَيطَانِيَّةٌ(٤٥٣)، وَإِنَّكَ لَمُلَبَّسٌ عَلَيكَ إِن ظَنَنتَهَا كَرَامَاتٍ لِلأَموَاتِ، أَو حَسَنَاتٍ لِلأَحياءِ؛ لَمَّا هَتَفَ هَذَا الضَّالُّ بِأَسمَائِهِم(٤٥٤)، وَجَعَلَهُم أَندَادًا وَشُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الخَلْقِ وَالأَمرِ، فَهَؤُلَاءِ المَوتَى أَنتَ تَفرِضُ(٤٥٥) أَنَّهُم أَولِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى.

فَهَل يَرضَى وَلِيُّ اللَّهِ أَن يَجعَلَهُ المَجذُوبُ أَو السَّالِكُ شَرِيكًا لَهُ تَعَالَى وَنِدًّا؟

إِن زَعَمتَ ذَلِكَ(٤٥٦) فَقَد جِئتَ شَيئًا إِدًّا(٤٥٧)، وَصَيَّرتَ هَؤُلَاءِ الأَموَاتَ مُشرِكِينَ، وَأَخرَجتَهُم -وَحَاشَاهُم عَن ذَلِكَ- عَن دَائِرَةِ الإِسلَامِ وَالدِّينِ، حَيثُ جَعَلتَهُم أَندَادًا لِلَّهِ، رَاضِينَ فَرِحِينَ(٤٥٨)، وَزَعَمتَ أَنَّ هَذِهِ كَرَامَاتٍ لِهَؤُلَاءِ المَجَاذِيبِ الضُّلَّالِ

---

(٤٥٣) أحوال شيطانية وليست كرامات.

(٤٥٤) ناداهم عند الشدائد بأسمائهم، يقول: يا بن علوان، يا العيدروس، وينادي عبد القادر.

فائدة إملائية: همزة الوصل في ابن تُحذف نطقًا وكتابة في النداء، فيقال مثلًا: يابن آدم، يابن الحارث، يابن عمر.

(٤٥٥) أي: تجزم أنهم أولياء لله تَعَالَى.

(٤٥٦) أن ولي الله يرضى أن يكون شريكًا لله.

(٤٥٧) أي: شيئًا عظيمًا، كما قال تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾ [مريم].

(٤٥٨) فولي الله سُبحَانَهُ لا يرضى أن يكون شريكًا لله.

الْمُشْرِكِينَ، التَّابِعِينَ لِكُلِّ بَاطِلٍ، الْمُنْغَمِسِينَ فِي بِحَارِ الرَّذَائِلِ، الَّذِينَ لَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ سَجْدَةً، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَحدَهُ(٤٥٩).

فَإِن زَعَمتَ هَذَا(٤٦٠)، فَقَد أَثْبَتَّ الكَرَامَاتِ لِلمُشرِكِينَ الكَافِرِينَ وَلِلمَجَانِينِ، وَهَدَمتَ بِذَلِكَ ضَوَابِطَ الإِسلَامِ وَقَوَاعِدَ الدِّينِ المُبَيَّنِ وَالشَّرعِ المَتِينِ.

وَإِذَا عَرَفتَ بُطلَانَ هَذَينِ الأَمرَينِ(٤٦١) عَلِمتَ أَنَّ هَذِهِ أَحوَالٌ شَيطَانِيَّةٌ، وَأَفعَالٌ طَاغُوتِيَّةٌ، وَأَعمَالٌ إِبلِيسِيَّةٌ، يَفعَلُهَا الشَّيَاطِينُ لِإِخوَانِهِم مِن هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ؛ مُعَاوَنَةً مِن الفَرِيقَينِ(٤٦٢)عَلَى إِغوَاءِ العِبَادِ.

---

(٤٥٩) والكرامات لا تكون إلا على يد مستقيم، فإذا وقع خارق عادة على يد فاسق أو كافر فهذه شعوذة وليست كرامة فلا يُخلط بين هذا وهذا، يعني: بين الكرامة والشعوذة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لديه مؤلف قيم في كرامات الأولياء، وهو «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

(٤٦٠) أي: زعمتَ أن هذه كرامات.

(٤٦١) أن الولي يرضى أن يكون شريكًا لله، والثاني: أن هذه التي تجري على أيديهم كرامات.

(٤٦٢) الشيطان الإنسي والشيطان الجني، وهذا من استمتاع بعضهم ببعض الذين قال الله عنهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا

وَقد ثَبَتَ فِي الأَحَادِيثِ أَنَّ الشَّيَاطِينَ(٤٦٣) وَالجَانَّ يَتَشَكَّلُونَ بِأَشكَالِ الحَيَّةِ وَالثُّعبَانِ(٤٦٤).

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)﴾[الأنعام].

(٤٦٣) الشياطين هم مردة الجن.

(٤٦٤) فالشياطين والجان أعطاهم الله قدرة على التشكل، شيطان ويظهر على صورة حية أو في صورة ثعبان، أو في صورة قِط، أو غير ذلك، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْجِنُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنفٌ كِلَابٌ وَحَيَّاتٌ، وَصِنْفٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنفٌ يَحُلُّونَ وَيَظْعَنُونَ» رواه ابن حبان في «صحيحه»(٦١٥٦)، وهو في «الصحيح المسند» (١٢١٣) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

عن أَبِي السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ؛ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ»، فَأَخَذَ

الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ؛ لِيَطْعَنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي؟ فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» رواه مسلم (٢٢٣٦).

كان هذا الصحابي قد أَهْوَى إِلَى زوجته الرُّمْحَ؛ من شدَّة غيرته رضي الله عنه، يريد أن يضربها.

وإنذارُهَا ثلاثًا في الخروج من البيت، فإن خرجت فمعناه أنها من الجان، وإلا تُقتل.

وهل هذا عام في جميع البيوت أم هو خاص بالمدينة؟

إليكم فتوى والدي رحمه الله في هذه المسألة:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الحيات وذا الطُّفيتين، والأبتر، فإنهما يسقطان الحبل ويلتمسان البصر».

فكان ابن عمر يقتل كل حية وجدها، فأبصره أبو لبابة بن عبد المنذر أو زيد بن الخطاب وهو يطارد حية، فقال: إنه قد نهى عن ذوات البيوت.

أخرجه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

علق عليه والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درسٍ لنا وقال: فيه الأمر بقتل الحيات إلا إذا كانت من ذوات البيوت، فهذه لا تقتل حتى تنذر.

وقد جاء في «سنن الترمذي» عن أبي يعلى قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ظهرت الحية في المسكن فقولوا لها: إنا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود ألا تؤذينا فإن عادت فاقتلوها».

وهذا ضعيف؛ فيه محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، فما يحتاج أن يقول هذا، يكفي أن ينذر.

وإذا كانت الحية ليست من ذوات البيوت لا تنذر، تقتل.

واستدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَارٍ بِمِنًى، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ: وَالمُرْسَلاتِ وَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا، وَإِنِّي لَأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتُلُوهَا»، فَابْتَدَرْنَاهَا، فَذَهَبَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا» رواه البخاري (١٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٤).

أما الثعبان الطويل فكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أنه يُقتل إذا دخل البيت، ولا يحتاج إلى إنذار، وقد دخل ذات مرة ثعبان حوش بيتِنا، فاستعان بأحد طلابِهِ، وَقتَلَاه في الحال، ومن غير إنذار.

وَهَذَا أَمرٌ مَقطُوعٌ (٤٦٥) بِوُقُوعِهِ، فَهمُ الثَّعَابِينُ الَّتِي يُشَاهِدُهَا الإِنسَانُ فِي أَيدِي المَجَاذِيبِ(٤٦٦)، وَقَد يَكُونُ ذَلِكَ مِن بَابِ السِّحرِ(٤٦٧)، وَهُوَ أَنوَاعٌ (٤٦٨).

وَتَعَلُّمُهُ لَيسَ بِالعَسِيرِ(٤٦٩)، بَل بَابُهُ الأَعظَمُ هُوَ الكُفرُ بِاللَّهِ(٤٧٠)، وَإِهَانَةُ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ، مِن جَعلِ مُصحَفٍ فِي كَنِيْفٍ وَنَحوِهِ(٤٧١).

---

(٤٦٥) أي: مجزوم بوقوعه.

(٤٦٦) المجاذيب: المجاذيب: جمع مُجذب، وهو عند الصوفية: من ارتضاه الحقُّ لنفسه، وحاز بلا كلفة كلَّ المواهب.

«تكملة المعاجم العربية»(٢/ ١٥٥).

(٤٦٧) فهذا هو الجواب عما يحصل من خوارق على أيدي الفسقة، أن هذه ليست بكرامات، ولكنها أحوال شيطانية، فالإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيب عن هذا بأنه لم يحمل ثعبانًا أو حية وإنما حمل في يده شيطانًا على صورة ثعبان أو حية أو نحو ذلك، وأمر آخر قد يكون هذا من باب السحر، يسحر أعين الناظرين، وبقي أمر ثالث: أنهم قد يكونون أزالوا السم الذي فيها فيحملها ولا تلدغه، إذن هذه ثلاثة أجوبة.

(٤٦٨) أي: السحر أنواع.

(٤٦٩) نعوذ بالله، تعلم السحر ليس بالعسير؛ لأن الشيطان يسهل طريق تعلمه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) ﴾[مريم:٨٣]. أي: تحرضهم على المعاصي وتزينها لهم.

فَلَا يَغتَرَّ مَن يُشَاهِدُ مَا يَعظُمُ فِي عَينَيهِ مِن أَحوالِ المَجَاذِيبِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَرَاهَا خَوَارِقَ؛ فَإِنَّ لِلسِّحرِ تَأثِيرًا عَظِيمًا فِي الأَفعَالِ(٤٧٢)، وَهَكَذَا الَّذِينَ يُقَلِّبُونَ الأَعيَانَ(٤٧٣)

---

(٤٧٠) هذا يدل على أن أعظم باب للسحر أنه كفر بالله سُبحَانَهُ، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقال سُبحَانَهُ بعد ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾، وقال قبل ذلك: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾[البقرة].

هذه من الدلائل على أن السحر كفر بالله عَزَّوَجَلَّ من غير تفصيل.

(٤٧١) فلا يمكن أن يتعلم السحر حتى يكفر بالله سُبحَانَهُ ويهين ما عظمه الله سُبحَانَهُ، وقد مَثَّلَ لذلك الصنعاني بإدخال المصحف الكنيف، أي: إدخاله الخلاء؛ إهانة واستخفافًا، أو مثلًا والعياذ بالله: يبول على المصحف، أو يُكتب القرآن بدم الحيض، فلا يمكن أن يسخِّر الشيطان للإنسي ويأتيه ببعض المغيَّبات إلا إذا خضع له وارتكب ما يوجِبُ كفره.

(٤٧٢) وهذه نصيحة عظيمة أن الإنسان لا يغتر إذا رأى من هذه الشعوذة، وينبغي البُعد عن هؤلاء؛ حفاظًا على العقيدة، نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ

بِالأَسحَارِ وَغَيرِهَا، وَقَد مَلَأَ سَحَرَةُ فِرعَونَ الوَادِي بِالثَّعَابِينِ وَالحَيَّاتِ، حَتَّى أَوجَسَ فِي نَفسِهِ خِيفَةً مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ، وَقَد وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ سِحرٌ عَظِيمٌ.

الشُّبُهَاتِ» رواه أبو داود (٤٣١٩) عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وهو في «الصحيح المسند» (١٠١٩) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. «فَلْيَنْأَ» أي: يبتعد عنه.

هذا الحديث فيه: اجتناب أصحاب الباطل والدجاجلة.

ويقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الذين يبثُّون الشبهات: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فيجب على المسلم أن يحافظ على عقيدته، وعلى دينه.

(٤٧٣) الأعيان: جمع عين، فمثلًا: يقلب السيارة إلى ناقة بواسطة السحر، يخيَّل للناظر أن هذه السيارة صارت ناقة، أو يقلب القط إلى كبش، وهذا من باب التخييل، هذا سحر، قال سُبحَانَهُ: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) ﴾[طه:٦٦]، ألقوا الثَّعابين والحيات والحبال، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصفه: ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾[الأعراف]، وهذا من أشد أنواع الأذى يسحر الإنسان ويجعله في شقاوة وضيق وتعب، ربما عروس لا يهنأ بعرسه بسبب السحر.

وَالسِّحرُ يَفعَلُ أَعظَمَ مِن هَذَا(٤٧٤)؛ فَإِنَّهُ قَد ذَكَرَ ابنُ بَطُّوطَةَ (٤٧٥)وَغَيرُهُ أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بِلَادِ الهِندِ قَومًا تُوقَدُ لَهُمُ النَّارُ العَظِيمَةُ، فَيَلبَسُونَ الثِّيَابَ الرَّقِيقَةَ، وَيَخُوضُونَ فِي تِلكَ النَّارِ(٤٧٦)، وَيَخرُجُونَ وَثِيَابُهُم كَأَنَّهَا لَم يَمَسَّهَا شَيءٌ.

---

(٤٧٤) أي: أعظم مما سبق، الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ختم هذا الكتاب ببعض الخوارق التي يظن أنها من كرامات وليست كذلك.

(٤٧٥) ابن بطوطة له كتاب يسمى «رحلة ابن بطوطة»، وابن بطوطة عنده تحامل على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد افترى عليه وذكر أنه شاهد شيخ الإسلام يوم الجمعة وهو يخطب، فقال: إن الله تَعَالَى ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي من على هذا المنبر ونزل درجة.

وهذا باطل؛ فابن بطوطة لم يلقَ شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد دخل دمشق وشيخ الإسلام في السجن، ولم يخرج من السجن حتى توفاه الله، ومعلوم أيضًا عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنها عقيدة السلف الصالح في إثبات أسماء الله وصفاته من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل.

ويُنظر دفاع بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية».

(٤٧٦) ويخرجون منها سليمين، هذه شعوذة، وبعضهم يكون فعل دهانًا يمنع الإحراق، فيدخل في النار ليري الناس أن هذه كرامة، وكان فيه واحد ناقشهم يقول: سندخل هذه النار جميعًا لكن بعد أن تغسل الأرجل بمادة؛ ليزيل ما قد وضعوه من الأشياء فبعد ذلك ندخل، فتركوا الدخول وبطل سحرهم، فأحيانًا قد يكون

بَل ذَكَرَ (٤٧٧) أَنَّهُ رَأَى إِنسَانًا عِندَ بَعضِ مُلُوكِ الهِندِ أَتَى بِوَلَدَينِ مَعَهُ، ثُمَّ قَطعَهُمَا عُضوًا عُضوًا، ثُمَّ رَمَى بِكُلِّ عُضوٍ إِلَى جِهَةٍ فَرْقًا، حَتَّى لَم يَرَ أَحَدٌ شَيئًا مِن تِلكَ الأَعضَاءِ، ثُمَّ صَاحَ وَبَكَى، فَلِم يَشعُرِ الحَاضِرُونَ إِلَّا وَقَد نَزَلَ كُلُّ عُضوٍ عَلَى انفِرَادِهِ، وَانضَمَّ إِلَى الآخَرِ، حَتَّى قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا عَلَى عَادَتِهِ حَيًّا سَوِيًّا (٤٧٨).

ذَكَرَ هَذَا فِي «رِحلَتِهِ»، وَهِيَ رِحلَةٌ بَسِيطَةٌ، وَقَدِ اختُصِرت، طَالَعتُهَا بِمَكَّةَ عَامَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ وَأَلفٍ(٤٧٩)، وَأَمَلَاهَا عَلَينَا العَلَّامَةُ مُفتِي الحَنَفِيَّةِ فِي المَدِينَةِ، السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ أَسعَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

استخدموا دهانًا، وأحيانًا قد يكون سحرًا ما دخلوا حقيقة، إنما يخيل للناظر أنه دخل في جوف النار.

(٤٧٧) يعني: ابن بطوطة.

(٤٧٨) أي: صحيح الجسم، كما روى الإمام أحمد(٦٥٣٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ» وهو في «الصحيح المسند» (١٤٩٧) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ. «سَوِيٍّ» أي: صحيح الأعضاء. «مِرَّةٍ» أي: قوة، كما قال تَعَالَى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾ [النجم].

(٤٧٩) هذا من استغلال السلف والعلماء أسفارهم، يطالعون، ويستفيدون، ويتلقون العلم، يحرصون، إذا سافر أحدهم إلى الحج يحرص أن يأخذ من الشيوخ ويتلقى عنهم، إنها الهمة العالية يختص الله بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من يشاء، ويختار من يشاء، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾

وَفِي «الْأَغَانِي»(٤٨٠) لِأَبِي الفَرَجِ الأَصفَهَانِيِّ بِسَنَدِهِ: أَنَّ سَاحِرًا كَانَ عِندَ الوَلِيدِ بنِ عُقبَةَ، فَجَعَلَ يَدخُلُ فِي جَوفِ بَقَرَةٍ وَيَخرُجُ، فَرَآهُ جُندُبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَهَبَ إِلَى بَيتِهِ فَاشتَمَلَ عَلَى سَيفِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ السَّاحِرُ فِي البَقَرَةِ، قَالَ جُندُبُ: أَتَأتُونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرُونَ، ثُمَّ ضَرَبَ وَسطَ البَقَرَةِ، فَقطَعَهَا، وَقَطعَ السَّاحِرِ مَعَهَا، فَانذَعرَ النَّاسُ، فَحَبَسَهُ الوَلِيدُ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُثمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ عَلَى السِّجنِ رَجُلٌ نَصرَانِيٌّ، فَلَمَّا رَأَى جَندَبًا يَقُومُ اللَّيلَ وَيُصبِحُ صَائِمًا، قَالَ النَّصرَانِيُّ: وَاللَّهُ إِنَّ قَومًا هَذَا شَرُّهُم لَقَومٌ صِدقٌ، فَوَكَّلَ بِالسَّجنِ رَجُلًا، وَدَخَلَ الكُوفَةَ فَسَأَلَ عَن أَفضَلِ أَهلِهَا، فَقَالُوا: الأَشعَثُ بنُ قَيسٍ، فَاستَضَافَهُ فَرَأَى أَبَا مُحَمَّدٍ -يَعنِي: الأَشعَثَ- يَنَامُ اللَّيلَ وَيُصبِحُ فَيَدعُو بِغَدَائِهِ، فَخَرَجَ مِن عِندِهِ وَسَأَلَ: أَيُّ أَهلِ الكُوفَةِ أَفضَلَ؟ فَقَالُوا: جَرِيرُ بنُ عَبدِ اللَّهِ، فَوَجَدَهُ يَنَام اللَّيلَ، ثُمَّ يُصبِحُ فَيَدعُو بِغَدَائِهِ. فَاستَقبَلَ القِبلَةَ، فَقَالَ: رَبِّي رَبَّ جُندُبٍ، وَدِينِي دِينُ جُندُبٍ، وَأَسلَمَ.

وَأَخرَجَهَا البَيهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبرَى» بِمُغَايَرَةٍ فِي القِصَّةِ، فَذَكَرَ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي الأَسوَدِ: أَنَّ الوَلِيدَ بنَ عُقبَةِ كَانَ فِي العِرَاقِ يَلعَبُ بَينَ يَدَيهِ سَاحِرٌ، فَكَانَ يَضرِبُ رَأسَ الرَّجُلِ ثُمَّ

[القصص]، أما نحن فإلى الله المشتكى، ربما في السفر كأن العبادة انتهت وطلب العلم انتهى، نسأل الله أن يهدينا جميعًا.

(٤٨٠) هذا اسم كتاب، وهذا الكتاب استفدنا من والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يعتمد عليه مليء بالقصص، وبعضها فيها أشياء منكرة.

يَصِيحُ بِهِ، فَيَقُومُ صَارِخًا(٤٨١)، فَيَرُدُّ إِلَيهِ رَأسَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبحَانَ اللَّهِ ! يُحيِي المَوتَى(٤٨٢) ! وَرَآهُ رَجُلٌ مِن صَالِحِي المُهَاجِرِينَ، فَلَمَّا كَانَ مِن الغَدِ اشتَمَلَ عَلَى سَيفِهِ، فَذَهَبَ يَلعَبُ لَعِبَهُ ذَلِكَ، فَاختَرَطَ الرَّجُلُ سَيفَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَقَالَ: إِن كَانَ صَادِقًا فَلِيُحيِي نَفسَهُ! فَأَمَرَ بِهِ الوَلِيدُ دِينَارًا صَاحِبَ السِّجنِ فَسَجَنَهُ(٤٨٣).

---

(٤٨١) يقتله ثم يصيح به فيقوم حيًّا.

(٤٨٢) العوام يغترون.

(٤٨٣)الساحر يُقتل، ولكن القتل لا يقوم به إلا ولي الأمر أو نائبه، فلو فُتح هذا الباب ستنتشر الفوضى، فهذا سبيل إلى الفوضى، القتل ليس إلى فرد من أفراد الرعية، لكن يقوم به الإمام أو نائبه.

وقصة قتل الساحر فيما سبق أن جندبًا قتل الساحر هذا ورد عن ثلاثة من الصحابة في قتل الساحر:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رواه أحمد(١٦٥٧) من طريق بَجَالَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ-عَمِّ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ-فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ-وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: وَسَاحِرَةٍ-. والأثر صحيح.

عن حفصة بنت عمر بن الخطاب زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَتْ جَارِيَةً لَهَا، سَحَرَتْهَا. وَقَدْ كَانَتْ دَبَّرَتْهَا. فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ. أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»(٣٢٤٧) بلاغًا، فسنده ضعيف.

بَل أَعجَبُ مِن هَذَا مَا أَخرَجَهُ الحَافِظُ البَيهَقِيُّ بِإِسنَادِهِ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَفِيهَا: أَنَّ امرَأَةً تَعَلَّمَتِ السِّحرَ مِنَ المَلَكَينِ بِبَابِل هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَأَنَّهَا أَخَذَت قَمحًا، فَقَالَت لَهُ بَعدَ أَن أَلقَتهُ (٤٨٤): اطْلَعَ، فَطَلَعَ، فَقَالَت: أَحقَل (٤٨٥)، فَأَحقَل، ثُمَّ تَركَتهُ، ثُمَّ قَالَت: إِيبَس، فَيَبِس، ثُمَّ قَالَت لَهُ: اطحَنَ، فَأُطْحِنَ، ثُمَّ قَالَت لَهُ: اختِبز فَاختِبِز، وَكَانَت لَا تُرِيدُ شَيئًا إِلَّا كَانَ(٤٨٦).

عن جندب بن كعب بن عبدالله، كما روى البخاري في «التاريخ الكبير»(٢٢٦٨) عن أبي عثمان-وهو النهدي-قال: قتله جندب بن كعب.

أي: قتل الساحرَ جندبُ بن كعب. والأثر ثابت.

(٤٨٤) أي: رمت به في الأرض.

(٤٨٥)الحقل: طلوع الحب في السنبل.

(٤٨٦) والقصة ذكرها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة البقرة، ولكنها من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد، قال والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على «تفسير ابن كثير»(١/٢٦٣): مثل هذه الغرائب لا تطمئن النفس إلى ثبوتها؛ من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد، وأحسن أحواله أن يحسن حديثه. اهـ.

يعني: عبدالرحمن بن أبي الزناد لا يحتمل هذا التفرد؛ لأن في حفظه شيئًا، وساق قصة طويلة في شأن هذه المرأة التي تعلمت السحر، وكانت مؤمنة، ثم تعلمت السحر، فكانت تأتي إلى الملكين فيقولان: ليس هذا خير لك. يُراجع «تفسير ابن كثير».

وهذان الملكان هاروت وماروت أنزلهما الله؛ ابتلاءً للعباد واختبارًا، فكان لا يأتي أحد إليهما إلا وينصحانه أن هذا ليس بخير﴿ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فإذا أصر أن يتعلم ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ هذا شيء امتحان من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي قوله سُبحَانَهُ: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ «ما» اسم موصول بمعنى الذي، ففي الآية إثبات أن السحر نزل على هذين الملكين؛ لتعليم الناس ابتلاءً واختبارًا، وهذا قول كثير من أهل العلم، وهو قول الشيخ الوالد، والشيخ ابن عثيمن أن «ما» اسم موصول.

وهناك قول آخر: أن «ما» نافية، تنفي نزول السحر على الملكين قالوا: كيف ينزل السحر على الملكين؟

والسياق يدل على إثبات ذلك، وأن «ما» اسم موصول، «أُنْزِلَ» أي: الذي أنزل.

«بِبَابِلَ» موضع بالعراق، «هَارُوتَ وَمَارُوتَ» بدل من «الْمَلَكَيْنِ».

وهذا اختيار جماعة من المحققين من أهل العلم، وهو قول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية (١٠٢) من سورة البقرة، وهذا نصُّ كلامِه:

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أُنزل عليهما السحر؛ امتحانا وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى﴾ ينصحاه، و ﴿يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه، وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين؛ امتحانا مع نصحهما؛ لئلا يكون لهم حجة.

فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين، والسحر الذي يعلِّمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه.

وهو قول الشيخ الألباني فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشاهد في قصة هاروت وماروت كان الملوك يومئذ يستعينون بالسحرة، فربنا عَزَّوَجَلَّ أنزل الملكين؛ ليجعلوا علم السحر علمًا عامًّا يعرفه الشعب برمته، حتى يعرفوا أن هؤلاء السحرة ما يأتون بشيء فوق طاقة بشر..، فلما عرفوا بطريق تعليم الملائكة أو الملكين لهم طريق السحر صاروا ما عاد ينغشوا بسحر السحرة، فنجوا من كيدهم ومن ضلالهم. اهـ من «موسوعة الألباني في العقيدة» (١١٠٨/٣). والله أعلم.

وهو قول والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد استفدت منه: أن ما اسم موصول، وأنهما ملكان مأموران بذلكَ امتحانًا واختبارًا للعباد.

وكان والدي ينبِّهُنا على أننا نأخذ بظاهر القرآن، وأن القصص المتلقاة عن أهل الكتاب في شأن هذين المَلَكَين لا يجوز الأخذ بها.

وَالأَحوَالُ الشَّيطَانِيَّةُ لَا تَنحَصِرُ(٤٨٧)، وَكَفَى بِمَا يَأتِي بِهِ الدَّجَّالُ(٤٨٨)، وَالمِعيَارُ (٤٨٩)اتِّبَاعُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمُخَالَفَتُهما.

---

(٤٨٧) لا تعد ولا تُحصى؛ لكثرتها، ولكن بفضل الله تبطل بقراءة القرآن، وكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إذا قرأ آية الكرسي يبطل سحر الساحر، وقد تقدم لنا ذلك.

(٤٨٨)كفى بما يأتي به الدجال الأكبر من الخوارق، ولكن هذا ليس دليلًا على أنها كرامات، فهذه الخوارق ليست علامة على الولاية، وأن من فعله يكون وليًّا لله.

ومما جاء في خوارق الدجال أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الخربة أن تخرج كنوزها فتخرجها وتتبعه. فكفى بذلك على أنه ليست علامة على الكرامات.

كما روى الإمام مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في شأن الدجال: «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ». الحديث.

وقد ختم الإمام الصنعاني كتابه رَحِمَهُ اللَّهُ بذكْر أمثلة يفعلها الدجاجلة والسحرة؛ حتى لا يُغتر بهم.

(٤٨٩) المعيار: الميزان في معرفة المحق من المبطل اتباع الكتاب والسنة، فالمتبع للكتاب والسنة هو المحق، والمخالف لهما هو المبطل.

وهذا يتطلب لمن يريد الخير وأن يكون على الحق والصراط المستقيم أن يتعلم العلم النافع.

وقد كان هناك امرأة راسلت والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكررت في مراسلتها، لماذا الوالد يتكلم في كذا وفي عبدالمجيد الزنداني؟

فقال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اكتبي لها اعرفي الحق؛ لتعرفي أهله.

ففي الأمور المشتبه فيها تُزال بتعلم الكتاب والسنة، وبسؤال أهل الذكر؛ ليُعرف الحق من الباطل، وليتميز المحق من المبطل.

قال شيخ الإسلام في «الرد على المنطقيين»(٥١٥): وقال غير واحد من الشيوخ والعلماء: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي.

والإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ختم كتابه بهذه العبارة الثمينة: (وَالمِعيَارُ اتِّبَاعُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمُخَالَفَتُهُمَا)

وبفضل الله سُبۡحَانَهُ هذا من ميزة أهل السنة والجماعة، أنهم يربطون الناس بالأدلة، ويعلِّقون قلوبهم بالأدلة، لا بقول فلان وفلان، ولا بالمذاهب والآراء والاستحسانات.

وكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكرر هذا في مجالسه، ويغرس في قلوبنا وقلوب الطلاب، بل حتى العوام، حب الدليل والحرص على الدليل، ويستدل بالرجل الذي جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا محمد، إني سائلك فمشدد عليك في المسألة.

انتَهَى مَا أَورَدنَاهُ، ولِلَّهِ الحَمدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا (٤٩٠)، كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَن ذِكرِهِ الغَافِلُونَ.

يعني: يأتي هذا الصحابي ويتثبت من أمور دينه.

(٤٩٠) ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل ما قدمه هذا الإمام في ميزان حسناته، كما نسأل الله أن ينفعنا بذلك، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله